كهنة الإلحاد الجديد

كهنة المعاطف البيضاء- خرافات وأساطير كهنة الإلحاد الجديد- شبهات الإلحاد الجديد- أدلة الإيمان- المتشابه في القرآن والكون – الإلحاد عندما تكون له دولة- أسماء الله الحسنى تتجلى في عصر العلم – الداروينية- الملاحدة العرب.

د.هيثم طلعت
/http://www.anti-il7ad.com

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

باسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

الكُفر مِلة واحدة، لا فرق عندنا بين كهنة الوثنية وكهنة الإلحاد الجديد، لا فرق بين كهنة المغول الذين يُلقِّنون أتباعهم باستمرار أنهم من سلالة الذئاب، وبين كهنة الإلحاد الجديد الذين يُلقِّنون أتباعهم أنهم من سلالة القِرَدة، فالفارق شكلي فقط.

إن الإلحاد الجديد يقوم على كومة ضخمة من الفلسفات والإيمان بالماورائيات، ثم ترى كهنة الإلحاد الجديد يتكلمون وكأنهم قد حازوا أخيرًا عصمة أصولهم الفلسفية الكُلية!

يا أيها الكهنة الجدد.! كُلُّ مَن يريد أن يدفع بالعلم الطبيعي إلى ما وراء الطبيعة، ثم يبني أصولًا اعتقادية متكاملة على فلسفة احتمالية رياضية ناقصة، ويجعل منها سلطانًا معرفيًّا في قضايا الغيب المُطلق فهو أحد الكهنة الجدد، حتى ولو أقسم كل يوم أنه ليس بكاهن!

الإلحاد الجديد هو مِلَّةٌ متكاملة الأركان لها قواعدُها المعرفية وأصولها الإيمانية، وعقائدُها الماورائية التي لا يتساهل فيها المُنظِّرون لها.

هل تحتاج دعوى إبطال هذا الدين الجديد وهذه الكهانة التي تتسع رقعتها كلَّ يوم إلى دراية بالعلوم أو تأصيلات عقدية أو خبرات معرفية؟

هل القانون الفيزيائي الذي يدرسه العلم الطبيعي ويرى معجزاته ومعايرته الدقيقة حسب المكان الذي وُجد فيه، ومدى كفاءته ودقة ضبطه، هل هذا القانون جاء من عند نفسه أم من خارجه؟ هل هو الذي جعل نفسه قانونًا؟ هل هو المُقنِّن أم المُقنَّن؟

ثم لو كان الكون يسير باكتفاءٍ ذاتي كما يزعمون، لما احتاج لقانون في كل شيء فيه، وفي كل ما دَقَّ وصغر، وما عظم وكبر، أليس هذا دليلًا مباشرًا على مُقنِّن وضابط وخالق وصانع ورازق كل شيء بقدره وحاجته؟

هذه الأسئلة لو ترددنا فيها لترددنا في العقل ذاته الذي عرَّفنا على القانون!

لا ينتصر هذا الدين الجديد إلا باستغفال البديهة العقلية، وتجاوز الضرورات العقلية ثم اللعب على أحبال السفسطة فيُسلِّم له كلُّ مغرورٍ ومُغفلٍ وفاجر!

وسأُعطيكم مثالًا رائجًا على استغفال الكهنة الجدد لأتباعهم:

هل يجوز استعمال المنطق الاحتمالي للحديث عن بداية الحياة على الأرض[؟]

عندما تبدأ في هذا الحوار فقد قفزت على الضرورات العقلية دون أن تدري، فالمنطق الترجيحي الاحتمالي لا يكون إلا في الممكن العقلي contingent existence بل في الممكن العقلي الذي يقع أنطولوجيًّا –أي على المستوى المادي–، فلا يصح أن نُدخِل حدثًا من الأحداث مثل حدث الحياة وهي ضرورة عقلية يستحيل أن يقوم بها البشر جميعًا بكل ما امتلكوا من عقلٍ واعٍ ومكائن عملاقة وسواعد جبارة في أن يخلقوا ذبابةً واحدة ولو اجتمعوا لها، فكيف نقول بالحساب الاحتمالي في نشأة حياة في بيئة غير واعية وغير قادرة وقاصرة وهي بيئة الأرض الأولى؟

عندما يضحك علينا الكاهن الملحد وندخل معه في هذه الحسابات، فقد قفزنا على أحبال السفسطة التي يبتهج لها جدًّا!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الحج:٧٣]!

عندما يتحدث كهنة الإلحاد عن التطور ويملئون به الكتب ويُلقنونه لكل طالب، ويؤسِّسون له أكاديمياتٍ بحثية عملاقة، وينفقون عليه بسخاء، وفي النهاية يعترفون أنه لم يتم رصد macro- evolution واحدة تجريبيًّا إلى الآن، ولن يتم، فنحن أمام فلسفة ميتافيزيقية مكتملة المعالم!

عندما يستغفلوننا مرةً أُخرى، ويدخلون معنا في باب الاحتمالات في هذه القضية –قضية التطور– فهم أيضًا يقفزون بنا على أحبال السفسطة؛ لأنه لا يوجد كائن حي يسير بجينة واحدة ولا بعشرين جينة، فأين التطور؟!!

والجينة الواحدة بها آلاف القواعد النيتروجينية المنضبطة منذ البدء، وأقل عدد ممكن من الجينات يكون أكثر من ٣٠٠ جينة كحد أدنى Minimum gene set concept حتى يمارس الكائن الحي مهامه الحياتية، فأين التطور الذي يتطلب أن نبدأ من صفر جينة؟

فلا تجعلوا كهنة الإلحاد الجدد يلعبون بضروراتكم العقلية، فأنتم لو انتصرتم في لعبة الاحتمالات فهم قد انتصروا في إدخال المستحيل العقلي إلى ممكن عقلي داخل أذهانهم وأذهان أتباعهم، وسينامون مرتاحين فلا تعطوهم الفرصة، فهؤلاء حظيرة خنزيرٍ أطهر من أطهرهم!

ومن أجل ضبط الضرورات العقلية، قمنا بتصنيف هذا الكتاب الذي نسأل العلي القدير أن يُنير به طريق الهداية لكل باحثٍ عن الحق.

وقد كان هذا الكتاب عبارةً عن مجموعة من المقالات المتناثرة وضعتها في مواقع شتى، فسبكت بين المقالات وصنفتها وفصلت بينها، فخرج هذا الكتاب الذي أضعه بين أيديكم.

والله المستعان

للتواصل مع د.هيثم طلعت

Haithamsrour41@gmail.com

https://www.facebook.com/haitham.srour12

الفَصِلُ الأَوَلُ

كَهَنة المعاطف البيضاء

كهنة المعاطف البيضاء – علماء الكوانطا –

❑ مُقَـدِّمَة

ظل [ألبرت أينشتاين] يحلم بنظرية كل شيء Reasonable Theory، تلك النظرية التي لا يتجاوز طولها البوصة الواحدة، والتي تصف كل شيء في كوننا، والتي تجمع النسبية بالكم، وقضى أينشتاين الأربعين عامًا الأخيرة من عمره محاولًا تحقيق هذا الحلم، ومات دون تحقيق شيء.

وبعد عقودٍ من وفاته جاء كهنة المعاطف البيضاء- علماء الكوانطا- وقالوا: نريد أن نعرف عقل الله حين خلق هذا الكون. فتوصلوا إلى نظرية الأوتار الفائقة وظنوا فيها الحلم الذي يجمع بين النسبية والكم، فظلت معادلاتهم تزداد حتى صارت اليوم بلايين بلايين المعادلات الممكنة رياضيًّا وكلها بنفس الدرجة من القوة، وكان نتيجة هذا الزخم العبثي في المعادلات أن افترضوا المستحيل العقلي – اللانهائية- وطلبوا منَّا أن نُصدقهم ونحن مغمضو العيون، وافترضوا المستحيل الإمبريقي التجريبي - الأكوان المتعددة- وطلبوا منَّا أن نُصدقهم، وافترضوا المستحيل الأنطولوجي المادي - الأبعاد الأحد عشر - وطلبوا منَّا أن نصدقهم، وتحولت الفيزياء على أيدي هؤلاء الكهنة إلى فيزياء ما بعد الحداثة، وصارت مكتظة ومحشوة بالتجرديات الرياضية التي لا علاقة لها بالواقع الأنطولوجي –المادي- الذي نحياه، وصارت الفيزياء الآن في أزمة على يد الكهنة الجدد كما يعرف المختصون.

وبعيدًا عن كون هؤلاء يفرضون علينا رؤية للكون مبنية على تجريداتهم الرياضية، وبعيدًا عن كون هؤلاء ابتعدوا كثيرًا عن نظرية البوصة الواحدة التي كان يحلم بها أينشتاين، وبعيدًا عن كون هؤلاء فشلوا رسميًّا في تحقيق أي تقدمٍ يُذكر في النظرية الموحدة، بعيدًا عن كل هذا، فما نطلبه منهم بهدوء أن يقبعوا في معاملهم ولا يُعطوا رؤية كلية للقضايا الوجودية الكبرى من واقع نظرتهم القاصرة وفشلهم البحثي، ولا أدري بأي وجه يُشككون في معطياتنا أو في البدهيات العقلية بنتائج فشلهم التجريدي في المعادلات الرياضية، صراحةً هذه أُسميها بجاحة الطالب الخايب.

۞ دعونا نبدأُ القصة من أولها..

من الحقائق التي لابد أن تستقر في الذهن أنه ليس كل ما تُجيزه الرياضيات تجريديًّا، يُجيزه الواقع أنطولوجيًّا أو ماديًّا!

عندما يقول كهنة المعاطف البيضاء: إننا نستطيع أن نخترق الزمن عبر الثقب الدودي wormhole في نسيج الزمكان!

فهذا يعني أن الزمكان الذي هو تداخل الزمان والمكان شيء له وجود مادي، نستطيع أن نلمسه وأن نخترقه!

هل يوجد في عالمنا المادي شيء يُدعى تداخل الزمان مع المكان؟

هل للزمكان وجود أنطولوجي مادي، أم هو مجرد وجود إبستمولوجي معرفي تجريدي في معادلات النسبية العامة؟

هل يوجد في الواقع المادي أو التجريبي أو الحِسي أو العقلي شيء يُسمى نسيج الزمكان؟

هل البُعد الزماني الرابع time –الزمن–هو وجود مادي حقيقي أم مجرد وجود افتراضي لتبسيط هندسة الجاذبية في معادلات النسبية العامة عند أينشتاين؟

لا وجود مادي للزمان ولا يتداخل أنطولوجيًّا ماديًّا مع المكان، ولا يوجد شيء في الواقع المادي الأنطولوجي يسمى زمكان!

الزمان هو إحساس افتراضي بالوقت ينقسم عقليًّا إلى ماضي وحاضر ومستقبل!

إذن عندما يخرج عليك أحد كهنة الكوانطا، ويطلب منك أن تعبر معه الثقب الدودي، فاعلم أنه مهرج يتلاعب ببدهياتك العقلية ببعض الافتراضات الجدلية، أو التبسيطات الرياضية، فاليقين لا يندفع بالظن، والظن القوي لا يندفع بالظن الضعيف، والظن الضعيف لا يندفع بالشك، والشك لا يندفع بالافتراض الرياضي المعادلاتي، فعندما يطلب منك أحد هؤلاء الملاحدة الجدد أن تتخلي عن اليقين في مقابل افتراض رياضي فبطن الأرض للعقل خيرٌ من ظهرها!

ولا شيء أسهل من ضرب بعض الرموز الرياضية للتعبير عن أي شيء ثم اختراع معادلة لقياسه.

وأُكرر مرةً أخرى: ليس كل ما تُجيزه الرياضيات تجريديًّا يُجيزه الواقع أنطولوجيًّا أو ماديًّا؛ بل إن الرياضيات أحيانًا تُخالف الواقع مخالفةً صريحة فمثلًا في عالمنا الواقعي المادي

لا وجود للقطب المغناطيسي، لكن من أجل تكميم الشحنة أثبت بول ديراك Paul Dirac أنه يجب أن يكون هناك قطب مغناطيسي، فوجود القطب المغناطيسي المنفرد mono pole ضروري جدًّا لتكميم الشحنة، حتى تصِّح المعادلة الرياضية، فالقطب المغناطيسي المنفرد موجود في العالَم الرياضي إلزامًا؛ لكن لا وجود له في العالم الأنطولوجي المادي بل هو من قبيل الخرافة ماديًّا!

هل نقول الآن: إن القطب المغناطيسي موجود ماديًّا. ونُنكر البدهيات الحِسية والمادية والتجريبية؛ بناءًا على المعادلة الافتراضية الرياضية؟

المعادلات ليست أكثر من توصيف رياضي تبسيطي!

إذن لا تدفع بديهتك العقلية بفرضية رياضية، لأنك بذلك تُشكك في الرياضيات نفسها لأنها نتاج العقل، فالفرضية الرياضية فرضية عقلية والحقائق حولك بدهيات عقلية، فحاول أن تؤسِس مراتب الأدلة عندك، وتعرف اليقين والظن القوي والظن الضعيف والشك والفرضية.

بل إن المشكلة الحقيقية التي نحن بصددها اليوم والتي كان هؤلاء الكهنة سببًا رئيسًا فيها أن كلَّ رؤيتنا للكون من حولنا تشكلت عبر معادلات رياضية، فلا تُسلِّم لكل ما تسمع أو تقرأ، بل اجعل بدهياتك العقلية ومراتب الأدلة عندك حَكمًا وهي الحكم العدل إن شاء الله.

لكن ما مشكلتنا الحقيقية مع كهنة المعاطف البيضاء؟

هل مجرد رفض الوجود المادي للتجريد الرياضي هو القضية؟

صراحةً؛ القضية أكثر عُمقًا، وتشعبت كثيرًا الآن وهي قابلة لمزيد من التشعب، فكهنة المعاطف البيضاء لم يعودوا يكتفون برصد الظاهرة كما العلماء المحترمون عبر العصور، بل أصبحوا يفترضون تفسيراتهم الفلسفية الخاصة على القضية المرصودة، فافترضوا الوجود المادي للتجريد الرياضي، وافترضوا التفسيرات الفلسفية فيما رصدوه وفيما عجزوا عن رصده، وطالبوا بتسليمنا برؤيتهم في القضيتين معًا، وسنشرح هذه المسألة بشيءٍ من التفصيل لخطورتها على البدهيات والضرورات العقلية ومراتب الأدلة التي اتفق عليها العقلاء!

مشكلتنا مع كهنة المعاطف البيضاء ليست بشأن الظاهرة وآلية حدوثها، فالظاهرة مثل tunneling effect ستتكرر إلى يوم القيامة، مشكلتنا الحقيقية مع كهنة المعاطف البيضاء هي بشأن تفسير الظاهرة، والذي يدخل كليًّا رغمًا عنًّا وعنهم في دائرة الفلسفة والميتافيزيقيا.

ففي فيزياء الكوانطا الكمية القضية كلها متعلقة بالراصد وطريقة رصده، يقول فيلسوف الفيزياء جون ويلر john wheeler " عملية القياس تُحدِث تغيرًا لا سبيل إلى التنبؤ به وهكذا تمت ترقية المراقب – الراصد – ليصبح مشاركًا... وهذا أمر شديد الدهشة".، فالرصد في المجال الكوانطي ليس هو القياس في حقيقته، فعندما ترصد فوتون الضوء فأنت ترصده بفوتون ضوء وبالتالي يتأثر الرصد جدًّا ويجعل من الراصد مشارك في العملية الفيزيائية التي تتم في هذا المجال النانوي".

والمشكلة الحقيقية ليست في الظاهرة، ولا حتى في رصدها، وإنما في التفسير الفلسفي للظاهرة!

فمثلًا في تفسير ظاهرة ما في ميكانيك الكم تجد تفسير أينشتاين – الذي يرفض القضية بالكلية ويعتبر كل تفسيرات علماء الكوانطا مجرد تخريف وهرقطة وكهانة –، وتجد تفسير دي برولي وتفسير مدرسة كوبنهاجن – التي ترفض كل شيء ما عدا القياس وتعتبره مرجعًا وحيدًا معرفياً، وفي هذا مدرسة كوبنهاجن لا تعارض بدهيات العقل فحسب بل تعارض بقية النظريات مثل النسبية ومعادلات ماكسويل–.

فالمشكلة الأساسية مع الكهنة الجدد هي في تفسير عملية القياس في ميكانيك الكم، والتي يرغب كهنة المعاطف البيضاء أن تكون حكرًا لهم!

ومشكلة القياس في ميكانيك الكم هم مشكلة جوهرية، والصراع فيها فلسفي وليس علمي!

ولذا كان [أينشتاين] مُحقًّا حين قرر أن العالِم حين يتفلسف يصبح فيلسوفًا خائبًا، ويجلب الكثير من الضوضاء!

فمشكلة تفسير القياس في المجال الكوانطي هي مشكلة فلسفية لاهوتية، وليست مشكلة رصدية، فكهنة الكوانطا يجعلون من معارفهم التي توصلوا إليها بالرصد نظريات

علمية - وهذا نُسلِّم لهم به- ويجعلون من غموض ما لم يتوصلوا إليه آراء فلسفية وهم يطلبون منا التسليم لهم في الحالتين، ولا أدري بأي حق يريد كهنة الكوانطا أن يُملوا علينا مقرراتهم ورؤيتهم الفلسفية؟

كيف التسليم مثلًا بأبعاد موازية وأكوان متعددة وكسر لبدهيات عقلية، مع أن هؤلاء الثلاثة لا يوجد عليهم دليل إمبريقي أو رصدي أو قياسي واحد حتى الآن، وكلها كومات من المعادلات الرياضية التي تتيح الشيء ونقيضه ثم يفترضون إسقاط ذلك على ما لم يتم رصده أو قياسه.!

مثال على ذلك: يقول أحد هؤلاء الكهنة بوجود أكوان متعددة Multi Universe، لكن هذه الأكوان المتعددة لم تثبت رصديًّا، بل يستحيل إثباتها رصديًّا أو إمبريقيًّا لأنها تكسر حاجز أُفق الجسيم particle horizon وهذا أمر ممنوع فيزيائيًّا، بل إنه من العجيب أن الرياضيات التجريدية أيضًا تمنع وجود أكثر من كونٍ واحد؛ لأن وجود أكثر من كون سيتبع نفس main Hamiltonian وهذا ممنوع رياضيًّا طبقًا لل orthagonality theorm، فلا يُسمح إلا بكونٍ واحد ومع ذلك الأكوان المتعددة تدخل قاموس الإلحاد الجديد بقوة، رغم أنف العلم!

مثال آخر: يبحث الكهنة الجدد عن حياة خارج الأرض وينفقون مبالغ طائلة في هذا (الصدد)، وبالمناسبة هذه كلها محاولات فلسفية لإنزال الإنسان عن مركزيته في هذا الوجود فيفترضون أكوانًا بالمليارات وحياة في كواكب أُخرى وأبعادًا موازية وعوالم متراكبة حتى يُشعِروا الإنسان أنه بلا قيمة - ومشروع البحث عن حياة خارج الأرض هو مشروع لا يوجد عليه دليل إبستمولوجي معرفي واحد، ولا دليل أنطولوجي مادي واحد، ويخالف مبرهنة فيرما التي تقول: بما أنك لم تتحصل على دليل مادي ولو أولي على حياة خارج الأرض، فمن العبث الإنفاق على مشروع هكذا.

وحتى نستوعب كم الخلط في فِكر الكهنة الجدد، وطريقتهم في تفسير القياس، وتناقضهم الذاتي، فأنا سأطرح فرضية سخيفة:

سأفترض أن الكون كله يحمله حوت ضخم في فمه سيجار أمريكي، ويتعلق في ذيله المعتوه لورانس كراوس - أحد كهنة الإلحاد الجديد-، وفي زعنفته مسبحة شيخ صوفي!

هل يُمكن علميًّا نقض هذه الأُطروحة؟ طبقًا لمعطياتنا العلمية المتاحة هذا مستحيل، لكن هل تعلم أن احتمالية هذا الأمر طبقًا لمعطيات الكهنة الجدد هي احتمالية تزيد على الصفر، وبالتالي هي احتمالية قائمة لكنها قريبة من الصفر!!

وقِس على ذلك أي خُرافة تطرأ على ذهنك!

الآن حاوِل أن تُحدث هؤلاء عن أحد القضايا الغيبية الإيمانية وانظر ردة فعلهم!!

إنهم يفترضون أبعادًا موازية، لكنهم لا يقبلون الحديث عن وجود جان أو شياطين!

يفترضون أكوانًا متعددة، لكنهم لا يقبلون وجود عالم آخر!

مشكلة تفسيرات كهنة الكوانطا أنهم يجعلون من قصورهم المعرفي تفسيرات افتراضية قائمة، ثم يؤسسون على هذه التفسيرات الافتراضية رؤى ونظريات وأفلامًا علمية وبرامج وثائقية وروايات خيال علمي تجوب جنبات العالم، ولا يوجد في فروع العلم المادي شيء وصل إلى هذا الحد من الكهانة سوى علماء الأنساب - علماء الداروينية -، ولذا كانت تفسيرات كهنة الكوانطا شيئًا ممجوجًا حتى من قِبل المؤسسات العلمية المُعتبرة ويصف [باولي] تفسيرات كهنة الكوانطا في هذا الإطار بأنها knabenphysik أي فيزياء الصبية بالألمانية. [(١)].

وكان أوتو شاتيرن - العالم الفيزيائي الشهير- يُقسم أنه سيترك الفيزياء إذا كانت تفسيرات كهنة الكوانطا صحيحة.!

وتمنى لورنتز - عالم الكوانطا- أن يموت قبل أن يرى تفسيرات كهنة الكوانطا تلك.

وقال العالم بول إبشتاين: "إن القوانين الكمية بالشكل الحالي هي إلى حدٍ ما نظرية لاهوتية فيما يختص بالطبيعة، ومن ثَم فإن الكثير من العلماء لهم الحق في سخطهم على هذه القوانين "[(٢)].

---

(١) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية تأليف :- ليونيد بونوماريف ترجمة :- إيمان أبو شادي الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى ٢٠٠٧ ص١٢٨.

(٢) م. س.

وكان باولي يرى أن المسرحيات الهزلية أفضل من تفسيرات كهنة الكوانطا. -٣-[1].

هذا المقال من وحي كتاب آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، لأُستاذنا أبو الفداء ابن مسعود وهو كتاب هام للباحثين في القضية الإلحادية من إصدارات دار سما هاتف ٠١١٤٦٥١٩٤٢٤

الإبستمولوجيا	هي النظرة المعرفية التي في الذهن.
الأنطولوجيا	هي الشيء المادي خارج الذهن.
الإمبريقية	التجريب العلمي.
الميثودولوجية	الطريقة العلمية للتثبت من صحة افتراض علمي.

(١) ٣-م.س.

الكاهن الملحد

المعضلة الحقيقية التي نحن بصددها، هي كون الإلحاد عقيدة مكتملة المعالم، لها كهنة ومرتزقة ومتسولون وأتباع!

يقول الكاهن الملحد لا نلتزم إلا بالدليل العلمي المادي التجريبي الإمبريقي؛ لكن يا حضرة الكاهن استنتاج النتخاب الطبيعي في النظرية الداروينية هو مِن طرق تأويلية فلسفية مُركبة وليس من طرق علمية مادية إمبريقية ميثودولوجية!

والداروينية كلها تقوم على الإستنباط العقلي- بغض النظر عن صحته- لا الدليل التجريبي، فلم يشهد العالم كله حالة macro-evolution واحدة، ومع ذلك الداروينية من مُسلمات الإيمان الإلحادي!

يقول الكاهن الملحد: توجد أديان كثيرة فالأفضل الحكم على الجميع بالسجن. لكن يا حضرة الكاهن هذا حال القاضي الفاشل الذي وجد الحق يتنازعه أُناس كثيرون فحكم على الجميع بالسجن، بل وزعم هذا القاضي أن حُكمه الجائر هذا هو الحق الذي يبحث عنه هؤلاء!

يقول الكاهن المُلحد: الإسلام ليس أكثر من دين بين الأديان، وعقيدة بين العقائد. لكن يا جناب القمص الملحد لا يوجد غير الإسلام والكفر، فلا يوجد على وجه الأرض سوى ثلاث ديانات سماوية - إسلام، مسيحية، يهودية- والباقي أرضي باعتراف أصحابه، واليهودية لا يدخلها إلا يهودي الأبوين فهي ديانة قومية انتهى أمرها، والمسيحية أدخلت التثليث والأقانيم والآلهة البشرية في قلب عقيدتها، وآمنت بمبادئ الوثنية من موت الآلهة عارية على الصلبان إلى انتزاع آلهة من آلهة أُخرى - انتزاع الروح القدس من الآب أو الإبن على خلافٍ بينهم- إلى أكل لحم الآلهة وشرب دمائهم- عقيدة الأفخارستيا-، وبذلك انتقلت المسيحية من السماوية إلى الوضعية الوثنية على يد مجامع صناعة الآلهة في عهد قسطنطين، ولم يبق إلا الإسلام الديانة التوحيدية النقية، فالإسلام ليس ديانة كالديانات، وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣].

يتساءل حضرة الكاهن الملحد كيف يدخل الجنة المسلمون فقط، والباقون يدخلون النار مع أن منهم علماء كبار في الفيزياء والطب والفلك؟!! ألا تعلم يا نيافة الأنبا الملحد أن كثيرين من أهل الأرض الآن لم تقم عليهم الحُجة الرسالية التي تقتضي دخول النار؟!! والمحكمة الأُخروية الكبرى لم تقم بعد وهي محكمة عظمى مُدتها خمسون ألف سنة، أي أطول من عمر البشرية كله، وفي هذه المحكمة سيدلي كلٌّ بحججه، فأما الكافر الذي وصلته رسالة الإسلام فحجته داحضة عند الله بنص القرآن، أما الذي لم تصله الرسالة فستكون الآخرة بالنسبة له هي تكملة لرحلته الدنيوية وسيُكلف ويُختبر ويُمتحن، وربما يكون بعض هؤلاء العلماء الذين تتباكون عليهم في درجة عالية من الجنة لا نصلها نحن!

فلا تقلق نيافتك إلا على نفسك ولا تهتم إلا بحالك، فالله لن يظلم عباده فكن مطمئنًا ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران:١٨٢].

فيا نيافة الملحد لا تجعل كفر غيرك سببًا لكفرك، فهذا ليس مبررًا عقلانيًّا ولا منطقيًّا للكفر، ولن يغني عنك شيئًا عند الله يوم القيامة!

□

مشكلة العقل الغربي الذي يرعى الكهنوت الإلحادي

مشكلة العقل الغربي في أصله أنه عقل أداتي نفعي مصلحي مادي، يحمل بُغضًا غير مُبرر للدليل النقلي الجاهز، فتراه يُسلِّم بالخرافة UFO – الأطباق الطائرة- لأنها من صنعته، ويتردد في المعرفة النقلية وإن كانت أكثر منطقية وضبطًا من هذيانه، مثلاً: عندما كان يحارب اللاأدري الكاهن الشهير [كارل ساغان] من أجل تمرير أُسطورة السفر عبر الزمن، وزوار من كواكب أُخرى، كان [ستيفن هاوكنج] يعترض على الأمر رياضيًّا، ويرى استحالة السفر عبر الزمن وأن المسألة خرافة ووهم، وكذلك الزوار الأجانب مجرد شعوذة، والدليل على ذلك أننا لا نقابل أفواج القادمين هؤلاء كل يوم ولم نلحظ أحدًا منهم، فقال ساغان: " الذين يأتون عبر الزمن من السهل أن يمتلكوا طرق تُخفيهم، وربما كان الجان هم هؤلاء المسافرين عبر الزمن"..!!

إذن يستقر في وعي هذا الكاهن ساغان وجود الجان؛ لكنه يقبل أن يكون هؤلاء الجان زوارًا من مجرات أُخرى أو أزمان أخرى، ولا يقبل بالطرح الديني النقلي بشأن قضيتهم!

وربما لو سايره [هاوكنج] في هذيانه، كان [كارل ساغان] الآن أحد أعمدة الملحدين الذين يؤمنون بوجود الجن ولما تردد الملاحدة العرب في بحث طرق الرقية الإلحادية من الجن!

هل ثمة مبرر علمي أو مادي أو حسى أو إمبريقي أو إبستمولوجي أو رياضي أو فلسفي لهذيان [كارل ساغان]؟ لا يوجد دليل واحد ولا حتى افتراضي!

لكن بما أن المسألة إفتراض غربي إذن ستلقى رواجًا إعلاميًّا، وبعد موت الكاهن ساغان بسنوات سيأتي خليفته الكاهن [ميتشيو كاكو] ويعطينا عشرات الأفلام الوثائقية في هذا الهذيان، وسيتلقفها الشباب الباحث عن الغرائب وستبقى هذه الأساطير في الذهن الجمعي ما شاء الله لها أن تبقى، وهذه هي قضيتنا المفصلية.. لا تُسلِّموا لهذيان كهنة الإلحاد الجديد، لا تجعلوا من افتراضات الرياضيات التجريدية رؤية كونية، لا تجعلوا مما لم تحيطوا بعلمه أو يأتكم تأويله حقًّا تدافعون عنه وتحاربون من أجل ترويجه والإيمان به!

□

كهنة الإلحاد الجديد والاقتصار على العلم التجريبي الإمبريقي فقط

يتشنج الكاهن الملحد قائلاً:" لا تُحدثني عن الأدلة العقلية، أو البدهيات المنطقية، أنا لا أُسلِّم إلا بمعطيات العلم التجريبي الوضعي المادي".

ما لا يعرفه نيافة الكاهن الملحد أن مصدر المعرفة في العلم التجريبي الوضعي هو العمل العقلي في مُدخلات الحس والمشاهدة والتجريب، وأساس العلم التجريبي هو البديهيات العقلية والمُسلمات المنطقية ثم يكون الاستقراء المعرفي بدرجاته، هذه بداية العلم التجريبي ونهايته.!

وفي واقع الأمر فإن الملحد كاذب في ادعائه هذا؛ لأنه يرفض الأدلة الدينية فقط، ولذا فهو يقبل النص التاريخي مادام مصدره من خارج التأريخ الديني - ويرفض نفس النص التاريخي بنفس درجات الاستقراء وأدوات الثبوتية لو كان مصدره دينيًّا -، ويقبل الملحد أيضًا الترجيح العقلي والمنطقي بعموم، ويقبل الترجيح الرياضي، ولولا الترجيحات الثلاثة الأخيرة ما قَبل بالعلم التجريبي نفسه؛ لأن أدوات التثبت من معطيات العلم التجريبي هي أدوات عقلية ومنطقية ورياضية.

ولذا نقول للكاهن الملحد: هل شرطكم في بناء معرفة أن تكون صحيحة وموافِقة للواقع بدليل علمي صحيح، أم تكون مقصورة على جنس البحث الإمبريقي والطريقة التجريبية فقط؟

إن كانت الثانية وكان كل ما يأتيكم من دعاوى معرفية أخرى مرفوضةً، فهذا الشرط ساقط بذاته إذ لا يُتخيل التسليم به مجردًا دون تأسيس عقلي ومنطقي ورياضي ومعرفي دون بديهة أسبقية A-Priori مستقرة في عقل الباحث أو العالم أو الفيزيائي.[(١)].

فمراتب الأدلة والبراهين التي اتفق المناطقة على حُجيتها، تتراوح بين الدليل الرياضي والدليل العقلي والدليل التجريبي، وفي الأخير يأتي الدليل الحسي..

---

(١) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين.. لأُستاذنا أبو الفداء ابن مسعود.. دار الإمام مسلم.. ص ٥٧٧ بتصرف.

ولذا عندما يُقرر أحد كهنة الإلحاد رفض بعض الأدلة فمشكلته مع المنطق وليست معنا نحن!

فما أبأس عقل الملحد الذي يرفض ذاته بذاته! حين يرفض استخدام عقله بعقله، فسبحان مَن جعل للشيطان سلطانًا على هؤلاء في بدهيةٍ لا يُخطئها حَدَث صغير؛ لكنه الكفر!

بل إن المعرفة تعتمد على الهاديات الأربع العقل والنقل والتجربة والوجدان[١].

فالأدلة المعرفية لا تنحصر في الدليل التجريبي الوضعي، وإلا فما مصدر القيمة الأخلاقية؟ وما مصدر الحِس الجمالي؟

يقول الملحد الدارويني المتعصب ريتشارد داوكينز " أنا ضد الداروينية ولا أُطيقها حين يتعلق الأمر بحياتنا"[٢].

ذويرى شرودينغر أبو ميكانيك الكم أن العلم التجريبي حين يتحدث عن القيمة الأخلاقية أو القيمة الجمالية فهو أراجوز نستمع له لنضحك لا لنأخذ كلامه على محمل الجد.![٣].

فالملحد الذي يزعم أن الحق لا يوصَل إليه، والمعرفة لا تتحقق إلا من طريق العلم التجريبي وحده؛ لا يوصف بأنه صادق في طلب المعرفة أصلاً، وهو من أكذب الناس[٤]!.

---

(١) وهم الإلحاد..د.عمرو شريف.

(٢) اللقاء الذي أجرته قناة الجزيرة انجليزي مع ريتشارد داوكينز دقيقة ٤٢.

(٣) شرودنغر في كتابه الطبيعة والإغريق nature and the greeks.

(٤) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين.. لأُستاذنا أبو الفداء ابن مسعود.. دار الإمام مسلم.. ص ٦٠٥ بتصرف.

الفصل الثاني

خرافات وأساطير كهنة الإلحاد الجديد

مقدمة

يقوم الإلحاد الجديد، والرؤية المادية للكون على دوغمائية أكثر من أشد الديانات إغراقًا في الوثنية.

ويتظاهر الإلحاد الجديد أن ما يتبناه هو مجرد فرضيات وأطروحات لم تصل لمرحلة الدوغما، لكنه في واقع الأمر دوغمائي متصلب، وفرضوي – نسبةً إلى فرضية– متشنج.

ويستند الإلحاد الجديد على مبدأ: أعطني مُعجزة واحدة مجانًا – الانفجار الكبير، خلق الحياة، التشفير داخل الجينوم – وسأشرح أنا البقية.

إنها أضيق حدود السذاجة إن استطعت ابتلاعها ابتلعت بعد ذلك أي شيء.

فعندما يقرر علماء الفيزياء أن المادة السوداء موجودة ليس لحِفظ توازن الكون كما يتصور الكثيرون ولكن لحفظ توازن المعادلة الرياضية، ووصل حجمها مع الطاقة السوداء إلى ٩٦٪ من مادة الكون في حين أنه لا يوجد دليل علمي واحد على هذا القياس أو هذا الحجم ولا حتى على وجودها أصلًا إلى الآن، ومع ذلك نتنزل مع فرضية الفيزيائيين؛ لأن المسألة توازن معادلة رياضية، ولا علاقة للمسألة بالإيمان أو الكفر، لكن هنا يتشنج الملحد ويريد أن يجعل رؤيتنا للكون مبنية على المعادلة الرياضية، وهذا ربما جوهر الإشكال الذي من أجله تم وضع هذا الكتاب.

فكما قلنا في الفصل السابق فإنه ليس كل ما تقرره الرياضيات تجريديًّا يقرره الواقع المادي أنطولوجيًّا ماديًّا.

الملحد يريد أن يجعل من الفرضية الرياضية واقعًا ماديًّا، ومن الشك يقينًا، ومن البديهية العقلية سفسطة، وقد مكر الله عز وجل بهؤلاء فظهرت فرضيات بالملايين وأطروحات تقبل الشيء ونقيضه وعج العلم المادي بكومة من الفرضيات لا قِبل حتى للملحد بها، فجاءت النتائج على نقيض القصد.

وغاصت أقدام الملحد في أوحال ما كان له أن يلِجها لولا تعنته المقصود وغايته الخبيثة.

وسنطرح في هذا الفصل -إن شاء الله- شيء من الخرافات والأساطير التي يروجها كهنة الإلحاد الجديد.

الذاكرة ليست آثارًا مادية في الدماغ كما يتصور العامة، ويريد أن يلفق الملحد

قام عالم النفس الشهير وأخصائي السلوك والذاكرة كارل لاشلي Karl Lashley بتدريب الفئران والقرود على العديد من الخدع، وعندما يتعلمون الخدعة يقوم بقطع جزء من الدماغ لمعرفة في أي جُزء تُخزن الذاكرة، وقد تفاجأ عندما رأى أن باستطاعته قطع أجزاء كبيرة من الدماغ، لا يهم أي جزء أعلى أسفل داخل خارج سطحي عميق أمامي خلفي علوي سفلي، النتيجة واحدة دائمًا وهي عدم تلف الذاكرة أو ضياعها، فالذاكرة ليست في النهايات العصبية المُعدلة، ولا في فسفرة البروتين ولا الطرق الجزيئية الأخرى، ببساطة الذاكرة ربما لا تكون في الدماغ أصلاً[1].

لكن المشكلة أننا نتعامل مع دوغما جديدة بإسم العلم المادي يتزعمها كهنة الإلحاد الجديد، فلابد أن تكون الذاكرة والعقل في الدماغ، ولابد أن تكون المشكلة قصور في البحث فقط وليس خطأ في الدوغما.

لكن ما المانع أن يكون دماغنا مثل جهاز التلفاز أي مجرد مستقبِل للمعلومة ومُعالِج لها، و حين تُقطع الأسلاك يتوقف ويُفقد الإرسال، فالأصوات الصادرة من التلفاز ليست صادرة عنه أو مُخزنةً فيه، بل هو مجرد مستقبل ومعالج للمعلومة، وإذا تلفت الدائرة الكهربية فيه أو تلفت الأسلاك يتوقف عن الإرسال والاستقبال. وبالضبط هذا ما يحدث في حال تلف أسلاك الدماغ نتيجة صدمة أو تلف الدائرة الكهربية نتيجة زهايمر فيتوقف عن الإرسال والاستقبال.

ونفس الأمر يُقاس على العقل، وسنوضح هذه القضية بشيء من التفصيل:

الإبصار كنقطة بداية هو عملية كهروكيمائية في المقام الأول؛ حيث تنعكس الصورة على الشبكية، ثم تظهر نبضات عصبية في مراكز مخية معينة تحدد الصورة ومكانها؛ لكن هذه عملية كيميائية لا علاقة لها بإدارك وجود الصورة أو استيعاب وجودها، فالوعي شيء

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Karl_Lashley.

والحسابات الكيميائية شيء آخر، ولذا يقال: إن الوعي والعقل يوجد داخلهما كل ما تدركه فكل السماء توجد داخل عقلك، لكن هذا ما ترفضه دوغما كهنة الإلحاد بشدة، فلابد أن يكون العقل والذاكرة والوعي وكل شيء داخل الدماغ، ولابد أن تكون الحسابات الكيميائية هي المعادلة الأخيرة في النهاية، ولابد أن تكون الرؤية المادية الاختزالية هي الحصان الأسود الوحيد في جميع المبارزات.

إن مليارات الدولارات التي تُنفق سنويًّا على مراكز البحث العلمي في أبحاث الدماغ تقوم على فرض دوغمائي مسبق، وهو أن الذاكرة والعقل والوعي وكل الأنشطة الإدراكية تقبع داخل الدماغ ولذا ستظل المليارات تُنفق دون جدوى.

يقول الدكتور هوجو زوكاريلي Hugo Zucarelli: إن هذه الرؤية الكهنوتية للعقل و أدوات الإدراك أدت إلى قصور شديد في الكثير من المباحث العلمية الحقيقية، فالإنسان مثلًا يستطيع تحديد مصدر الصوت دون تحريك رأسه حتى ولو كانت أذن واحدة تعمل، وهذا مستحيل ماديًّا؛ لأنه لا توجد خاصية داخل أذن أو دماغ الإنسان لمثل هذا الأمر، لكن الإنسان يلتفت فورًا نحو مصدر الصوت، ومع ذلك نحن مُطالَبون بتفسير الأمر من داخل الدماغ مع أن البحث من المعلوم مُسبقًا أنه سيكون بلا جدوى[(١)].

ويرى عالِم الأعصاب الدماغية الشهير كارل بريبرام Karl Pribram أن الوعي والإدراك الإنساني لا علاقة لهما بالدماغ أو الوصلات العصبية والذي يرهق نفسه في هذا النفق الضيق فلن يخرج بشيء[(٢)].

ومع ذلك كهنة الإلحاد الجديد سيُصرون على الدوغما مُعطلين بذلك العلم نفسه، وفي هذا هم يدفعون الشباب للعزوف عن العلم المادي؛ لأنه أصبح قوالب جامدة وعاجز عن تفسير الكثير من الأمور التي تشغلهم مثل التخاطر عن بُعد Telepathy والجلاء البصري Clair Voiance، وغيرها من الأمور التي يحكم العلم المادي عليها مُسبقًا بأنها خارج

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Holophonics.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Karl_H._Pribram.

دائرة العلم أو من قبيل الخرافة مع جديتها وإثارتها وتتابع تكرارها مما يُعطيها نمطًا إحصائيًّا قابلًا للرصد.

المشكلة أنه حتى الذين يقبلون بالبحث خارج إطار ما حدده لهم كهنة الإلحاد الجديد، يتعرضون في النهاية لرفض أبحاثهم، أو تهديد مستقبلهم الوظيفي، أو تقليل المبالغ المالية المرصودة لأبحاثهم، وتبتعد أسماؤهم عن عناوين المجلات المرموقة ويُنظر إليهم كمروجي علم زائف pseudo-science وهذا ما يجعل ممارسات كهنة الإلحاد الجديد أشبه ما تكون بقوانين كنسية تشلح كل من يتعرض لها بالنقد.

أصل الوعي وخندق المادية؟

أدق الكائنات الحية على الإطلاق يقودها الغرض والهدف والغاية، وتتمتع بالوعي و تحليل المعلومات ثم إعطاء رد فعل بِناءًا على تلك المعلومات، فمثلًا الأميبا وحيدة الخلية لو جاء بجوارها غِذاء متحرك فإنها تلف أذرعها حوله بحذر حتى لا يهرب، في حين لو كان الغذاء ثابتًا لا يتحرك – حُبيبة نشا – فإنها تلتصق به دون احتراس.

والأميبا كائن وحيد الخلية بلا مخ ولا عين ولا أعصاب ولا حواس.

و البويضة بعد تخصيبها تُعبِّر عن استقلالها البيولوجي ويكون لها وعي وإحساس بحقيقة أنه يمكنها التفاعل مع بيئتها، وتبدأ في الإنقسام الذاتي لخلايا يفوق في عددها نجوم مجرة درب التبانة، و لديها القدرة على تلقي المعلومة ومعالجتها والتفاعل باستقلال مع المعلومة.

في حين أنه لا يمكن أن يبلغ الكمبيوتر مهما اشتد تعقيده أبسط درجات الوعي في كائن وحيد الخلية كالأميبا، ومع ذلك عملية تصنيع الكمبيوتر عملية واعية وذكية للغاية، أما الخلية الأولية كالأميبا التي تفوق في كل عضية من عضياتها أعلى الكمبيوترات تعقيدًا بل ربما لا مجال للمقارنة؛ لأن نسبة وعي أذكي الكمبيوترات على الإطلاق تساوي صفر، I.Q.=ZERO، ومع ذلك المطلوب أن نُصدق أن العشوائية أنشأت الأميبا والإنسان، والذكاء الإنساني لم يستطع أن يُنشئ أبسط صور الوعي، إنها أضيق حدود السذاجة إن استطعت ابتلاعها ابتلعت بعد ذلك أي شيء.

إنه السؤال المفصلي والجوهري بين الدين المنطقي والإلحاد العبثي.

فالإلحاد لا يطرح أجوبة بل يزيد المشكلة تعقيدًا، فلا مبرر مادي للقدرة على الإحساس بالمعلومة ومعالجتها، وإخراج رد فعل ذكي، كما عند أي كائن حي، ولا مبرر مادي للتكامل على كل المستويات – ذاتية التنظيم والتنسيق وذاتية الإنضباط –، لا مبرر مادي للإدراك والوعي والقيمة والهدف والغاية، بل لا مبرر مادي للحياة نفسها بوصفها كينونة مستقلة، لا يمكن لوصلات عصبية أن تُفرز القيمة والهدف والجمال والغاية والحِس الأخلاقي والإمتنان

للوجود والحياة، والشعور بالسمو والكيان، والقيمة والحرية، إن هناك وعي أعمق يؤثر على سلوك هذه الأسلاك العصبية.

ليست هناك آلية مادية لتشرح المعنى والوعي في حياتنا، إذا قال لك شخص تحبه أنه يحبك ساعتها سيُفرز جسدك الإندورفين والدوبامين، في حين لو قررت الانفصال عنه وقال لك: إنه يحبك. ساعتها سيفرز جسدك الكورتيزول والأدرينالين، المعني والوعي هو الذي يقرر السلوك المادي وليس العكس.

ليست هناك آلية مادية لتشرح كيف تصطدم فوتونات الضوء بشبكية عينك وتصنع صورة ثلاثية الأبعاد للواقع من حولك داخل خلايا مُخك المظلمة؟ إنها عملية لا يوجد للعلم إجابة عنها.. إنها الوعي.. إنها الحياة نفسها.

المادية لن تجيب عن معنى وجودنا، فالوعي لا يفهمه إلا الوعي، لهذا نحتاج إلى الدين، بالمنطق العلمي والعقلي نفسه الذي احتجنا به إلى المادية.

خرافة مادية العقل

لفظة العقل في صيغته الإسمية لم ترد في القرآن الكريم مُطلقًا، لكن وردت مشتقاته في صيغته الفعلية، مثل: عقلوا وتعقلون ويعقل ونعقل قرابة خمسين مرة، فالقرآن يهتم بالأفعال ونتائجها أكثر من اهتمامه بالتفاصيل النظرية، أيضًا العقل الذي يتحدث عنه القرآن الكريم ليس عقلًا مُجردًا، أو جوهرًا قائمًا بذاته – فقد ورد بصيغته الفعلية فقط- وإنما هو مَلَكة زودنا الله بها لنستعملها في حدودٍ رسمها لنا.

وبالفعل لا يوجد في علم وظائف الأعضاء جوهر مادي يُسمى عقلًا، أو سلوك كهروكيميائي يُنتج عقل، أو وصلات عصبية تنتهي بإفراز عقل، بل إن معرفتنا المادية العلمية للعقل لم تتقدم خطوة واحدة للأمام منذ العصر الحجري القديم، ومع أن الرئيس بوش أعلن أن العقد الأخير من القرن العشرين سيكون عِقد أبحاث الدماغ، وبعد عقد كامل من الأبحاث المُكثفة خرج ستيفن مورس Stephen Morse، أُستاذ علم النفس في جامعة بنسلفانيا مخاطبًا المؤتمر العالمي لعلوم المخ والأعصاب المنعقد في عام ٢٠٠٥ قائلًا أن " الأبحاث لم تتقدم خطوة واحدة للأمام وليست لدينا حتى مفاتيح الفهم للوعي والعقل".

ولذا يعترف روبرت كون Robert L.Kuhn الحاصل على الدكتوراة في بحوث المخ، أن هناك جوهر غير مادي يتحد بالمخ ليفرز العقل، ولا مفر من اعتباره الروح التي يتحدث عنها المتدينون.

ويعترف ليونارد ملدينوف Leonard Mlodinow الفيزيائي الشهير والمشارك co-author في كتاب التصميم العظيم مع ستيفن هاوكنج أن الوعي والعقل غير ماديين[(١)].

والعقل هو مناط التكليف ويوجِب على صاحبه النظر والاستدلال والقيام بما كُلف به، ويمثل العقل ميزة فريدة وضعها الله عز وجل في الإنسان؛ به يعرف ثم يعمل، ومن هنا كانت مسئولياته، ولولا العقل ما صحَّت مُحاكمة ولا وُضع دستور ولا عُرف حقٌّ من باطل، ومِن هنا نحن لسنا مُخيرين في رفض التكليف الإلهي، طالما تمتعنا بالعقل[(٢)].

---

(1) https://www.youtube.com/watch?v=WGvzheu1JQA.

(٢) بعض الفقرات من كتاب ثم صار المخ عقلاً، د.عمرو شريف.

تبادل أيونات الصوديوم والبوتاسيوم

ينتابني شعور بالغثيان كلما طلب مني مُلحد أن أُسلِّم بأن تطلعنا إلى الحق والخير والعدل والقيمة، نتيجة مباشرة لتحركات وتبادلات أيونات صوديوم وبوتاسيوم على جدران خلية عصبية في أمخاخنا، إن هذه التبادلات الأيونية يمكن أن نُجريها على ورقة ترشيح داخل أي معمل فهل ستدرك ورقة الترشيح معنى الحق والعدل والقيمة؟

إن الإلحاد يطلب منَّا بانتظام الانتحار المتواصل لعقولنا.

عندما يقوم أحد الكلاب بعضةٍ لابن جارك؛ على المستوى المادي يُدرك الكلب أبعاد العضة بما أودع الله فيه من حياة، لكن الكلب لا يدرك معنى أن يطالبك والد الفتى بتعويض مناسب، وربما يَحضر الكلب جميع مراحل التحقيق، ويرى الغرامة المالية تُدفع، ولكنه لا يدرك شيئًا من مغزى كل هذه الحركات، لأنه لا يعرف المعنى ولا القيمة ولا الحق المجرد، وأرقى الكائنات الحية على الإطلاق – القردة العليا- لا يوجد عندها ولو تصور بسيط للمعنى والقيمة، فالترميز والإدراك cognition and symbolism اللذين دخل بهما الإنسان إلى هذا العالم، واللذين من خلالهما يمتلك الإنسان معاني مجردة لا علاقة لها بهذا العلم المادي، فيعرف الحق ويعرف العدل، ويعرف أنه يجب السعي نحوهما ولو على حساب المادة ولو على حساب الرؤية الداروينية، الإنسان في هذه الحال يعلن تمرده على الرؤية الإلحادية ويعلن أنها رؤية فاشلة ولا تصلح له ولا مبرر لوجودها وتعاطيها مع أهم ما يميزه.

ولذا فقد دخل الإنسان إلى هذا العالم بمعرفة الأسماء المادية، والأسماء المجردة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، وهنا فقط تميَّز الإنسان ودخل التاريخ وبدأت اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا، فالحق والخير والعدل والقيمة أشياء لا تفرزها المادة ولا تصل للوعي من خلال تبادل أيونات صوديوم وبوتاسيوم على جدران خلية عصبية، ولن تفرز هذه التبادلات الوعي أصلاً، إن جوهر وجودنا ومعنى وجودنا لا يتأتى إلا بالتمرد على تلك الرؤية الإلحادية.

إن الممر الصوتي الذي يتكون من الحنجرة والأحبال الصوتية ثم البلعوم فالفم، هذا الممر الصوتي ينتج صوتًا نعم لكن لا يعرف شيئًا عما ينتجه، وليست لغتنا هي تقطيع لصرخات القردة العليا كما يحاول أن يقنعنا كهنة الإلحاد باستمرار، أو أن حركات النطق هي

تطور لابتسامة الرئيسيات، إن لغتنا ليست منعكسات استثارية reflexes كما عند القردة العليا، بل هي مخطط عقلي تجريدي يستخدم الحنجرة والممرات الصوتية والمراكز المخية العصبية لإفراز مكنون الذات الإنسانية، ولذا فعبارة واحدة يُمكن أن تُنشيء حضارة، ورسالة واحدة تؤسس لدين، وكلمة واحدة تُقيم حرب عالمية، إن معنى الكلمات شيء خارج عن تركيب الكون المادي بأسره، إن للإنسان معنى مفارق لهذا الوجود منه يستمد معناه وقيمته ومن خلاله يعرف الحق والخير والعدل، وبه ينطق بالحق والخير والعدل، ويعرف معاني هذه الكلمات ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس:٨٢]

الموسيقى تزيد نسبة الذكاء خرافة علمية[(١)]

وضعت مجلة Nature المرموقة مقالا في عام ١٩٩٣ تُثبت فيه أن الذكاء يزيد بفعل الموسيقى.. وكتب الطبيب [دون كامبل] عن تأثير [موتسارت]، وبدأت شركات الدعاية في ضخ آلاف الاسطوانات والألعاب وشرائط الكاسيت التي تمتلئ بموسيقى موتسارت، لتحفيز ذكاء الرُّضع والتلاميذ.

ووصلت الدعاية إلى الحد الذي تحدثت فيه بعض الصحف أن الجنين لو استمع للموسيقى سيخرج أكثر ذكاءًا مع أن تجربة واحدة لتأثير الموسيقى على الأجنة لم تحدث.

وكان من تأثير الدعاية الكاذبة أن خصَّصت ولاية جورجيا في عام ١٩٩٨ مبلغ ١٠٥٠٠٠ دولار حتى يحصل كل مولود جديد على إسطوانة موسيقية.

وقامت فلوريدا بإلزام كل الحضانات بتشغيل الموسيقى للرضع بصفة يومية، وكان هذا قانونًا إلزاميًا.

قانون رقم ٦٦٠ الصادر عن مجلس الشيوخ بفلوريدا ٢١ مايو ١٩٩٨

لكن الآن وبعد أن أُعيدت دراسات مجلة Nature مرات ومرات، يمكننا القول أن تأثير الموسيقى على الذكاء خرافة علمية.

فقد ثبت فيما بعد أن السبب في انتشار هذه المعلومة الخاطئة ليس مقال مجلة Nature وإنما الدعاية الضخمة.

وقد أظهرت أبحاث نانتايس وشيلينبيرج ١٩٩٩ أن الاستماع إلى الموسيقى التفاؤلية لموتسارت، يعادل في تأثيره الاستماع إلى فقرة من قصة مخيفة للكاتب ستيفن كينج المتخصص في قصص الرعب.

---

(١) المصدر: أشهر ٥٠ خرافة في علم النفس.. سكوت ليلينفيلد وستيفن جاي لين وجون روشيو وباري بايرستاين.. ترجمة محمد رمضان داوود وإيمان أحمد عزب.. كلمات للترجمة والنشر.. ص٨٢-٨٩.

الخلاصة: كل ما تُقدمه الموسيقى هو إثارة وقتية لبعض وظائف المخ لا تلبث أن تختفي بعد ذهاب المؤثر[١].

(١) هذه الإثارة الوقتية للموسيقى أيضا تؤدي إلى نتائج سلبية على كثير من البشر وتؤدي إلى خلل ضربات القلب Arrhythmia وفي حالات كثيرة تؤدي إلى الوفاة نظرا لتأثيرها الضار على انتظام ضربات القلب... وقد سُجلت بالفعل العديد من الحالات التي كانت الموسيقى سببًا مباشرًا في توقف قلبها music causes sudden arrhythmic death syndrome.

http://audiologyjobs.co.uk/98/news/loud-bass-music-and-sudden-arrhythmic-death-syndrome /

خرافة الحتمية التربوية

هناك متدينون عديمو الثقافة، ومتوسطو الثقافة، ومرتفعو الثقافة.

هناك ملحدون عديمو الثقافة، ومتوسطو الثقافة، ومرتفعو الثقافة.

الإلحاد قضية إيمانية مجردة لا علاقة لها بالمستوى الثقافي أو التحصيل العلمي أو الأُفق الإدراكي المعرفي من قريب أو بعيد.

الإلحاد قضية دينية خالصة، وموقف فلسفي متكامل، ورؤية شمولية للكون والحياة.

هناك بلطجية ولصوص وخونة ومجرمون سوقة، يسبون الدين ليل نهار، لا يعرفون معروفًا ولا يُنكرون مُنكرًا، ولا يؤدون حق الله ولا حق الخلق، هؤلاء الأراذل لو تربوا في بيئة طاهرة نظيفة، وتلقوا تعليمًا عاليًا وفِكرًا راقيًا سيصبحون علماء ملحدين، ومفكرين علمانيين، وكهنة إلحاد خبثاء.

بعد دراسات نفسية مستفيضة تبيَّن أن التدريب لغوٌ فارغ، وأن أصل الإنسان الذاتي الداخلي هو المعيار الوحيد، وهو المُحرك الأوحد EGO effect –هذا المصطلح من نحتي .

Mischel, W. introduction to personality. New York

إن التدريب وإن قام بفرض السلوك الصحيح فهو في جوهره لا يُغير في النتيجة النهائية شيئًا، و لعل أكثر الأمور دهشة حين يتحول أعتى الطغاة أو المذنبين بين يومٍ وليلة إلى شهداء متواضعين ولم تسبق هذه التوبة عملية إصلاح أو إقناع، إنها حركة في أعماق الروح، إنه تحول ينبع من ذات الإنسان فلا توجد علاقة شرطية ولا حتى تفسير عقلي، فجوهر هذه الدراما هو الحرية والخَلق.

فالخير والشر في باطن الإنسان ولا توجد قوانين يمكن بها إصلاح الإنسان، فكل ما تستطيعه القوانين أو التدريب أن تُغير السلوك ظاهريًّا، إن اليقظة الروحية والهداية تلقائيتان، إنهما نتاج حركة الروح.

فالتدريب لا تأثير له على الموقف الأخلاقي للإنسان، لا يوجد تدريب مادي لتصبح المرأة شريفة أو يصبح الرجل أمينًا فهذه صفات الروح، فالتنشئة الحقيقية هي تنشئة ذاتية وهي مناقضة للتدريب وفي هذا الحُجة الأولى والأقوى للروح.

إن أروع الروايات الأدبية تُرًّا هي تلك الروايات التي تتحدث عن شخصيات خاطئة ظاهريًّا بينما هم في أعماقهم طاهرين نبلاء، في مقابل شخصيات طاهرة ظاهريًّا بينما هي مفرغة من الأخلاق بمجرد أن تخلو بنفسها. هذا التقابل بين هذه الشخصيات هو أسمى ما يميز الروح الإنسانية وإذا لم يكن هناك روح فلن يكون لهذه الروايات معنًى.

إن القضية الوجودية الكُلية هي قضية سرائر، والمحاكمة الكبرى محاكمة يوم القيامة هي محاكمة السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:٩].

وأول مَن تُسعر بهم النار يوم القيامة هم أنقى الناس وأفضلهم عملًا في الظاهر، كما في الحديث الصحيح، فالإلحاد هو دين كل فاجر، ولا يوجد في جهنم أبرياء، ولا في حظيرة خنازير الإلحاد طاهر.

خرافة الهيومانية بديلًا عن الدين

هل يمكن أن تحل الهيومانية Humanism – الإنسانية – بديلًا عن الدين؟

هل يمكن أن يحيا الجنس البشري بلا دين؟

هل يمكن التأسيس للقيمة والمعرفة والغاية والأخلاق في غياب الإله؟

لقد عاش الجنس البشري آلاف السنين تحت تأثير الدين، واستطاع الدين أن يوفر جميع أوجه الحياة الأخلاقية والقانونية والعقائدية وحتى اللغة، ومن ثَم فمن حقنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن إنتاج جيل ملحد إلحادًا كاملاً؟ لكي تنجح هذه المحاولة لابد من التنشئة في عزلة تامة عن كل دين وعن كل فن وعن كل دراما للوجود الإنساني، وإلغاء كل ما يمكن أن يَستحضر النشء أمامه من رؤيا لعالم آخر، وبالتالي إلغاء جميع الأعمال الفنية التي تُصور صراع الإنسان في العالم وتطلعه لعالم أفضل؛ لأن كل هذه الأمور ستؤدي إلى شعور الإنسان بالاغتراب في هذا العالم، وهو شعور ميتافيزيقي روحاني بحت.

في الواقع هذا أمر صعب في الوقت الراهن؛ لأن الملحدين يعيشون في ظلال الدين، ويمكننا أن نزعم أن كل أخلاق الملحد هي مجرد تأثر بالدين ومبادئه الأخلاقية الأساسية، بطريقة صامتة غير محسوسة ولكنها ثابتة، فقد تربى الملحد في ظلال الدين عشرات السنين وهو في نقده للدين يتأثر بأخلاق من ينتقدهم، – إن جوهر الإنسان في أخلاقياته وليس في طبيعته المادية هذه حقيقة ثابتة–.

إن أخلاق الملحد هي عطية الدين هكذا علينا أن نزعم إلى أن ينشأ مجتمع إلحادي كامل.

لكن بعيدًا عن زعمنا، سنحاول أن نتصور تصورًا إبستمولوجيًّا – معرفيًّا– مجرد صورة مبسطة للقيمة والأخلاق من منظور مادي إلحادي مُجرد بناءًا على رؤية الملحدين أنفسهم.

أثبت فلاديميير لينين – مؤسس الدولة البلشفية الملحدة– أن الأخلاق خدعة ميتافيزيقية، وقرَّر فريدريك إنجلز– أبو النظرية الماركسية – في كتابه "أصل العائلة والدولة والملكية الخاصة"؛ أن النظام الأُسري نظام برجوازي، وأن شيوع النساء وإلغاء منظومة الزواج هو الحل الأقرب لروح الإلحاد المادي.

لكن لماذا لا نكون أكثر تفاؤلًا وأكثر تنزلاً، ونفترض أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل بناءًا على أخلاق مثالية! أخلاق كاملة كالتي نادى بها الدين، أخلاق أصلية واضحة وراسخة في الذهن البشري!

لكن في هذه اللحظة **على دعاة الإلحاد أن يطلبوا من الناس مزيدًا من المثالية والتضحية، ربما أكثر مما طلب أي نبي من قومه بإسم الدين، فليس ثَمة إغراءات ماورائية، وليس ثمة تطلع أُخروي يبرر التضحية والإلتزام بالمُثُل العليا التي هي جوهر القضية الأخلاقية!** وكما يقول المفكر الإنجليزي جون لوك: " إذا كان كُل أمل الإنسان قاصرًا على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحيـاة هنا في هذه الدنيـا فحسب، فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبنـاء".

إنها معضلة وأي معضلة!

لكن سنتنزل مرةً أُخرى ونتصور أنه تم التاسيس للمجتمع الإلحادي الكامل، ونتصور أن هؤلاء الملحدين قرروا التضحية وتبني نموذج أخلاقي، إمعانًا في تحدي مجتمع المؤمنين، وقرروا أن يتركوا الشر والظلم، وقرروا أن يلتزموا بالأخلاق المثالية، هنا ستظهر المعضلة التي بلا حل، فداخل العالم الإلحادي لا يوجد معنى مادي للشر أو الظلم، فالشر أو الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ومحل الأحداث في عالم الإلحاد المادي، هو نفس المحل الذي تحدده القوانين الفيزيائية، و بما أنه لا توجد ذرة تخالف تلك القوانين، إذن كل حدث في الكون المادي قد وُضع في محله المادي، ولذلك المفترض ألا يوجد في المجتمع الإلحادي ولا في الكون المادي ظلم أو شر.

فالإنسان مُستَوعب تمامًا في الطبيعة، قوانين الطبيعة هي قوانينه، تسري عليه الحتمية المادية الفيزيائية بمنتهى الأداتية المعرفية، فلا يمكن الاستقلال برؤية متجاوزة أو مغايرة لما تفرضه المادة، وإلا لاعتبرنا أن للإنسان أصلًا آخر ومقدمة أُخرى وانهار الإلحاد.

أيضًا العقل مادة مُتلقية طبيعية لا تتجاوز هذا الإطار، والحالة النفسية الحاكمة في النموذج الإلحادي هي حالةً نفسيةً للمادة وليس للروح، وبالتالي لا يمكنُها أن تُخَطِّئ حالةً ماديةً أخرى، فحتى تناطحُ الذراتِ هو تصرفٌ لا خطأ فيه ما دام موافقًا للقوانين الفيزيائيةِ الصحيحة.

وطبقًا لهذه الرؤية الإلحادية المادية الحتمية فإنه في المرحلة التالية سيتنازل الإنسان عن مركزيته، فالإنسان من منظور مادي إلحادي ليس هو المركز بل المركز هو الطبيعة المادية وقوانينها وحتمياتها، وبالتالي سيحل محل مركزية الإنسان مركزية الطبيعة باعتبارها المُطلق الأول، وهذا يعني انهيار المشروع الهيوماني (مشروع الإيمان بالإنسان) وبذا يُصفَّى الإنسان على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري لحساب الطبيعة، وسيتم استيعابه تمامًا ويسقط في هيمنة المادية الحتمية، **ويصبح أي حديث عن الإنسان أو قيمه أو مركزيته هو حديث ملوث ميتافيزيقيًّا، ويتحول الإنسان إلى حيوان مادي مجرد ويعود للصراع الدارويني الذي دخل به التاريخ**

وفي هذا الإطار المادي التجريدي يصبح الحديث عن الهيومانية لغو فارغ، وتتحول الشعارات إلى سخافة لا معنى لها، فما معنى حماية المعاقين أو المرضى الوراثيين أو تقديم يد العون لهم؟

إن محاولة من هذا القبيل تأتي ضد الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، **وإذا كانت الرؤية الداروينية هي الرؤية الصحيحة وكانت حتمياتها هي الأصل الثابت، فلن يستوعب الإنسان أصلًا فكرة حماية المعاق أو تقديم يد العون للضعفاء، بل إن تعقيم المعاقين – منعهم من الإنجاب– هو الحل الدارويني الأمثل والأوحد.**

أيضًا في الإطار المادي الحتمي الإلحادي كيف تتم المناداة بمفهوم الإنسانية الهيومانية، في عالم يحكمه البقاء للأصلح؟ بل إن أيَّة محاولة لمعاندة هذا الإطار المادي هي محاولة فاشلة؛ لأنها تأتي ضد التطور وضد قوانين الحتمية المادية التي تسري على الوجود.

يقول الدارويني جيمس هِلْ James J. Hill " إن الثروات تُحدَّد تبعًا لقانون البقاء للأقوى" [١].

---

(١) Martin, James J. Hill pp 414-15.

ويقول تايل Tille " من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودي الإنتاج.. مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الدروينية؛ لأنه يتعارض أساسًا مع الإنتخاب الطبيعي natural selection وهو جوهر الداروينية"[١].

وطبقا لهربرت سبنسر Herbert Spencer فإن " فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بديهيات الانتخاب الطبيعي، وكذلك مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم".!![٢].

هذه هي الصورة التي يتيحها الإلحاد المادي، إنها المعادلة المستحيلة.. يستحيل أن يتم التأسيس للأخلاق داخل المنظومة المادية، **لا يوجد داخل العالم المادي الهيوماني ما يُفرح الإنسان أو يسليه، أو يؤسس لقيّمه أو يؤسس لمبادئه أو يؤسس لأخلاقياته، يستحيل أن يوجد داخل المنظومة المادية ما يجعل الإنسان إنسانًا.**

فالأخلاق والقيمة تمثلان ثغرة في النظام الطبيعي، **فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني**، ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات داروين العضوية أو حتميات دوركايم الإجتماعية، هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبِّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشِّر في العلوم الطبيعية والمؤشِّر في العلوم الإنسانية.

فالأخلاق تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة، فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق والله خلقها كاملة؛ لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وهذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

فالأخلاق عقليًّا غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها وقد تساءل ماندفيل Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري؟ وأجاب ببساطة: لا شيء بل لعلها تكون ضارة.

---

(1) Williams, Raymond. 2000. Social Darwinism. In Herbert Spencer's Critical Assessment. John Offer..

(2) Social Status, p.414-415.

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقليًّا إلى الآن، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية ترًّا، وقد ظهرا سويًّا مع الإنسان كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق التي يحملها، **إنها اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا.**

إن الإنسان يتحرك في الحياة وهو يعلم يقينًا أنه ليس مُفصل على طراز داروين، ولذا يرفض باستمرار إلحاح العلم المتزايد على أن الجنس الأبيض أفضل من الأسود، أو أن إبادة المعاقين والضعفاء خيرٌ للجنس البشري، أو أن الإنسان حيوان مادي، وهذا يؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يرفض التكليف الإلهي بداخله، وأن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني!

وتأتي النزعة الهيومانية الإنسانية الجديدة كتوكيد عجيب على هذا الأمر، فهي تستقي مبادئ غير مادية وغير علمية، تؤسس بها لمفاهيم مستقلة عن الوجود المادي، وتؤكد بها أن الإلحاد يرفض أن يكون إلحادًا، وأن الملحد في قمة إلحاده يترفع عن المادية الحتمية، ولذا لنا أن نتساءل: إذا كان الله غير موجود كما تزعمون، فلماذا التمحك في ظلاله؟

لماذا محاولة التأسيس لفلسفة هيومانية ملوثة ميتافيزيقيًّا؟

إذا كان الإنسان ابن المادة ومن المادة وإلى المادة، فلماذا الحديث عن سموه أو قيمته أو مركزيته؟

إن الهيومانية هي توكيد متزايد على أن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، وأن الإلحاد شيء والإنسان الروح والجسد شيء آخر تمامًا.

لقد حاول كهنة المادية الإلحادية الغربية بعيدًا عن هذه الرؤى الميتافيزيقية، تحليل ظاهرة الوجود الإنساني، فوجدوا أن الإنسان لا يعدوا كائن طفيلي لا يوجد ما يُميزه، ولذا فقد ظهرت دعوات تعميمية تُنادي بإلغاء التفرقة بين البشر والحيوانات والحشرات، بل والنبات، ومحاكمة كل من يتعرض للفيروسات أو دودة الأرض؛ لأنه بيولوجيًّا لا فرق بين الإنسان ودودة الأرض فكلاهما على نفس الدرجة من التطور النوعي.

يقول كريستوفر مانيز christopher manes: " لا يوجد مستند لرؤية البشر ككائن أرقي من غيره"[١].

وفي سويسرا ظهرت قوانين عدم إذلال النباتات[٢].

ويقول بيتر سنجر الأُستاذ بجامعة برينستون princeton university: " حياة رضيع ليست أغلى داروينيًّا من حياة شبمانزي أو خنزير"[٣].

و يقول الدارويني الأمريكي james lee :"يجب تقليل عدد البشر قدر الإمكان، يجب إيقاف الزواج وقتل الرُّضع" وقد اتخذ هذا الدارويني وسائل حقيقية لقتل البشر باعتبارهم طاعون، وحيوان طفيلي فاسد، وفي سبتمبر ٢٠١٠قُتل جيمس لي حين اتجه إلى موقع قناة ديسكفوري وأخذ ثلاث رهائن وكان معه بعض القنابل، إلا أن الشرطة لم تمهله وأردته قتيلاً، قبل أن يُنفذ مخططه الدارويني[٤].

يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه الأشهر نهـاية التاريخ: "حقوق الانسان لها مشكلة فلسفية عميقة إذ لابد أولًا أن نفهم الإنسان قبل أن نبحث في حقوقه، نفهم طبيعة الإنسان، فالعلوم الطبيعية الحديثة تشير إلى أنه ليس ثمة فارق بين الانسان والطبيعة، وعندما نوسع في المساواة التي تنكر وجود أي اختلافات بين البشر فيمكن أن يشمل ذلك إنكار وجود اختلافات هامة بين الانسان والقردة العليا، وتنشأ عن ذلك أسئلة لا حصر لها، إذ كيف يكون

---

(1) christopher manes , the green rage.

There is no basis for seeing humans as more advanced or developed than any other species .

(2) http://planetsave.com/2008/10/18/switzerland-places-ban-on-the-humiliation-of-plants. /

(3) http://www.lifesitenews.com/news/princeton-professor-singer-and-i-repeat-i-would-kill-disabled-infants.

(4) http://abcnews.go.com/US/gunman-enters-discovery-channel-headquarters-employees-evacuated/story?id=11535128.

قتل البشر غير مشروع، في حين قتل هذه الحيوانات ليس كذلك، وسنصل حتمًا في مرحلة ما إلى السؤال التالي: ولماذا لا تتمتع الطفيليات المعوية والفيروسات بحقوق مساوية لحقوق الإنسان؟

إن عدم اهتمام الناس بهذه المساواة يوضح أنهم لا يزالون يؤمنون بمفهوم ما عن تفوق قدر الانسان، وحتى حماة الطبيعة وحماة الحيوانات، هم فقط يدافعون عن الحيوانات لأنهم يحبون بقائها معنا، ومجرد إفنائها لا سبيل لتعويضه مع ضياع فوائد ربما تُكتشف منها مستقبلاً، فحتى حماة الحيوانات هم للإفادة منها وليس من أجلها وهذا عكس حقوق الحيوان، **إن مفهوم التوسع في المساواة أدى إلى حيرتنا الراهنة، إننا لو كنا نؤمن حقًّا أن الإنسان مجرد كائن في سلسلة حيوانية يخضع لقوانين الطبيعة ليست له قيم متجاوزة، هنا كان لابد أن تتساوى الكائنات جميعًا في الحقوق، وسيتعرض ساعتها المفهوم المساواتي للبشر للهجوم من أعلى ومن أسفل، ولا يسمح لنا هذا المأزق الفكري الذي أوقعتنا فيه النسبية الحديثة بأن نرد على هذا الهجوم أو ذاك، وبالتالي لا يسمح لنا بالدفاع عن الحقوق المساواتية** – فإما طبقية متفحشة أو مساواتية مستحيلة –"[١] .

إنه تحليل مدهش وحقيقي للمأزق الهيوماني، فإن فرانسيس فوكوياما يرى أن المساواة مستحيلة داخل المجتمع المادي، حيث يتحول الإنسان داخل هذا النموذج إلى كائن قانع بسعادته غير قادر على الإحساس بالخجل عاجز عن الارتقاء فوق مستوى احتياجاته وبالتالي فإن الإنسان لم يعد إنسانًا[٢].

---

(١) المصدر: فرانسيس فوكوياما.. نهاية التاريخ وخاتم البشر. ترجمة: حسين أحمد أمين.. الطبعة الأولى ١٩٩٣ مركز الأهرام للترجمة والنشرص ٢٥٩ والكلام له بالحرف إلا ما بين – –.

(٢) المصدر السابق ص ١٧.

أليس الإنسان الكامل في هذه الصيغة هو كائن فج جدير بالإحتقار- والكلام لفرانسيس فوكوياما- كائن عاطل عن الإجتهاد والطموح - وهنا تضيع ملحمة الوجود الإنساني و دراما الحياة الإنسانية.. لقد مات الإنسان في النموذج المادي[١].

بل إن فرانسيس فوكوياما يصف الملحد في هذه المرحلة بالكلب، يقول فوكوياما: إنه داخل ذلك العالم سيصبح الناس حيوانات من جديد كما كانوا قبل المعركة الدامية التي بدأ بها التاريخ، إن الكلب يقنع بالنوم في ضوء الشمس طوال اليوم شرط أن يُطعموه، وذلك لأنه راضٍ بما هو عليه ولن يقلقه أن غيره من الكلاب حالها أفضل من حاله، أو أن مستقبله ككلب قد جُمد أو أن كلابًا في بقعة نائية من العالم تصادف المذلة والهوان[٢]

و يتنبأ فوكوياما في صفحة ٢٧٤ من كتابه أن حياة مجتمع مادي إلحادي هيوماني كامل هي حياة بلا فنون ولا أدب ولا دراما ولا كفاءة، وقليلون سيتصدرون للخدمة العامة وستكون الحِرف مبتذلة وغير متطورة، وفي مرحلة ما سيكون هذا المجتمع عاجزًا عن الدفاع عن نفسه في وجه الحضارات الأُخرى حيث الحضارات الأخرى أصحابها على استعداد لهجر الراحة والأمن ويخاطرون بحياتهم من أجل القيمة.

وإذا كانت الهيومانية تسعى للتأسيس لفلسفتها في إطار العلم بعيدًا عن الدين، فماذا لو أثبت العلم أن العِرق الأبيض أفضل بيولوجيًا من الأسود؟ وأنهم في مرتبة أعلى في سلم التطور، هل سيتم الفصل العنصري بين البيض والسود داخل المجتمع الإلحادي الهيوماني؟ أم ستتم معاندة العلم والبيولوجيا ومعاندة الإنتخاب الطبيعي وإقرار المساواة بين البيض والسود، وساعتها ستكون أكبر خيانة للتطور وأكبر ضربة للماديين؟

بالمناسبة: هناك آلاف الأبحاث التي أثبتت تفوق الجنس الأبيض على الجنس الأسود ماديًّا وبيولوجيًّا، منها قديمًا أبحاث عالِم الإنسانيات الشهير صموئيل مورتن Samuel Morton وأبحاث لويس أجاسي louis agassiz الذي كان يقول بأن البيض ليسوا سفَّاحين حين أبادوا الهنود الحمر، ولكنهم يتبعون قضية حتمية في تشكل الأعراق، فهذه هي

---

(١) المصدر السابق ص١٨ إلا ما بين --.

(٢) المصدر السابق ص٢٧١.

حتمية العلم، وحديثا ظهر كتاب قوس الجرس bell curve أكثر الكتب مبيعًا في السبعينـات، وهو الكتاب الذي يتحدث عن أنه لا فائدة من تعليم السود أو تحصينهم من الأمراض؛ لأنهم أضعف عقلًا وأفقر ذهنـًا من البيض ولابد من إنفاق المـال في أُمـور أكثر فائدة.

ماذا لو أثبت العلم تفوق الرجل على المرأة ماديًّا؟ وأن الرجل في مرتبة أعلى بيولوجيًّا من المرأة، هل ستتم المساواة بين الجنسين داخل المجتمع الإلحادي، أم سيكون هذا مطلب غير علمي غير عقلاني عبثي ميتافيزيقي يقف في وجه التطور وحتميات الطبيعة؟

بالمناسبة: المرأة طبقًا لأدبيات التطور لها تصنيف في السلسلة الحيوانية مستقل تمامًا عن تصنيف الرجل، فالمرأة تندرج تحت تصنيف Homo parietalis بينما الرجل تحت تصنيف Homo frontalis فدراسة حجم الجمجمة في القرن التاسع عشر أثبتت وجود فرق جوهري في حجم المخ لصالح الرجل بمقدار ١٢- ١٩ ٪ وكتب كارل بروكا brucca يقول أن مخ المرأة أضعف بكثير من مخ الرجل.

فحجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا، والمرأة تأتي في المرحلة السفلى من مراحل تطور الإنسان[(١)].

ويرى داروين أن المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل، وإضفاء البهجة على البيت،- فالمرأة في البيت أفضل من الكلب-[(٢)].

هذه هي الرؤية الإلحادية الهيومانية للإنسان بصورتها الحقيقية، فالإلحاد حرَّر أتباعه من أية أعباء أخلاقية، وإذا لم يتم تبني هذه الرؤية في المنظومة الهيومانية فهذا يعني انهيار الأساس الذي بُنيت عليه الهيومانية، وبالتالي استقاء عناصر غير مادية من خارج المنظومة الهيومانية، سيكون اعترافًا بعدم صلاحيتها كمنظومة فكرية مستقلة لتفسير المغزى الوجودي!

---

(1) Gould, The Mismeasure of Man, p.105.

(2) Charles Darwin, The Autobiography of Charles Darwin 180 1882, New York pp. 232-233.

إن الأمر الذي لا يجب أن نغفله هنا؛ هو أن الحروب العالمية كانت دائمًا نتاج المجتمعات الأرستوقراطية الملحدة، والإلحاد هو الذي زوّد الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين بإسم العرقية المادية، والبيولوجية الداروينية، ولن تتجاوز الهيومانية هذه الرؤية مهما تظاهرت بخلاف ذلك، وعلى الهيومانية أن تتبنى بمنتهى الهدوء اليد الخفية عن آدم سميث، والمنفعة عن بنتام، ووسائل الإنتاج عند ماركس، والجنس عند فرويد، وإرادة القوة عند نيتشه، وقانون البقاء عند داروين، والطفرة الحيوية عند برجسون، والروح المطلقة عند هيجل، وإلا فالهيومانية ستُعتبر تمرد على المادية الحتمية[١].

هذا هو الإلحاد الهيوماني عند التطبيق، وهذا هو أصل معركته وشعارها ودثارها، وفي هذا السبيل قامت حربان عالميتان أُبيد فيهما قرابة ١٢٠ مليون نسمة، وكانت حروب من الدموية بحيث أرجعت كلًّا من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، فالحربان العالميتان اللتان أبادتا حوالي ٥٪ من سكان العالم كانتا نزاع إلحادي- إلحادي، وقام الفلاسفة بوضع مبولة في وسط باريس بدلًا من تمثال الجندي المجهول كنايةً عن نهاية الحضارة.

وقد اعتبر الليبرالي الشهير - رئيس الولايات المتحدة السابق - جون كوينسي آدمز John Quincy Adams أن حرب البيض ضد الهنود الحمر هو قانون الطبيعة، ولهذا القانون تطبيقاته الواسعة جداً"[٢].

فاستئصال طبقة كاملة من الناس، وتفريغ قارتين كاملتين من البشر- تفريغ الأمركتين من الهنود الحمر- ما كان ليحدث لولا الرؤية المادية للوجود الإنساني، وقد اعتبر الليبراليون الأوائل أن إبادة الهنود الحمر نوع من الدفاع الشرعي، ونتيجةً لذلك: تقلّص عدد الهنود الحمر من ١٠ مليون الى ٢٠٠ الف نسمة خلال سنوات قليلة ولذا يقول سيمون بوليفار

---

(١) العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة د. عبد الوهاب المسيري دار الشروق طبعة ٢٠٠٢ المجلد الأول ص٢٤٠.

(2) Robert Remini, John Quincy Adams.(٢٠٠٢)

Simón Bolívar محرر أمريكا اللاتينية: "يبدو ان الولايات المتحدة تسعى لتعذيب وتقييد القارة باسم الحرية" [(١)].

وليست إبادة الملايين في أرخبيل الكولاج The Gulag Archipelago على يد الملحد لينين والملحد ستالين، إلا من خلال مبرّر إلحادي شيوعي، وليست إبادة ٢٢٪ من سكان كمبوديا إلا بمبرر إلحادي على يد بول بوت pol pot، وليست إقامة الحرب العالمية الثانية كلها إلا بمبرر قومي مادي عِرقي ألماني على يد أدولف هتلر، وليست الثورة الثقافية في الصين التي راح ضحيتها ٢٢ مليون نسمة إلا بمبرر إلحاد ماوي Mao zedong، فالحرب في الإلحاد غاية في ذاتها، والمكاسب المادية وتفريغ القارات من البشر، وتطهير الأعراق ليست كلها إلا إفرازات داروينية مادية، ورؤى عِرقية طبيعية، وهذه الرؤى هي التصور المستقبلي للهيومانية حال التطبيق!

يقول ريتشارد فيكارت Richard Weikart: " لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب ميزان الأخلاق رأسًا على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه، لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم، بأن أبشع الجرائم العالمية، كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة" [(٢)].

لكن الإنسان له روح خاصة مستقلة عن جميع المخلوقات؛ فهو ليس مُفصّلًا على طراز داروين، ولم يوجد من أجل الصراع، إنما وُجد لعبادة الله من إقامة الحق أيـًّا كان مَن اتبع الحق سواء كان أبيض أو أسود، أما العقل الإلحادي المادي الهيوماني فقد قام بتفكيك البـشر بصـرامة بالغة ليس فيها موطنٌ للمشاعر الإنسانيّة، والقِيَم الروحيّة.

إن البحث عن السعادة على الأرض من منظور إلحادي هو شكل من أشكال الغرور الإنساني، وهو يعني القول بمركزية الإنسان، وأن له مكانًا خاصًا في الكون وبداهة لا يمكن القول بوجود غائية إنسانية مستقلة عن الغائية الطبيعية أو المادية.

---

(١) ناعوم تشومسكي الايديولوجية والاقتصاد ص٦.

(2) Richard Weikart.. from Darwin to Hitler.. p.215.

ولا يأتي الإيمان بمركزية الإنسان وقيمته وسموه إلا بالإيمان بمُطلق أعلى يتجاوز المادة، فالمساواة بين البشر هي مسألة دينية بحتة، فإذا لم يكن الله موجودًا، فالناس بجلاء وبلا أمل غير متساوين، وتأسيسًا على الدين فقط يستطيع الضعفاء المطالبة بالمساواة.

ولذا يقول الدكتور المسيري رحمه الله: إن الإله هو التركيب اللانهائي المفارق لحدود المُعطى النهائي، هو النقطة التي يتطلع إليها الانسان ويحقق التجاوز من خلالها، ومن ثَمَّ بغيابه يتحول العالم إلى مادة طبيعية صماء، خاضعة لقوانين الحركة والصيرورة التي يمكن حصرها وإحاطتها والتحكم فيها، وينضوي الإنسان تحت نفس النمط؛ إذ بغياب الإله يتحول الإنسان إلى كم مادي يمكن أدلجته وقولبته في إطار مجموعة من المعادلات الرياضية الميته، وفي هذه اللحظة تموت الروح ويتبعها موت الإنسان، فالإيمان بالإنسان وقيمته ومركزيته وسموه هو إيمان يتجاوز حركة المادة وديناميكيتها... فعندما يُقرر الإنسان أن ينسى الإله في هذه اللحظة بالذات يكون قد نسي نفسه ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر:١٩].

فالإنسان كائن أقدامه مغروسة في الوحل وعيونه شاخصة للنجوم.

كائن ميتافيزيقي يسأل أسئلة نهائية عن معنى الكون.

أقصى مُتعة لا تكفي إنسان يعلم أن وُلد ليموت.

بدون وجود إله تفقد كل الكائنات حدودها وحيزها وتنشأ إشكاليات في النظام المعرفي والأخلاقي، وتفقد الأشياء حدودها وهويتها ويَصعُب التمييز بينهما، كما تَختفي التفرقة بين الخير والشر، وتختفي الإرادة والمقدرة على التجاوز وتسود الواحدية والحتمية، وقد اختصر رئيس التشيك فاكيلاف هافل هذه الإشكالية الكبرى فقال عبارته الرائعة: " حينما أعلنت الإنسانية أنها حاكم العالم الأعلى، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بُعده الإنساني ". فالفلسفة الهيومانية ضحَّت أول ما ضحَّت بالإنسان.

ومنذ اللحظة التي هبط فيها الإنسان من السماء منذ المقدمة السماوية لا يستطيع الإنسان أن يختار أن يكون حيوانًا بريئًا أو يكون إنسانًا مُخيَّرًا، لم يكن بإمكانه أن يختار بين أن يكون حيوانًا أو إنسانًا، إنما اختياره الوحيد أن يكون إنسانًا أو لا إنسانًا: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

فالإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش

هذا هو الإنسان وهذه هي طبيعته الحقيقية، وعلى الهيومانية أن تتقبله في هذا الإطار، وأن تستمد قيم معرفية متجاوزة، وأن تتجاهل الرؤية المادية الإلحادية الداروينية كتحليل لظاهرة وجوده، وهذا يعني أنها لن تصبح هيومانية وإنما دينًا جديدًا، وفي هذه اللحظة تفقد أهم سماتها وخصائصها، وينهار المشروع الهيوماني ككل.

الفَصلُ الثَّالِثُ

شبهات الإلحاد الجديد

مُقَدِّمَة

مؤتمرات تثبيت عقيدة الإلحاد الجديد التي تجري على قدمٍ وساق داخل كنائسهم، مادتها الوحيدة هي شبهات حول الدين، فلا يملك الإلحاد حُجة مستقلة فحُجج المنطق نوعان، حُجج سالبة weak وحُجج موجبة strong وجميع حجج الإلحاد من النوع السالب، فهذا هو أصل الإلحاد، فلا يملك الإلحاد حُجة واحدة تدعمه وإنما يتغذى على نقد ما عند الآخر، ولذا يقول الله تعالي في كتابه العزيز ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨].

فليس عندهم علم مستقل يؤسس لكفر، وإنما غاية جهدهم نقد الآخر، ولذا يترك أحدهم الدين ثم يصبح كالبيت الخرب تصفر فيه الريح، ولا يحتله ساكن جديد إلى أن يتحول الملحد إلى أحد المذاهب التي يعترف هو مسبقًا بفشلها في تقديم حل متكامل، فيتحول الملحد إلى ليبرالي أو شيوعي أو سادي مازوخي أو بوذي أو يعبث بالغازات الكونية –الآرجون–، أو يصير من عبدة الشيطان، أو يتهجم كالتائه إلى أن تأتيه منيته وهو على ذلك.

ونحن في هذا الفصل سنعرض لأشهر الشبهات التي يروجها الإلحاد الجديد في ندواته، وسنُدمر أُسسها– إن شاء الله–..

وجود الشبهة في أصلها يعني نهاية الإلحاد

عندما يأتي ملحد بشبهة فهو قد قرّر أن إلحاده انتهى:

فالشبهة تعني تمرد على قوانين الطبيعة المادية الحتمية، ودعونا نشرح هذا الأمر!

عندنا حامض وقاعدي... نضيفهم في المعمل.... تكون النتيجة ملحًا وماءًا... لو تكررت هذه التجربة مليار مليار مرة لن تتغير... قوانين حتمية..

الآن المحلد يقول: لا لا لا....... يمكن ان تكون النتيجة عسل أبيض وليس ملح وماء...، ثم فجأةً يكتشف العسل أنه المفترض أن يصير ملح وماء فيعرف خطأه الشديد ويندم.

هذا هو السيناريو الذي يدعمه الملحد عند طرح أي شبهة والمفترض أن نُصدقه والمطلوب أن نُسايره.!!

الآن الملحد تحكمه قوانين حتمية مادية كالتي تحكم الحامض والقاعدي، لن يفر منها... السؤال هو: **كيف استوعب وجود الخطأ.. كيف يندم عليه.. هل يوجد خطأ أصلاً..؟**

هل يوجد أخلاق مُطلقة أصلاً، ينطلق منها لنقد ما عند الآخر؟

الآن الأخلاق لا علاقة لها بقوانين الطبيعة، بل تسير عكس القانون فهي تأتي دائمًا ضد المصلحة الشخصية وضد المادة.. إما أن يأتي الملحد بمبرر مادي للأخلاق، وإثبات مطلقيتها، وإلا لا شبهة لديه ولن يستوعب وجود الشبهة أصلاً؟

صراحةً الملحد العربي طيب.. يظن أن الإلحاد هو كفر بالله ثم يولي هاربًا – خطف طواقي بالمصري– لا يا صاح.... إما أن تُكمل الإلحاد بجميع قوانينه وإلزاماته وإما أن تُعلن عن سخافته وسطحيته!

الله غير موجود بالنسبة للملحد، والقوانين مادية حتمية مجردة، ونحن حيوانات في سلم تطور، والذرات التي تحكم وجودنا لا معنى لها، أضِف إلى ذلك أنه لا غاية للوجود ككل، ولا قيمة للإنسان، ولا مركزية لجيناته، فقط الانتخاب الطبيعي يستولي علينا رغم أنوفنا. هذه هي أركان الإلحاد أليس كذلك؟

هذه قواعد الإلحاد التي لن يستطيع الملحد الفرار منها والتمحك في الأخلاق اللامادية..!

لا يوجد تفاعل كيميائي يفرز الضمير، وبالتالي وخز الضمير الأخلاقي هو خدعة ميتافيزيقية!

ولا يوجد تفاعل كيميائي يسير عكس الاتجاه، إذن التمرد على الداروينية والانتخاب الطبيعي يعني أنهما مجرد أُسطورة سخيفة.

تخيل قررت الالكترونات فجأةً أن تتمرد على الدوران حول النواة وقررت التوقف؛ لأن ضميرها لا يسمح لها بالدوارن المجهد أكثر من ذلك، هل أنا مطالب بتصديق هذا السيناريو الساذج؟

والإنسان ليس أكثر من نواة وإلكترونات ولا يوجد داخل الإنسان سوى ذلك، ولا يدخل في تركيبة الإنسان إلا نواة وإلكترونات في كل مكان بجسده لا أكثر ولا أقل.

إذن فالإنسان ليس هو المركز بل المركز هو النواة والإلكترونات، المركز هو الطبيعة المادية وقوانينها وحتمياتها وبالتالي قوانين الطبيعة هي قوانينه، وقد نجح هتلر في فك هذه الشفرة بكفاءة غير عادية حينما قال: " يجب أن نكون مثل الطبيعة، والطبيعة لا تعرف الرحمة أو الشفقة " وقد تبع في ذلك داروين ونيتشه ودوركايم وفرويد.

"إذا لم تتخذ لنفسك إلها فلابد أن تُقدم احترامك لهتلر أو ستالين". كما يقول إليوت في روايته الأرض الخراب.

"إذا لم يكن ثمة إله ولا دين فليس غريبًا ولا مجافيـًا للواقع أن تعيث في الأرض فسادًا ولو على حساب الآباء والأبناء " كما يقول جون لوك

"إذا لم يكن لك دين فلا مانع أن تخونك زوجتك ويسرقك خادمك " كما يقول فولتير.

إذن إما أن يقدم الملحد دليلا ماديًا على الأخلاق، ثم يؤسس لشبهته وإما أن يصمت للأبد..

إما أن يبرهن عقليًّا على القيمة وعلى الصواب وعلى الخطأ وإما أن يعلن نهاية الإلحاد!

ليس له حل ثالث.

فالإنسان في حقيقته له أصل آخر وله معنى آخر ويستقر في ذهنه أنه ليس ابن هذا العالم، ولذا هو يصارع من أجل المثالية، من أجل الحق، من أجل الخير، من أجل المصالحة بين الضمير والمصلحة.. بين الرغبة والواجب. ولذا هو يرى الشبهة وينتقدها، هذا هو الإنسان وهذه هي حقيقة وجوده سواءً سلّم بذلك أم جادل واستكبر!

- **أشهر عشرين شبهة يطرحها الإلحاد الجديد مع الرد الموجز!**

(١) قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرّ حِين غَرَبَتْ الشَّمْس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَب؟**». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُوله أَعْلَم. قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَب حَتَّى تَسْجُد تَحْت الْعَرْش فَتَسْتَأْذِن فَيُؤْذَن لَهَا وَيُوشِك أَنْ تَسْجُد، فَلَا يُقْبَل مِنْهَا وَتَسْتَأْذِن فَلَا يُؤْذَن لَهَا وَيُقَال لَهَا: اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُع مِنْ مَغْرِبهَا فَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى:** ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس:٣٨]».

الإجابة: العرش قُبة السماء ويحيط بالكون من كل جهة كما قرر شيخ الاسلام – ابن تيمية– من مجموع الأحاديث في هذا الباب، وعليه فالشمس تحت العرش في كل وقت، وسجودها سجود صفة – تسبيح– وليس سجود هيئة، وهذا معلوم، وقبل يوم القيامة ستكون تحت مركز العرش، وساعتها ستتوقف وتطلع الشمس من مغربها.

(٢) ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فَعَلا مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مَنِيُّ المرأةِ مَنِيَّ الرجل أنثا بإذن الله.

الإجابة: ماء الرجل والمرأة به إعجاز علمي حيث إن الحموضة والقاعدية لإفرازات المرأة تؤثر على استقطاب البويضة affinity للحيوان المنوي من نوع اكس أو واي، والسائل المنوي قاعدي وإفرازات المرأة حامضية، فأيهما زادت نسبته زاد الترجيح للاستقطاب بحسبه!

(٣) الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب كيف؟

الإجابة: الصلب هو العمود الفقري والترائب هي الضلوع، وهذا هو المكان الجنيني للخصية والمبيض، وبعد نزول الخصية في مكانها تظل تُغذيها أوردة وأعصاب خارجة من نفس المكان الجنيني، وهذا من عجائب الخلق، يعني المفترض أن الخصية يغذيها شريان بجوارها وهكذا أغلب الأعضاء، لكنك تجد أن الخصية يغذيها شريان ينزل من الأعلى من المكان الذي وُجدت فيه في المرحلة الجنينية، ويُغذيها عصب يخرج من مكان تواجدها أيضًا في المرحلة الجنينية، فصار خروج الحيوان المنوي ظاهريًّا من الخصية وحقيقةً من بين

الصلب والترائب؛ لأن مكان تغذيته ومصدر الإشارة العصبية التي تطلقه جاء من ذاك المكان - المكان الجنيني الموجود بين الصلب والترائب!

(٤) ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك:٣٠]، لكن الآن المضخات الغاطسة تستطيع أن تأتي بالماء من أي عمق.

الإجابة: الماء الذي نحصل عليه بالغاطس - الطلمبات - هو ماء نابع ومعين، ويَعرف ذلك حتى قدماء العرب منذ أيام الشادوف، أما غور الماء فهو بعيد عن ذلك تمامًا، فمثلًا لو افترضنا أن مسامية الصخور زادت فقط للضعف لغار الماء في بطن الارض، وما استطعنا إليه سبيلًا وساعتها لانهارت منظومة المياه الجوفية.

هل تعلم أن ٤٠٪ من البشر يعيشون على المياه الجوفية، أي يعيشون على نعمة أن مسام الصخور بهذا الحد الذي يتيح حفظ الماء وليس غوره بعيدًا في قلب الأرض، والله فقط يُذكرنا بهذه النعمة التي ربما لا نلتفت لها!

(٥) تفسير كل شيء بنسبته للخالق هو سد ثغرات معرفية لا أكثر.

الإجابة: بخصوص فكرة آلهة سد الثغرات المعرفية، فمستر فورد لم يكن جزءًا من الآليات الميكانيكية لآلة الاحتراق الداخلي في السيارة، ولم يكن خطوة من خطوات معادلات عملية الاحتراق؛ لكنه المسئول عن وجود الآلية التي تحمل بصمات عقله وعمل يديه!

فالعلم يرينا بصمات الخلق والتصميم والوعي والارادة والإيجاد والضبط والمعايرة الدقيقة.

فالإله الخالق ليس سد ثغرات كما يزعمون، وإنما هو تفسير ما علمناه وما فهمناه وهو تفسير لماذا العلم صار قادر على التفسير، ولماذا العلم موجود، فالإله ليس شرطًا لما نجهله بل هو شرطٌ لما نعلمه!

(٦) الكفر كالإيمان قضية لا تؤثر على تصرفاتك وقراراتك.

الإجابة: الكفر يؤثر على حياتك كلها ويجعلها بلا معنى ولا هدف ولا غاية، ويصور الوجود كله على أنه حالة عبثية وضياع واغتراب، وهذا مدعاة لخراب البلاد والأمم وتقويض أركان الأخلاق.

فالكفر يؤدي إلى القلق الدائم والسخط واضطراب نفسي لا يُحتمل، ففي غياب الإله تفقد الأشياء معناها وتميزها.

والكفر يجعل كل الأشياء مباحة، وهذا له أضراره الاجتماعية والنفسية والسلوكية التي لا تحصى، فيكون السبق لتحقيق الشهوة والرغبة لا الحق والعدل، ويُعجب كل ذي رأيٍ برأيه.

بينما الإيمان يولد الاطمئنان والرضا، والاستقرار النفسي.

(٧) الشواذ أو مثلي الجنس تبين أن السبب في ذلك جينات، و يخلق الانسان بهذا الميل الشاذ.

الإجابة: هذه خرافة علمية، ففي عام ١٩٩٣ قام عالم الجينـات الأمريكي دين هامر Dean Hamer بدراسة المؤشر الجيني Xq28 الموجود على الكروموسوم X وهذا المؤشر الجيني كان يُعتقد حتى وقت قريب أن له علاقة بالشذوذ الجنسي، وقام بالبحث في محاولة لإثبـات ذلك وبعد تجارب كثيرة تبين فشل الأمر، وتبين أنه لا توجد علاقة بين الشذوذ الجنسي والجينـات.

وفي هذا الإطار يجب ملاحظة أن ثقافة الشذوذ الجنسي، تفرض نفسهـا على المجتمع الغربي الآن، وتبحث لها من خلال العلم عن تبريرات منطقية!

ثم جائت أبحاث قِسم العلوم العصبية الإكلينيكية، بجامعة أونتاريو الغربية بكندا عام ١٩٩٩، ردًّا على بحث دين هامر Dean Hamer، وفي مرحلة لاحقة تراجع هامر بنفسه. فعمليًّا فشلت الأبحاث تمامًا في إيجاد تلك الصلة بين الشذوذ الجنسي والجينات[١].

---

(1) http://www.sciencemag.org/content/284/5414/571.summary.

وقد جاءت أبحاث التوائم المتماثلة –الذي تتطابق جيناتها– لتقضي على أي أملٍ لدعاة الشذوذ الجنسي.

فالتوأم المتماثل لا تسوده نفس الميول الجنسية بل تختلف تمامًا[1].

Identical twin studies prove homosexuality is not genetic

(٨) السماء سقف وبناء، ويمكن أن تنهار!

الإجابة: نعم السماء بناء متكامل وسقف محفوظ ومرفوع، هذه المسألة أنا بحثت فيها في الفيزياء بنفسي، في عام ١٩١٦ لخص أينشتاين نظريته العامة في بحث نُشر في مجلة annalen derphysic وبيّن في أقل من ٦٠ صفحة أن الفضاء ليس مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو نفسه بنية أساسية تتأثر بطاقة الأجسام التي يحويها وبكتلتها، وقد علق ماكس برون على النظرية بقوله: " تبدو لي النظرية أنها أعظم إنجاز حققه الفكر البشري عن الطبيعة، وأنها أعظم تركيب مذهل يجمع بين النظرة الفلسفية الثاقبة والإلهام الفيزيائي والمهارة الرياضية".

إذن السماء مبنية ويمكن أن تسقط، بل ويمكن أن تنهار مادتها في أي لحظة، ويمكن أن تصطدم المادة المظلمة التي تُكون ٧٢٪ من مادة السماء بذرات عالمنا المادي، فينهار عالمنا المادي في أي لحظة، ويمكن أن تتحول أكبر الأفلاك في عالمنا إلى ثقوب سوداء وتنهار في أي لحظة.. إذن الله وحده هو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض.

(٩) الأرض ثابتة راسخة لا تحرك ومنبسطة.

الإجابة: أما عن ثبات الأرض، فالقرآن لم يقل أنها لا تتحرك، هذا من تزييف الملاحدة، وإنما قال برسوخها بالجبال وهذا أصل في الجيولوجيا.

---

(١) http://www.hollanddavis.com/?p=3647

هذه المسألة تعرضت لها بالتفصيل في موسوعة الرد على الملحدين الذعر –.

أما عن بسط الأرض فهذه حقيقة لا تمنع من تكورها، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إجماع علماء الإسلام على كُرية الأرض، والإجماع منقول منذ ألف سنة كما جاء في مجموع الفتاوى ٦ / ٥٨٧ بل وينقل الإجماع أيضًا ابن الجوزي وابن حزم.

ويقول ابن تيمية كلمة عجيبة: «وَأَمَّا مَنْ ادَّعَى مَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهُوَ مُبْطِلٌ فِي ذَلِكَ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ مَعَهُ دَلِيلا حِسَابِيًّا».

فالأمر قد حسمه القرآن وقال فيه كلمته: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر:٥]، ولا يكون تكوير إلا على سطح كرة!

(١٠) الشمس تحرك بالنسبة للأرض "تأتي الشمس من المشرق"، مع أن الأرض هي التي تحرك.

الإجابة: منذ سنوات قال لي أحد الملحدين: هل الشمس تغرب؟

ما يحدث هو دوران للأرض حول محورها في اتجاه معين وبزاوية معينة.. قلت إذن المطر لا ينزل فما يحدث هو تفاوت حجم قطرة الماء وكرة الارض على نسيج الزمكان، ولا يوجد شيء اسمه ألوان، ما يحدث هو امتصاص موجات وطرد أُخرى، ولا يوجد أصوات بل خلخلة للهواء، وهكذا يا صاح هذه الشبهات هي شبهات ملحدين سُذَّج!

اذهب لأكبر موسوعة ترجمية مثل bablyon english-english واكتب sun set وانظر الترجمة:

descent of the sun below the western horizon, setting of the sun; time when the sun descends, evening; decline, final stage

غروب الشمس هو نزولها عن خط الأفق.

أما شروق الشمس sunrise ** rising of the sun; dawn, time of day when the sun rises above the horizon; beginning, emergence

الآن ما معنى كلمة sun sit هل يوجد شيء اسمه جلوس الشمس.. سجود الشمس؟

set* فِعْل: يُقْعِد. يُجْلس sit* فِعْل: يَجْلِس. يَقْعُد. يسجد. ينعقد المجلسُ

الآن لو ذهبت لأحد المنتديات الإنجليزية المتخصصة وأخذت اعتراضات الملحدين وقلت لهم: لماذا يا إنجليز يا سُذَّج تقولون: جلوس الشمس؟ صدقني سيضحكون عليهم، لكن هذا غاية جهد الملحد مع القرآن، والحمد لله أن الله رد كيد الملحد إلى هذا الغباء.

(١١) القمر بينهن نورًا.

الإجابة: قائل هذا الكلام حاقد وكذاب؛ لأن القرآن يقول فيهن وليس بينهن، وفيهن أي داخلهن، أم يظن الملحد أن القمر خارج السماوات!

(١٢) ملائكة موكَّلة بالمطر والرعد والبرق، مع أن العلم أعطانا تفسير هذه الظواهر!

الإجابة: أحد مُسَلَّمات الفيزياء الإمبريقية اليوم، أن الظاهرة لا تقتصر أسباب وقوعها على جملة الأسباب التي تتراءى لعلماء الطبيعة، ألا يُخبرنا علماء الرياضيات التجريدية كل يوم أن طيران فراشة فوق سهول سيبريا قد يكون من الأسباب المُفضية إلى وقوع إعصار في أمريكا، فيما يُعرف علميًّا بتأثير الفراشة Butterfly Effect، ونظام الأسباب الكوني أشد تعقيدًا من الرصد الإمبريقي - التجريبي- وأيضًا أشد تعقيدًا من رصد الرياضيات الخطيِّة، وأساس العلم التجريبي يقوم على تسهيل التصور، وتقليل الفرضيات لتضييق دائرة الاحتمالات، وهذا أصل العلم التجريبي.

فمثلًا لا تمنع معرفة عملية الشحن الكهربي في الغلاف الجوي التي تُسبب البرق لا تمنع تلك العملية استصحاب قيام المَلك بإصدار الأمر، وحدوث البرق.

وأمر الملائكة من غيب الله تعالى المكنون الذي ستره عن البشر، فلا يعلم حقيقة أمرهم إلا الله عز وجل، وحركة السحاب وخلخلة الهواء، وتوزُّع شحنات الكهرباء لا يُخرِج الظاهرة عن إرادة الله سبحانه وتعالى.

(١٣) لماذا يولد أطفال مشوهين؟

الإجابة: لا فرق بين الذي يموت في سن المائة بضيق الشرايين التاجية، والذي يولد مشوهًا فالعبرة والمقياس لا تقاس بمعامل واحد في مسألة متشابكة كالإنسان، فربما المشوه يجد الوقت ليتدبر ويرتقي، وابن المائة سنة يرتع في الملذات ويسقط في الدركات.

لذا التبسيط واختزال المعاملات في معامل واحد أسلوب غير مقبول منطقيًّا وغير مقبول دينياً، ولكنه الحجة الوحيدة للملحد وبدون هذا الأُسلوب لن تستقيم له شبهة.

ثم إن التشوه من منظور آخر هو أكبر دليل على وجود الكمال فلولا الكمـال لما تصورنـا التشوه، والتشوه في أصله ليس مُصممًا مشوهًا، وإنما التشوه كما نعرف جميعًا هو خلل طارئ في ترتيب القواعد النيتروجينية، بسبب أخطاء الإنسان كتلوث البيئة ووسائل منع الحمل، والمواد الحافظة والعقاقير.

ثم إن العدالة الإلهية كما يقول الأستاذ العقاد: «لا تحيط بها النظرة الواحدة إلى حالة واحدة، ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل فى تصريف الإرادة الإلهية. إن البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونًا من ألوانها التى لا غنى عنها، أو التى تضيف إلى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يعجبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته».

ثم لو كان الله موجودًا فما المـانع أن تكون له حكمـة في تدبير الأمور، بل أليس هذا هو الأليـق به سُبحـانه؟

فما أبعد أحكامَه سبحانه وتعالى عن الفحص، وطُرقه عن الاستقصاء.

وقد جلَّى الله الحِكمة من أفعال الخضر لسيدنا موسى مع أنها أفعال تُعد ظاهريًّا مُنكرة وغير مستساغة، لكنها تكتنف على خير عظيم؟

وقصة موسى والخضر لم تأت في القرآن من باب السرد والحكايا؛ لكن من باب التدبر والإقرار بقصور النفس البشرية وحكمها المُتعجل.

ولا يجوز لملحد أن يحتجَّ في باب الحِكمة الإلهية بشيء؛ لأن الملحد بداهًة ليس كُلي العلم، ولا يعرف ما في غدٍ حتى يُقرر، ويعطي نظرة شمولية لمسألة لم يستوعبها.

ذكر الأصبهاني: أن نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل كان يجلس بالقرب من بئر ماء، فجاء فارس ليشرب، ثم وهو خارج من البئر سقطت حافظة نقوده ولم يلتفت إليها.. فجاء راعي غنم يرِد الماء فوجد حافظة النقود فوضعها في جيبه.. ثم جاء شيخ كبير ليشرب من البئر و جلس على حافة البئر يلتقط أنفاسه، فعاد الفارس باحثًا عن ماله فلم يجده فاتهم فيه الشيخ

الكبير فقتله.فقال النبي: يارب ضُرِبت عنق الرجل ولم يأخذ المال، وإنما الذي أخذ المال الراعي.. فجَّلِّ – فأظهِر – لي الحكمة..فأوحى الله إليه أن والد الفارس أخذ هذا المال من والد الراعي فرددت المال إلى الوارث، وأن هذا الشيخ قتل والد الفارس فاقتصصت منه.

الخلاصة: حُكم الملحد على الأمور التي تخفى فيها الحِكمة قاصرٌ بقصور الطبيعة البشرية نفسها، وبقصور نظرتها الإدراكية، فالاستيعاب الشمولي، والحُكم الكُلي، ليس مجال النفس البشرية ولا يقع في نطاق قدرتها القاصرة، وبالتالي فلا يحق للملحد أن يتحدث في باب الحِكمة الإلهية بشيء.

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

(١٤) لماذا يعذب الله عباده أبد الآباد مع أنهم عصوه فترة محدودة؟

الإجابة: علاقة العقاب بالعمل ليست علاقة تساوي زمني بالضرورة، بل هي علاقة سبب بالنتيجة.

مثلاً: في الدنيا رجل يدخن فتتلف رئته باقي عمره، هل نقول: دخن خمس سنوات إذن تتلف رئته خمسة سنوات من باب العدل؟

لاحظ أننا لا نرى هذه الاعتراضات في حياتنا.

مثال آخر: رجل سرق خلال ساعتين، هل ترانا نقول يسجن لمدة ساعتين عقابًا؟ لا لأن العلاقة ليست زمنية بين الخطأ والنتيجة المترتبة، وإنما هي علاقة سبب بنتيجة.

مثال ثالث: رجل شرب سمًّا فمات، لا نقول: هو شرب السم في مدة ١٠ ثواني، لماذا ذهب ولن يعود أبدًا؟

جاء في تفسير ابن كثير في قوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ [الملك:٢]، أي: خير عملًا كما قال محمد بن عجلان، ولم يقل أكثر عملاً.

يعني حتى على مستوى الحسنات والسيئات ليست العبرة مقتصرة على الكثرة والقِلة، وكلنا نعرف أحاديث من يدخل الجنة في كلب وتدخل النار في هِرة.

والله يقول: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [يس:٥٤]. مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه تشبيهات مع الفارق؛ لأن عقاب الآخرة ليس كعقاب الدنيا، ولكنها للتقريب فقط.. وكما يقال: لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عِظم مَن عصيت!

والذي ينتقد مسألة أبدية العذاب فعليه أن يأخذ في الحُسبان أبدية النعيم أيضاً، فكما أن هناك عذاب أبدي هناك أيضًا نعيم أبدي، وهناك مجانسة بين بعض النفوس المُجرمة وبين النار فيتطابقان في الآخرة، فالحاسد والحاقد والمجرم هؤلاء مأواهم هو دارهم وهو النار، أما عن كيفية التعذيب فهي غيب لم نَطَّلِعْ عليه، وليس لنا من الدنيا إلا المُسميات. فأهل النار مثلًا يتكلمون داخل النار ويتلاعنون، ويوجد في النار ماء حميم، وتنبت فيها شجرة من زقوم. وهكذا إذن الأمر غيب!

ولو عاد الكافر إلى الدنيا وأُتيحت له فرصة التكليف مرةً أخرى سيعود لكفره، وهذا ما جزم به القرآن الكريم ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام:٢٨].

فلو عاش الكافر أبدًا لكفر أبداً، أيضًا العذاب الأبدي مُختَلف فيه بين السلف، قال ابن مسعود: «ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»، وعن الشعبي: "جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعهما خرابًا"، وعن عمر رضي الله عنه: «لو لبث أهل النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه»[(١)].

ملحوظة: هذه الإجابة منقولة من منتدى التوحيد الإلكتروني، لكن بتصرف وإضافات.

بل لقد وقفت على أثر لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧]، قال: هذه الآية قاضية على القرآن كله -أي في خلود الكافرين في النار-.

---

(١) الدر المنثور ٣/ ٣٥٠.

وهو أثر صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه(١).

وهناك أثر لأبي هريرة: «ما أنا بالذي لا أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد»(٢).

والعلم عند الله وحده فإليه المآل وهو العالِم بحال العباد وبمقتضى آثامهم.

(١٥) الله يعلم ما أنا سأكون عليه حتى قبل أن يخلقني فلماذا سيُعذبني؟

الإجابة: مشكلة الملحد في هذه الشبهة أنه لا يريد إلهًا كُلِّي العلم. وكأنه يعيب على الله أنه يعلم ما سيحدث.

الله كلي العلم وهذا لا يمنع حرية الإختيار ﴿ وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:١٠]، بل يمكن أن نقول بنفس منظور الملحد أنه من الظلم ألا يخلق الله الكفار وهم يستحقون العقاب، ثم إن الكفار ليسوا مقهورين على الشر بل إن فطرتهم كانت سليمة، وهم حرَّفوها و لديهم عقل وأرسل الله لهم أنبياء ورسل وهم اختاروا الكفر، وليس من الحكمة وضع الرحمة لمن لا يستحقها.

ثم إن الأشرار لو لم يوجدوا لكان ذلك سببًا في عدم وجود بعض الأخيار وأفعالهم وصبرهم على شر الأشرار ودعوتهم للأشرار وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذن فالله تعالي أوجد الجميع وترك حرية الاختيار للكل، وهذا هو ما عليه مدار الأمر، ثم إن الله لن يظلم عباده ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٨]، فلا يقلق الملحد إلا على نفسه.

ثم إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف:٥].

(١٦) لو ذهبت للغرب تستطيع الدعوة للإسلام، بينما لو انعكست الصورة لن تسمحوا لأحد في البلدان العربية أن يُبشِّر بدينه!!

---

(١) جامع البيان للطبري والاسماء والصفات للبيهقي والدر المنثور للسيوطي ٣-٣٥٠.

(٢) ذكره بسنده ابن القيم في كتابه حادي الأرواح ٢٥٢ واسناده صحيح.

الإجابة: الغرب يقوم على منظومة الرأسمالية المادية الداروينية النيتشوية، فالمركز في الغرب ليس الدين وإنما المادية العلمانية، والآن اذهب وانتقد أُسس المادية تلك، صدقني سيطردونك وينثرون بضاعتك ودنانيرك، ألم تسمع فيلم المطرودون Expelled؟

بل إن الغرب يُشرِّع قوانين تحمي أذرع العلمانية؛ فمثلًا هناك ما يُعرف بقانون ضد منكري الهولوكوست Law against Holocaust denial، فالذي ينكر محرقة اليهود على يد النازي يُعاقَب بالسجن المُشدد لمدة قد تصل إلى ٢٠ سنة كما في النمسا[١].

وفي التشيك تصل مدة الحبس إلى ثمان سنوات.

وهناك ١٤ دولة أوربية تُجرِّم التشكيك في جرائم النازي، وتحبس فورًا مَن يكتب كلمة واحدة تخالف أذرع العلمانية تلك! [٢].

فالتشكيك في السائد في الدول العلمانية يُعد جريمة، وقد حُبس مؤرخين كبار في الغرب لمجرد كلمات تشكيكية في القناعات السائدة لدى قطاع كبير من الشعب، وخير مثال على ذلك ديفيد إيرفنج David Irving وجيمس كيجسترا James Keegstra

وقد حُبس إرنست زوندل لسنوات لمجرد التشكيك في الرقم ٦ مليون[٣].

وتضع الدول العلمانية قوانين استثنائية لتعقب حتى مَن يفكر في التشكيك في السائد "lone wolves". -تخيل!-.

والذي ينتقد الداروينية يُطرد خارج الجامعة، إذن أنت أخطأت في المقارنة، المفترض أن تُقارن بين منظومة ومنظومة، لا بين منظومة وفكرة داخل منظومة، فالدين في الغرب مجرد فكرة هامشية داخل منظومة مركز مادية، أما الدين عندنا فهو منظومة المركز.

(١٧) لماذا يقرر الدين الحرب المُقدسة؟

الإجابة: معركة الدين ليست مع أعراق أو أجناس.

---

(1) http://www.nachkriegsjustiz.at/service/gesetze/gs_vg_3_1947.php.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Laws_against_Holocaust_denial.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Ernst_Z%C3%BCndel.

معركة الدين لا علاقة لها بإبادة أو تطهير عِرقي.

معركة الدين لم تقم يومًا ما من أجل لون البشرة، وما تبع ذلك من تفريغ قارات بأكملها- كما حدث عند تفريغ الأمريكتين من الهنود الحمر-.

معركة الدين ليست بسبب جنس مختارfavoured race، ولا مقاس جمجمة محدد- كما تقرر النازية والقوميات الأوربية في الحربين العالميتين-.

معركة الدين الحقيقية مع الباطل، أينما وُجد، وفي أي مكانٍ قامت له دولة.

وهذا واجب الدين، بل لن يكون دين سماوي بدون مسئولية عُظمى كهذه تُلقى على عاتقه.

(١٨) الغنائم هي أصل الحروب الدينية وغايتها!

الإجابة: بل العكس هو الصحيح، فالغنيمة عبء وهَم، وتقليل للأجر الأُخروي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من غازيةٍ تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثيّ أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم**»(١).

(١٩) لماذا لم يُرسل الله رسالته إلى كل شخص بذاته دون الحاجة لرسل؟

الإجابة: هذا عدم استيعاب لفكرة التكليف؛ لأن الرسالة لو وصلت بتلك الصيغة فلن يكون هناك اختبار ولا دنيا ولا تكليف ولا ثواب ولا عقاب يترتب على العمل وترك العمل، لو وصلت الرسالة بهذه الصيغة، فكلنا سنؤمن وسيكون إيمان اضطراري، كالإيمان بوجود الشمس وأصل الإيمان الديني هو إيمان غيبي ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة:٣].

(٢٠) لماذا رسالة الله لم تصل لجميع البشر؟

الإجابة: هذه ليست شبهة ولا حتى فكرة؛ لأن الله لن يظلم عباده، وهذا ليس اختصاصك ولا اختصاصي، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٨]، ويقول تعالى: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء:١٥].

---

(١) صحيح مسلم ٣٥٢٨.

والذين لم تَقم عليهم الحُجة في الدنيا ستُقام عليهم يوم القيامة، ويوم القيامة مدته خمسون ألف سنة، أي أطول من عمر البشرية كله. فلا ينزعج الملحد ولا يقلق إلا على نفسه!!

فرضية تذبذب الفراغ الكمومي

وظهور جسيمات باستمرار في الفراغ الكوانتي

الكهنوت الإلحادي الجديد لا يمانع أن يستخدم لبوس العلم الزائف، في الترويج لدوغمائيته والهروب من الإلزام العلمي.

يقول مؤلف كتاب عالم داخل العالم: " إن نظرية الانفجار الكبير تؤدي بداهةً إلى عالم جاء من العدم، ولذا كان الفيزيائي الشهير [ستيفن واينبرج] يتمنى نظرية الكون الثابت الأزلي؛ لأنها أكثر جاذبية وأبعد عما نادت به الأديان "[١].

ويقول [جاسترو] في كتابه الخالق والفلكيون ص٢٩: "كانت صدمة الملحدين كبيرة بعد إثبات نظرية الانفجار العظيم.. ففكرة بداية الكون في الزمان هي فكرة تُقلق أي ملحد بسبب لوازمها اللاهوتية"[٢].

ونظرًا لكل ذلك أصبحت "فرضية تذبذب الفراغ الكمومى " quantum vacuum fluctuations " أشهر الافتراضات التى طرحها الفيزيائيون الملحدون؛ لتفسير نشأة شيء موجود دون أن يكون له مصدر وترى هذه التخمينات أنه يمكن للجسيمات تحت الذرية أن تنشأ وتختفى تلقائيًّا فى الفراغ وأطلقوا عليها "الفراغ الكوانتى quantum vacuum"، ويرفض عالم الفيزياء الكبير" بول ديفيز paul davies "، هذه الافتراضات تماما إذ أن تَشكُّل الجسيمات فى الفراغ الكمومى لا يمثل خلقًا للمادة من لاشئ، لكنه يحدث نتيجة لتحول طاقة موجودة فى هذا الفراغ إلى مادة، أي أن الفراغ هنا ليس عدمًا مُطلقًا وإلا فمِن أين جاءت هذه الطاقة؟

---

(١) عالم داخل العالم ص ٢٢٦.

(٢) كتـــــاب الفيزيـاء ووجود الخالق أ.د. جعفر شيخ إدريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة – واشنطن – الولايات المتحدة الأمريكية.

ولذا فعندما طرح [ستيفن هوكنج] هذه المسألة مجددًا قام [سير هيربرت دِنجل] Sir Herbert Dingle -رئيس الجمعية الفلكية الملكية بانجلترا- بتعنيفه بشدة لما في هذا الأمر من تضارب منطقى[١].

فالفراغ المذكور هنا هو فراغ كوانتي وهو فراغ اصطلاحي، فالفراغ موجود داخل الزمان والمكان والمادة والطاقة، في حين أن الانفجار الكبير جاء من اللازمان واللامكان، والمادة والطاقة ظهرا فجأةً ومعهما بدأ الزمان والمكان والانفجـار.

إذن النظرية الكمية لا يمكن تنزيلها على الإنفجـار الكبير، والنظرية الكمية تفترض لظهور الالكترون في الفراغ فجأة أن يكون في حدود الزمان والمكان أي فراغ اصطلاحي، وليس كما يحاول أن يروج الكهنة الملاحدة ولا نجد داعي لدخول العلم في هذا الخندق الضيق إلا للترويج لأفكار أيديولوجية مسبقة..!!

فالزمان والمكان لم يُخلقا إلا يوم أن خلق الله السماوات والأرض.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض كما في الحديث المتفق عليه.

فالمكان والزمان خُلقا مع الانفجار العظيم كما يقول بلوزو

It was not Just matter that was created during the big bang. It was space and time that were created. So in the sense that time has beginning,space also has a beginning.[٢].

يقول [وتكر]:" لا يوجد أساس لافتراض أن المادة والطاقة كانت موجودة ثم أثيرت فجأةً إلى الفعل، إذ ما الذي كان يمكن أن يميز تلك اللحظة عن كل اللحظات الأخرى في الأزل؟ افتراض الإرادة الإلهية أمر أيسر بكثير "..

---

(١) كتاب كيف بدأ الخلق د. عمرو شريف... مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى يناير ٢٠٠١ ص٧٨.

(2) Boslouh, Universe, p.64..

"There is no ground fir supposing that matter and energy existed before and was suddenly galvanized into action. For what could distinguish that moment from all other moments in eternity?... It is simpler to postulate creation ex nihili, Divine will constituting nature from nothingnes[1].

إن للكون بداية مُطلقة هذه ضربة قاصمة للملحدين!!

والآن وبعد أن تبين أن الانفجار الكبير لا علاقة له بفرضية تذبذب الفراغ الكمومى،"quantum vacuum fluctuations " نأتي إلى تفسير هذه الفرضية المدهشة ومعرفة كيف تحدث؛ لأنه حتى في الفراغ الكوانتي الكمومي يستحيل أيضًا أن يظهر شيء من العدم، فكل ما يحدث هو أنه عندما تقوم بتفريغ إناء من الهواء ومن كل شيء، فإنه فعلًا سيظهر إلكترون وإلكترون مضاد ثم يختفيان، وهكذا في كل لحظة، لكن هذه العملية تسمى بعملية اقتراض طاقة من المستقبل بشرط استردادها سريعًا كما تذهب للبنك وتسحب رصيد بنية استرداده منك بعد ذلك، وهذا بالضبط ما يحدث مع الإناء الفارغ في التجربة السابقة، وهذا لا يحدث إلا في مكان كوانتي مادي حيث تُستخدم الطاقة المُقترَضة في تخليق جسيم وجسيم مضاد سريعًا ما يصطدما ويُفني أحدهما الآخر، ويُنتجان طاقة هذه الطاقة هي الدّين الذي كان على الفراغ والآن قام بتسديده، ولذا فالتذبذب الكمومي لا يتعارض بداهةً مع قانون حفظ الطاقة، ويحدث هذا الاقتراض وإرجاعه لحظيًّا في الفراغ الكوانتي، وهذه العملية يسميها الفيزيائيون بالرغوة الكمية QUANTUM FOAM حيث الجسيمات في الرغوة الكمية تظهر وتختفي في جزء من الثانية ويمكن دراسة هذه المسألة بالتفصيل تحت باب الديناميكا الكهربية الكمية QUANTUM ELECTRIC DYNAMIC أو اختصارًا QED.

ولذا لو كانت الرغوة الكمية موجودة منذ البدء لكان الكون أزليـًّا، ولظهر كون جديد في كل جزء كل لحظة، وهذا لا يقوله إلا المجانين، وللإنسان أن يتساءل: لماذا يندفع الكاهن

---

(1) Jastro, Universe, p.122..

الملحد خلف هذه الأطروحات المستحيلة عقليًّا وعلميًّا وإمبريقيًّا، ويترك الصيغة النقية العقلانية المنطقية للدين؟ إن القضية كهنوتية بامتياز!

حيث يبدو أن نظرية الانفجـار الكبير بالفعل شيء محرج جدًّا للملحدين..!!

يقول [إرنو بزنزياس] الحائز على نوبل في الفيزياء:- "علم الفلك يقودنـا إلى معادلات مبهرة. هذا الكون الذي نشـأ فجـأة من لاشيء مَن الذي كان يملك كل هذه المقاييس والمعايير المذهلة.. مَن الذي كانت معه الخطة المسبقة للخلق؟ ".

يقول [آرثر إدنجتون] عالم الفيزياء الفلكية الشهير: "إن فكرة التدخل الإلهي في الكون أتصور أنها فكرة عادلة ومنطقية تماما طبقا للمُعطيات التي وفرهـا لنـا العلم.".

يقول عالم الفيزياء[توني روثمان Tony Rothman]: "عندمـا نجـابه روعة الكون وجاذبية الطبيعة، فإننـا حتمـا نشتاق أن نقفز من العلم إلى الإيمـان أنا واثق أن الكثير من الفيزيائيين يرغب في ذلك"[١].

يقول العالم الفيزيائي Frederick Bermham مؤلف كتاب تاريخ العلم Science historian: "في الوقت الحالي الأوساط العلمية تعتبر فكرة خلق الله للكون فكرة محترمة أكثر من أي وقت مضى منذ مئات السنين".

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Tony_Rothman.

ما هو مصدر الصفيحتين؟ شبهة طاقة الفراغ

تكملة للمقال السابق

في عام ١٩٧٨ قام طالب فيزياء عراقي، يُدعى محمد باسل الطائي، بتقديم رسالة دكتوراه في الفيزياء إلى جامعة مانشستر، هذه الرسالة تختص باللحظات الأولى لظهور الكون.

هذا الطالب هو الآن أحد علمـاء الكوانتم ويقوم بالتدريس بجامعة اليرموك بالأردن، ويكتب بانتظام في المجلة الدولية للفيزياء international journal of physics.

ومنذ بضع سنوات قليلة عادت موضة الفراغ الكمّي " التذبذب الكمومي " للظهور مرةً أُخرى، وهذه الموضة الجديدة تولى كِبرها ستيفن هاوكنج الفيزيائي الشهير صاحب القفزات الإعلامية في كتابه الأخير التصميم الكبير The Grand Design، وهنا قام الدكتور محمد باسل الطائي صاحب التخصص وصاحب رسالة الدكتوراة في هذه المسألة بتفنيد المسألة فيزيائيـاً من خلال عدة نقاط وعبر الكثير من شروحه ونُبسِّط أدلته كالتالي:

١- طاقة الفراغ تُمثلها الصفيحتان في هندسة كازيمير أو الكُرة في هندسة الزمكان.. ويستحيل أن تنشأ طاقة الفراغ بدون الصفيحتين أو بدون كُرة هندسة الزمكان.- وبداهةً لحظة الانفجار الكبير لم يكن ثمة زمكان ولا صفيحتين-.

٢- العدم لا يُمكن أن يتحول إلى طاقة ومادة.. ويحتاج إلى قوة خارجية.

٣- يفترض هاوكنج أن القوة الخارجية هي الجاذبية والآن السؤال من أين جاءت الجاذبية؟

٤- الفراغ الكمّي ليس هو العَدم، وإنما هو فراغ داخل الزمان والمكان، بينما الانفجـار الكبير بدأ معه الزمان والمكان.

٥- مَن الذي حدَّب هندسة الزمكان المسطح لكي تتخلق المادة؟

٦- الكون لم يكن موجودًا ثم وُجد، فالكون بكل طاقته وبكل كُتلته ظهر في لحظة.. وهذا يختلف تمامًا عن سيناريو الفراغ الكمي. [(١)].

ولذا يرفض عالم الفيزياء الكبير [بول ديفيز paul davies]هذه الافتراضات تمامًا إذ أن تَشكُل الجسيمات فى الفراغ الكمومى لا يمثل خلقا للمادة من لاشئ لكنه يحدث نتيجة لتحول طاقة موجودة فى هذا الفراغ إلى مادة أي أن الفراغ هنا ليس عدمًا مُطلقا وهذا ما فصّلنا فيه في المقال السابق.

بل إن هذه الجسيمات الافتراضية التي تخرج من الفراغ الكمي، لا قيمه حقيقيه لها ولا يمكن أن تتحول إلى جُسيمات حقيقية إلا بتفاعلها مع المادة نفسها.

وتعتمد كل موضات طاقة الفراغ الكمي في الأساس على ظاهرة كازيمير، وهي تفترض أنه عند وضع صفيحتين معدنيتين غير مشحونتين في الفراغ، ويفصلهما بضع ميكرومترات ولايؤثر عليهما أي مجال كهرومغناطيسي خارجي، فإنه ستظهر بين الصفيحتين قوة جذب وتم قياس هذه القوة فعلاً.

ومع أن ظاهرة كازيمير قد أثارت شروطها الحدية بعض الجدل إلا أننا سنفترض صحة الظاهرة وهنا ستظهر إشكالات أعمق بكثير.. فما هو مصدر الصفيحتين - حيث من خلالهما تتحول الجسيمات الافتراضية إلى حقيقية وتُظهر طاقة جذب -، أيضا الفراغ المذكور هنا هو فراغ كوانتي وهو فراغ اصطلاحي وليس العدم المُطلق.

أيضا طبقًا لمبدأ عدم اليقين لهايزنبيرج؛ فإن أي فراغ عندما نقيس طاقته يستحيل أن يكون صفرًا ويستحيل أن يكون أقل من ثابت بلانك، وأن هناك حد أدنى من الطاقة وبالتالى فليس هناك شيء اسمه فراغ حقيقى فى الكون، ولا يوجد شيء اسمه عدم تام من كل شيء.

بل إن هذا الفراغ الكمي بهذه الصورة التي يصوغها الملحد يُناقض قانون حفظ الطاقة وهو قانون من قوانين الكون ويستحيل انتهاك هذا القانون، فالنقطة الأساسية في كل الأحداث الفيزيائية هى أن الطاقة والزخم محفوظان فى كل التفاعلات، وبالتالي فإن نيافة الأنبا الملحد

---

(١) بروفيسور محمد باسل الطائي video sources.

بهذه الصيغة يواجه قانون من قوانين الكون من أجل تسويغ إلحاده، وإيجاد مبرر عقلاني له وتمريره على السُّذج.

فالفراغ الكمي موجود داخل الزمان والمكان والمادة والطاقة أما الانفجار الكبير فلا زمان ولا مكان ولا مادة ولا طاقة.

أيضًا يفترض الفراغ الكمي حد أدنى من الطاقة zero-point energy كشرط أساسي وهذا عكس العدم تمامًا.

☜ المفاجأة:

مؤخرًا أثبت العلماء أنه يوجد طاقة وجسيمات لا حصر لها داخل أقل وحدات القياس، وهذا الأمر استنتجه بول ديراك قديمًا في معادلاته وكان يُسميه بحر ديراك، بل إن أينشتاين نفسه تحدث عن هذا الأمر في عام ١٩١٦ حين قام بتلخيص النسبية العامة في بحث نُشر في مجلة annalen derphysic، وأوضح أن الفضاء ليس مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو نفسه بنية أساسية تتأثر بطاقة الأجسام التي يحويها وبكتلتها، فالفضـاء مبني فيزيائيًّا ولا يوجد عدم منذ الانفجـار الكبير، فالفضـاء والكون كله مبني بالجسيمات التي لا حصر لها ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧].

إذن الفراغ الكمِّي له ثلاثة شروط، لو تخلَّف واحد منها سيتحول إلى سراب ولن تظهر طاقة الفراغ

الشرط الأول: لابد أن تخرج طاقة الفراغ من حد أدنى من الطاقة.

الشرط الثاني: لابد أن تكون مُحاطة بمادة حتى تتحول إلى جُسيمات حقيقية وإلا ستظل سرابًا.- الصفيحتين في هندسة كازيمير والكُرة في هندسة الزمكان -.

الشرط الثالث: لابد أن يجري كل هذا داخل حدود الزمان والمكان فالزمان والمكان شرط جوهري في ميكانيك الكم.

فالذي انتهى إليه العلم أن الكون كله جاء من العدم في لحظة.. وكل قوانين الفيزياء ظهرت في لحظة، وأنه لم يكن ثَمة فيزياء ثم ظهرت الفيزياء بعد... فسبحان بديع السماوات

والأرض وخالقهما على غير مثالٍ سابق: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧].

أديان كثيرة جداًّ ومعبودات بالآلاف والعُمر قصير

الآن ننتقل لشبة لا علاقة لها بإلحاد الملحد لكنه يبرر بها عدم قبوله للحق متى تبين له، واستمراره في الكفر والجحود!

فالملحد يرى أن الأديان كثيرة جدًّا، والشرائع متفاوتة، والعمر قصير، فما يدرينا هل نحن على الحق أم غيرنا؟

ولذا آثرت أن أُفتت هذه الشبهة الساذجة في عشر نقاط فما أيسر الحق وأوضحه وأجلاه!

أولاً: يوجد على وجه الأرض ثلاث ديانات – يهودية ومسيحية وإسلام – يُشكل أتباعها أكثر من ٦٥٪ من سكان الارض.باقي الديانات وضعية لا حاجة حتى للرد عليها؛ لأنها تعترف ببشريتها وهي في طريقها للإنقراض، وأتباعها يُصنفون في مراكز الأبحاث العلمية أنهم مُلحدون أو روحيون – بلا دين–.

إذن محك الجدال في الديانات الثلاث الكبرى لا أكثر؛

اليهودية: أقرت أنها ديانة قومية لا يدخلها إلى يهودي الأبوين – إذن محسوم أمرها باعترافها هي –.

المسيحية: أدخلت التثليث والأقانيم والآلهة البشرية في قلب عقيدتها ولم يقل المسيح يومًا: أنا الله أو اعبدوني أو أنا لاهوت وناسوت. لكن أتباعها أصروا على صورتها الوثنية المعاصرة.

فمثلًا كلمة " أُقنوم" لم ترِد في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم ولو مرة واحدة مع أنها أصل المسيحية، وبذلك تحولت المسيحية من ديانة سماوية إلى ديانة وضعية وثنية.

وفكرة الأقنوم تدور في إطار تعدد الآلهة، مع محاولة الحفاظ على نسق التوحيد الفطري حيث صيغة الثلاثة في واحد، فهم يقولون: أقنوم الابن الإله الكامل.. وأقنوم الآب الإله الكامل.. وأقنوم الروح القدس الإله الكامل... ومع ذلك لا يجوز أن يكون الإبن هو الآب، بل كل إله مستقل تمامًا عن الآخر... ومع ذلك هؤلاء الآلهة الثلاثة إله واحد.. وبداهة هذا منتهى الوثنية والتحدي لبديهيات العقل بسفسطة يونانية قديمة.

وعلى الرغم من كل ذلك فهذه الأفكار الوثنية يخلو منها الإنجيل تمامًا تمامًا.. إذن المسيحية انتقلت من السماوية إلى الوضعية الوثنية على يد مجامع صناعة الآلهة في عهد قسطنطين.

ثانيًا: الإسلام ليس فِرقة من الفِرق ولا عقيدة من بين عقائد الأرض، حتى يوضع في مجال مُقارنة بباقي الديانات.. بل هو أصل الأديان والعقائد والعبادات، وهو أنقى أديان التوحيد كما يقول جوستاف لوبون.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى.. فعقيدة هؤلاء جميعًا هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوارة والإنجيل.. هذه العقيدة التي لا تعرف تثليث ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة، ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب - ولا آلهة قومية، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء:١٦٣].

إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات، وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

ثالثًا: الإسلام أكثر أديان الأرض انتشارًا، وأكبر ست دول مسلمة في العالم غير عربية، ويُشكل المسلمون العرب قرابة ١٩٪ فقط من المسلمين على وجه الأرض، ولا تكاد تخلو مدينة على وجه الأرض من مسلمين.

والإسلام قامت به الحجة على أنه الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده -كما سنسرد فيما بعد-.

رابعًا: مشكلة الملحد أنه يربط بين الديانات الوثنية الغارقة في الجهالة، بالديانة الإسلامية التوحيدية النقية - التي لا تحتمل الخطأ -، حتى يخرج من هذا الخلط بأن الجميع باطل فيشعر براحة بال واستقرار ضمير على إلحاده.

خامسًا: لكن الملحد سيقول هناك ٧٣ فِرقة في الإسلام، أيهم الأقرب للحق وأيهما الأولى بالمتابعة في هذا الكم الغفير من الفِرق؟ خاصّة وأن احتمالية الإلتحاق بالفرقة الناجية ربما تقارب ٣,١ بالمائة من مجموع الفرق.

في البداية؛ هذا كلام يحمل عدة أخطاء:

الأول: انقسام المسلمين إلى ٧٣ فِرقة هذا دليل نبوة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك، وأخبر أن الأُمة ستنقسم، مع أنهم في عهده كانوا يُقتلون ويُحرقون على رمال الصحراء دون أن يردهم ذلك أو يُفرق جماعتهم.

الثاني: المسلمون الآن يُشكل أهل السنة والجماعة منهم ٩١٪ والشيعة ٨٪ و١٪ فِرق أُخرى.

والخلاف بين السُّنة والشيعة؛ هو اختلاف في حب بعض أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا هو أول الخلاف ونهايته بعيدًا عن ساسة الصفويين و أحقاد المجوس.

إذن الافتراق إلى ٧٣ فِرقة لا يعني أن لكل فرقة ٣,١ ٪ فهذا غباء مدقع.

الافتراق صورته الحالية هي ٩١٪ أهل سُنة وجماعة والشيعة ٨٪ و١٪ فِرق أُخرى.

ولا فرق بين السنة والشيعة في أصل العقائد إلا ما أدخله ساسة الصفوية. يقول المفكر الإيراني علي شريعتي فيلسوف الثورة الإيرانية: "ولو خرجت كل المظاهر الدخيلة علي التشيع فلن يبقي هناك أي خلاف يذكر بين مذاهب الإسلام".

والفِرق الضالة لا يعني دخولها في النار خلودها فيها بل هم كعصاة المؤمنين إلا الذي يقترف بدعة كُفرية.

سادسًا: أما بخصوص غير المسلمين فإن الله لن يظلم عباده... قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٨]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]، ويقول:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء:١٥].

الذين لم تُقم عليهم الحُجة في الدنيا ستُقام يوم القيامة.

ويوم القيامة مدته ٥٠ ألف سنة.... أي أطول من عمر البشرية كله...فلا ينزعج الملحد ولا يقلق إلا على نفسه، فالدنيا والآخرة مسار واحد، ثم جنة أو نار، لا فرق بين الامتحان في الدنيا أو في الآخرة، فالآخرة يمكن تسميتها البلوغ التكليفي لأهل الفترة!

سابعًا: الملحد الذي يستخدم حُجة تعدد الديانات ليُلحد.. نسأله

هل كفر غيرك يبرر لكُفرك؟

للأسف هذا ما فعله فرعون من قبل. عندما قال لموسى: يا موسى لن أؤمن لك لأن الكفار موجودون منذ القِدم وكثيرون: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه:٥١].

هذه حجة جهلاء بكماء وسُبحان الله تنطلي على كثيرين، مشكلة الملحد أو الربوبي أنه يفرح بموضوع كثرة الديانات، ويتخذ الأمر ذريعة لكُفره وقلة أدبه مع خالقه ورازقه، ويتخذ الأمر ذريعة لترك البحث في مُقتضى وجوده ويظن أنه بذلك استطاع أن يجد مبررًا للهروب بشنيعة كفره.

ثامنًا: لكن تبقى مشكلة سيقول الملحد: ما المانع أن يكون أحد آلهة تلك الديانات الوثنية الأرضية الوضعية البدائية هو الإله الحقيقي؟

وهذا خطأ شديد وخطل خطير، فلا يوجد معبود في جميع ديانات الأرض إلا الله. وخلافنا مع بقية الأديان ليس لأنهم لا يعبدون الله، ولكن لأنهم جعلوا لله شركاء في الدعاء والطلب والتصرف في الكون.

فجميع أديان الأرض تعبد الله وهو عندها الخالق العظيم، حتى أكثر الديانات إغراقًا في الوثنية؛ لكنهم جعلوا له شركاء متشاكسون نسبوهم للخالق واعتبروهم أدنى منه منزلة - آلهة صغيرة – Subordinationism.

ففي الكعبة مثلًا ذلك المكان الصغير كان يوجد ثلاثمائة وستون صنمًا، هُدمت كلها يوم فتح مكة.. لكن هذه الأصنام كانت تُتخذ وسائط متعددة لإله واحد، قال القرآن على لسانهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

ما يعبدونهم إلا تقربًا وواسطة إلى الله، وقد ألغى الله الواسطة بينه وبين خلقه على لسان جميع أنبيائه، ولذا يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥].

يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديمًا: «أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر».

بل إنه يوجد في الهند قريبًا من أربعة آلاف من الآلهة، وهذا لا مثيل له في العالم، ومع ذلك يُنظر لهذه الكثرة الكاثرة من الآلهة أنها صور وتجسيدات للكائن الواحد الأعلى - الله سبحانه وتعالى -، وهذا ما ذكره التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند وفيه أن: النتيجة العامة التي انتهت إليها اللجنة من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى[(١)].

ويرى [ول ديورانت] أن هذه الألوف من الآلهة هي نفس ما تفعله الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين فلا يتطرق إلى ذهن الهندي ولو للحظة واحدة أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا[(٢)].

المصدر السابق.

ولذا فقد كان النزاع بين الرسل وأقوامهم في توحيد الألوهية " إفراد الله بالعبادة "، لا في توحيد الربوبية "إفراد الله بالخلق "، ولهذا لم يَرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو

(١) قصة الحضارة للملحد [ول ديورانت] مجلد ٣ ص ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»[(١)].

فتوحيـد الله فطرة البشـر جميعًـا، والجميع يؤمنون بالخالق، فالغريزة الدينية التوحيدية توجد في كل الأعصار والأصقـاع وهي إحدى النزعات الخالدة للإنسانية.

تاسعًا: طالما أنه منذ البدء والتوحيد هو الأصل لماذا علم الآثار - الأركيولوجي - والحفريات يُخبروننا بعكس ذلك؟

إجابة هذا السؤال بسيطة للغاية، وهي أن الموحدين لا يصنعون تماثيل ولا أيقـونـات ولا معابد.. فالذي يقرأ التاريخ عبر التماثيل والأيقـونات سيقرأ تاريخ الوثنيين الذين جعلوا مع الخالق آلهة صغيرة.. وهذا مصدر ضلال الملحدين في البحث!!

ولذا يرى [لانج] و[باسكال] و[شميث] و[بروس] و[كوبرز] وغيرهم وهؤلاء من كبار الباحثين في أصول الأديان أن التوحيد كان أولاً، وأن كل معبودات الوثنيين جاءت كمرحلة تالية لعبادات توحيدية يُعبد فيها الله الواحد الأحد، فالتوحيد كان أولًا ثم الوثنية والتعددية تأتي في مرحلة لاحقة.

المصدر: andrew lang: the making of religion

عاشرًا: زميلنا الملحد لا يدرك أن الفِرق الإلحادية لا حصر لها، وكل فرقة إلحادية تلعن أُختـها فهناك:

إلحـاد شيوعي

إلحاد علماني

إلحاد ليبرالي

إلحاد سلبي

إلحاد إيجابي

لاديني إلوهي

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٩.

لاديني متوقف

لاأدري وقتي

لاأدري دائم

strong atheism

weak atheism[1]

والإلحـاد الشيوعي ينقسم بدوره إلى

إلحاد شيوعي لينيني

إلحاد شيوعي ماوي

إلحاد شيوعي ستاليني

إلحاد شيوعي بلانكي

إلحاد شيوعي تروتسكي

والإلحاد الشيوعي؛ ينقسم إلى آلاف الفِرق وكما يقول الشيوعي الشهير مكسيم لوروا في كتابه "رادة الاشتراكية الفرنسية" يقول: "لا شك في أن هناك اشتراكيات متعددة، فاشتراكية بابون، تختلف أكبر الاختلاف عن اشتراكية برودون، واشتراكيتا سان سيمون وبرودون، تتميزان عن اشتراكية بلانكي، وهذه كلها لا تتمشى مع أفكار لويس بلان، وكابيه وفورييه، وبيكور، وإنك لا تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلا خصومات عنيفة، تحفل بالأسى والمرارة ".

هذا في فرنسا وحدها فما بالنا بتفريعات تروتسكي وستالين وماو وبول بوت وكوريا الشمالية، وآلاف التفرعيات والإنشقاقات الأُخرى.

وهكذا كل فرقة من الفرق الإلحادية تنقسم على نفسها، وتتشظى وتتفتت إلى ما لا نهاية

(١) http://commonsenseatheism.com/?p=6487

والعلمانية الإلحادية تنقسم إلى:

إلحاد علماني سطحي

إلحاد علماني مستنير

إلحاد علماني متعمق

إلحاد علماني نضالي

إلحاد علماني صراعي

إلحاد علماني منفتح

إلحاد علماني فعلي

إلحاد علماني جديد

إلحاد علمانية واقعي

والعلمانية الفاشية fascist-secularism في تركيا

وكلها علمانيات متنازعة ومتضاربة وتحارب بعضها بعضًا

وظهرت في الغرب مصطلحات

إلحاد رأسمالي رشيد

إلحاد رأسمالية حقيقي

إلحاد رأسمالي شكلي

إلحاد رأسمالي منبوذ

وعلمانية فرنسا تختلف تمام الإختلاف عن علمانية هولندا، وكلاهما لا تمتان بصلة لعلمانية أمريكا، وعلمانية الصين كأنها دين آخر تمامًا، وهكذا.

و جنة الملحد الشيوعي لن يدخلها الملحد الليبرالي..

والإلحاد الشيوعي يرى ضرورة تصفية الإلحاد الرأسمالي جسديًّا كما في وثيقة الكولاك لزعيم البلاشفة لينين.

وداخل الإلحاد الشيوعي كل طائفة تزعم أنها الحق المُطلق، وستالين يقوم بتصفية تروتسكي -ثالث أكبر مُنظر للشيوعية في العالم-، بدافع الحفاظ على الشيوعية الإلحادية اللينينية.

وكوريا الملحدة الشيوعية الشمالية؛ ترى أن كوريا الرأسمالية الجنوبية خطر على العالم يجب سحقه.

وكل الصراعات الأوربية في القرن الأخير والتي راح ضحيتها ربع سكان أوربا كانت علمانية إلحادية ١٠٠ ٪ ولم يدخل فيها حزب ديني واحد.

وظهرت مدرسة الداروينية الإجتماعية Social Darwinism التي تعني أن الأقوى يسيطر ثقافيًّا وفكريًّا وبيولوجيًّا، والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت. وهي مدرسة القتل البطيء للآخر طبقًا للتنظير الدارويني ورؤيته للجنس البشري.

وظهر هربرت سبنسر مُنظر الإلحاد الدارويني في القرن التاسع عشر، والذي أكد على ضرورة القتل البطيء للجنس البشري حيث يقول بالحرف: "فإن فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم، تعارض أبسط بدهيات الانتخاب الطبيعي، إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم، يتأتي في تحدٍّ صارخ لقانون الطبيعة"(١).

وهكذا تحول الإلحاد إلى آلة قتل باردة ضد الآخر، حتى ولو كان مُلحدًا طالمًا لا ينتمي لنفس الطائفة والعنصر والجنس، وكانت النتيجة مقتل ربع سكان أوربا في مجازر حربين عالميتين لا تمُتَّان بصلة لأي دينٍ من الأديان(٢).

والحمد لله رب العالمين

---

(١) Social Status, p.41 415

(٢) بعض الاحصائيات الواردة في المقال صادرة عن مؤسسة بيو الأمريكية لأبحاث الأديان والمُعتقدات http://www.pewforum.org/

لماذا الشر موجود؟

المصائب والزلازل والبراكين والشرور في هذا العالم!

يتساءل الكاهن الملحد: لماذ الشر موجود؟

ونحن نقول: إن الشر أكبر دليل على وجود الله!

الخير والشر موجودان وشاء الله وجودهما.... امتحانًا واختبارًا

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك:٢].

إذن الخير والشر موجودان لأننا في دار امتحان.

مشكلة الربوبي والملحد أنه يعترف بوجود الشر، ويعترف أن وجوده مُعضلة، فليس ثمة مبرر لوجوده إلا في الإطار الديني!

الإطار الديني هو الوحيد الذي يُقدم التفسير.

لكن السؤال: لماذا نقول أن الشر أكبر دليل على وجود الله؟

الشر أصلًا غير مُستوعب وغير مُدرك، إذ لو كان الإنسان ابن الطبيعة أو ابن المادة، وتجري عليه قوانين الطبيعة الحتمية، فلن يدرك وجود الشر، ولن يستوعب ماهية الشر ولا معنى كلمة شر، فهل تُدرك أكثر الحيوانات تطورًا - طبقا للداروينية - معضلة الشر؟

فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأننا نبحث عن عالم كلي الخير، وفي هذا الحُجة الأولى والأقوى للدين.

يقول [إس. سي. لويس]: "وقد كانت حُجتي ضد الله أن العالم بدا في منتهى القسوة والظلم.. ولكن كيف حصلت على مفهوم الظلم والعدل هذا؟

إن المرء لا يصف خطًّا بأنه غير مستقيم إلا إذا كانت لديه فكرة ما عن ماهية الخط المستقيم.. فبماذا كُنت أُقارن هذا العالم لما دعوته غير عادل؟

وإذا كان العرض كله سيئًا وتافهًا من الألف إلى الياء إذا جاز التعبير، فلماذا وجدت أنا نفسي في ردة فعل عنيفة هكذا تُجاهه، مع أني من المفترض أن أكون جزءًا من العرض؟

إن الإنسان يشعر بالبلل عندما يسقط في الماء؛ لأنه ليس حيوانًا مائيًّا، أما السمكة فما كانت لتشعر بالبلل.

وكان من شأني طبعًا أن أتخلى عن مفهومي للعدل بمجمله بقولي أنه ليس شيئًا سوى فكرة خاصة من بنات أفكاري، ولكن لو فعلت ذلك لانهارت أيضًا حجتي ضد الله؛ لأن رُكن تلك الحجة كان القول بأن العالم غير عادل فعلًا، وليس فقط أنه لم يصدف أن يُرضي ميولي.

وهكذا ففي محاولتي إثبات عدم وجود الله، تبين لي في ذلك الفعل ذاته حقيقة وجوده؛ لأن الإنسان بإنكاره وجود العدل في فعلٍ ما يُرغم على التسليم بوجود مفهوم العدالة، وبناءًا على ذلك يتبين أن الإلحاد ساذج جدًّا.

ولو كان الكون كله عديم المعنى لما كان قد تبين لنا إطلاقًا أنه عديم المعنى.

فالوضع شبيه تمامًا بهذا: لو لم يكن في العالم نور، ولم تكن في العالم مخلوقات لها أعين لما كُنا نعرف قطعًا أن الظُلمة مسيطرة ولكانت الظُّلمة كلمة عديمة المعنى".

C.S. Lewis response

إذن الشر هو أكبر دليل على أننا لسنـا أبناء هذا العالم، وأن المقدمة الدينية هي الوحيدة التي تملك التفسير والمعنى والقيمة!

لكن الملحد يتردد مرةً أخرى ويقول: " علم الله كلي إذن المفترض أنه يعلم ماذا سنفعل. لماذا إذن يُدخلنا في هذه التجربة وهو يعلم أن الكثيرين منا سيضلون؟"

أولاً: لا يوجد عاقل يكفر بوجود الله؛ لأن علم الله كلي إلا الملحد!!

ثانيًا: هل علم الله الكلي يمنع أن يتيح لنا الفرصة لنُقيِّم أنفسنا، ونرى بعين اليقين أننا نستحق الجنة أو النار؟ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

ثالثًا: لو قال الملحد... لكني لا أُحب هذا الاختبار وأُريد أن أخرج منه حالاً... إذن اترك الحياة التي وهبها لك هذا الخالق ومِت الآن!.. وصدقني لن تفعل وستتمسك بالدنيا، فطالما استسلمت للاختبار فعليك أن تعمل بأقل مقتضياته، وهو شكر الذي خلقك ووهبك كل هذه النعم.

والله سبحانه أخبرنا أنه لن يترك الكافر، فالكافر الذي كفر بأبسط البدهيات وهي خلقه وتجرأ على الله وجحده واستكبر وأجرم، لن يمر بشنيعة كفره ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت:٤٣].

لكن هل الله يحتاج للشكر والعبادة؟

الله غني عن العالمين، لكنه يعلم أن عباده لن يصلحهم إلا عبادته، ونحن نعلم جميعًا أنه بقدر ابتعاد الإنسان عن الله بقدر استحلاله للمحرمات؛ لأنها أصلًا لم تعد عنده محرمات. وحتى لو لم يرتكبها فإجازته لارتكابها أعظم شناعةً من ارتكابه لها.

إذن مشكلة الكافر هي مشكلة كل طالب فاشل. ووقت الامتحان المُلحد يُنكر وجود الأُستاذ، ووقت النتيجة الربوبي يُنكر وجود الامتحان، لكن المعيـار لا يضعه الطالب الفاشل ولا الخايب. الذي يضع معيـار الامتحان هو الأُستـاذ - ولله المثل الأعلى-.

وقد قضت الحِكمة الإلهية أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير، ومع ذلك فشل في الاختبار خلق كثير ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

فلا يوجد شيء يسمى شر في العالم المادي، وإلا فكيف تبحث عن حل لمشكلة الشر؟

كيف أصلًا تشعر بوجود الشر؟

كيف تتمرد على قوانين الطبيعة المادية الحتمية؟

إذا كان الإلحاد صحيحًا فيستحيل أن تشعر بالشر، فداخل العالم الإلحادي لا يوجد معنى مادي للشر أو الظلم، فالشر أو الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ومحل الأحداث في عالم الإلحاد هو نفس المحل الذي تحدده القوانين الفيزيائية، وبما أنه لا توجد ذرة تخالف تلك القوانين. إذن كل حدث في الكون المادي قد وُضع في محله المادي، ولذلك المفترض ألا يوجد في المجتمع الإلحادي ولا في الكون المادي ظلم أو شر.

و دماغُ الإنسانِ بما فيه من نشاطٍ عصبيٍّ لا يخطئُ ماديًّا، بل يتبعُ كلَّ القوانينِ الفيزيائيةِ الصحيحةِ ولا يتمرد على سُننِها وإذا قلنا بوجود الشر أو الظلم، فهذا دليلٌ قاطعٌ على أن المسئولَ عن الخطإِ وأيضًا المرجع الذي به حكمنا على خطئه ليس تفاعلاتٍ ولا قوانينَ مادية، وهنا سنعود إلى ميتافيزيقيًّا الأخلاق، فإن ادعى الملحدُ أن ما يحتكمُ إليه الإنسانُ من

قيمٍ وأخلاق "ما هي إلا قوانينٌ وضعيةٌ نتجت عن حالاتٍ نفسيةٍ وعاداتٍ وتقاليد ". نجيبُه: لكنك لا تؤمنُ أنها حالةً نفسيةً للروح بل هي حالةٌ ماديةٌ لا يمكنُها أن تُخَطِّئ حالةً ماديةً أخرى، فحتى تناطحُ الذراتِ هو تصرفٌ لا خطأ فيه ما دام موافقًا للقوانين الفيزيائيةِ الصحيحة.

(السلوك المادي السليم للذرة في الدماغ) + (السلوك المادي السليم للذرة في الدماغ) +..... = سلوك مادي سليم في الدماغ.

فمن أين أتت إذن تلك المعاني الخاطئة التي يُمثلها ذلك السلوك المادي السليم؟

الآن هل توجد دالة تربط بين (سلوكيات المادة في الدماغ) وبين (القيم الأخلاقية)؟ إذا قلنا بوجود الدالة فقد عدنا للميتافيزيقيا من أوسع أبوابها، وإن لم يكن ثَمة دالة فلن تقنع أحدًا بوجود الشر أو الظلم وستنهار الفكرة الإلحادية نفسها.[(١)].

فالشر واستيعابه أكبر دليل على وجود الله، وعلى صحة القضية الدينية والتكليف الإلهي!

---

(١) الفقرات الأخيرة مُقتبسة من منتدى التوحيد ببعض التصرف والإضافات.

لماذا الكون بهذه الضخامة

والأرض بهذه البساطة والتفاهة بالنسبة لحجم الكون؟

- **أولاً**: هل الله تعنيه الأحجام مثلنا نحن البشر؟ لماذا يحاول الملحد في كل أطروحاته أن يؤنس الإله؟ هل الله يهتم بالفيل ولا يهتم بالنملة لفارق الحجم المليوني مثلاً؟
- **ثانيًا**: السماوات والارض مصدرهما نقطة أصغر من رأس الدبوس أليس كذلك يزعم كل فيزيائيي العالم طبقا للبيج بانج؟
- **ثالثًا**: الحجم نسبي ولو تحولت المجموعة الشمسية كلها إلى ثقب أسود فلن تتجاوز حجم حجر صغير، حجم الأرض ٩ , ٠ سنتيمتر مكعب.
- **رابعًا**: لو حدث أن كل شيء حولنا زاد ألف ضعف هل سنكتشف الأمر؟ هل سيتغير شيء؟ طبقًا للنسبية العامة لا شيء البتة سيتغير ويستحيل اكتشاف الأمر إلا لو تغير طول ثابت بلانك مليار مليار مليار ضعف ساعتها ربما نكتشف الأمر –بسبب ظاهرة الحيود والتداخل بين الأجسام–.

إذن القضية ليست بالأحجام ولا الحكم على الأشياء يكون بالأحجام والأوزان والأثقال.

القضية هي إدراك هذه الأشياء واستيعابها، والآن:

هل ثمة شيء يستوعب هذه العلاقات بين الأحجام إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك الفوارق إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك القوانين وضخامة الأفلاك وعظمة الخلق وروعة الإعداد بعناية إلا الإنسان؟ هل ثمة شيء يدرك أن الوردة حمراء وبديعة التنسيق والجمال غير الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك مدارات الأفلاك وعظمة الخلق وروعة المنظومة الفيزيائية التي تحكم الكون غير الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك مخاطر الانفجارات النجمية في مجرة [أندروميدا] مثلًا إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يهتم بأحداث الفضاء ومدارات الأفلاك غير الإنسان؟

إذن لا يختلف العلماء على أن الإنسان مركز الكون إدراكيًّا وسيكولوجيًّا وحديثًا فيزيائيًّا ومنذ الأزل دينيًّا.

الهوس الجنسي عند العرب؛ أُسطورة يُروِّج لها الملاحدة ويُصدِّقها الإعلام

الهوس الجنسي عند العرب شديد.

ويستدل الملحد بـ:

١- أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر.

٢- الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل.

٣- الكبت الموجود في العالم الإسلامي، مصدر رئيس لهذا السُّعار الجنسي.

الرد:

الهوس الجنسي عند العرب، أُسطورة قذرة ودعاية حمقاء، يروج لها ملاحدة خبثاء، وإعلام عميل، ومسلمون سُذج.

والميل الجنسي في أصله غريزة طبيعية خلقها الله وجعلها دافعًا للحفاظ على النسل، لكن نمط حياتنا - الذي أصبح مُقلدًا للغرب- صار يفترض في حياة كل شاب عربي بضع سنين يقضيها في اللهو الحرام قبل أن يظفر بنكاحٍ صحيح، ومع هذا كان رادع الدين في بلادنا العربية يمثل حائط صد جوهري ضد الزنا والاغتصاب والشذوذ، فلولا الدين كما يقول فولتير لسرق الخادم وخانت الزوجة.

الاغتصاب:

ولذا فأقل دول العالم هوسًا بالجنس الحرام، هي -بفضل الله- الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الزنا على الإطلاق هي الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الشذوذ الجنسي على الإطلاق هي الدول الإسلامية، ولذا فأقل معدلات اغتصاب توجد في البلدان الإسلامية حصريًّا..

وهذه قائمة بالدول التي توجد بها أعلى معدلات اغتصاب في العالم بالترتيب في العام ٢٠١٥(١):

---

(1) http://www.worldblaze.in/top- countries-with-highest-.rape-crime-in-the-world-2015 /

بلجيكا

تايلاند

روسيا

السويد

ألمانيا

كندا

المكسيك

جنوب أفريقيا

الهند

أمريكا

أما الدول الإسلامية فهي أقل دول العالم ارتكابًا للاغتصاب على الإطلاق.

وتكاد تخلو الدول التالية من الجريمة عمومًا[1].

باكستان

السعودية

اليمن

إذن الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

نُكرر مرةً أخرى -**بفضل الله**- الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

طبعًا هذا على العكس تمامًا مما يروج له كهنة الإلحاد والعلمانية.

---

(1) http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes

مرض الإيدز:

ومن دلائل ذلك أن مرض الإيدز AIDS الذي يعاني منه ٣٦ مليون نسمة في العالم، والذي يُصيب سنويًّا مليونين ونصف من البشر، يوجد بأقل معدلاته على الإطلاق في الدول الإسلامية، وتكاد الدول الإسلامية تكون خالية بأكملها من المرض باستثناء بعض المهاجرين للدول الأوربية وأمريكا.

و يعادِل تواجد الإيدز الصفر تقريبًا في أغلب الدول الإسلامية - الخليج العربي والبوسنة والهرسك وتركيا وأندونيسيا ومصر وليبيا والعراق وأفغانستان وتركمانستان، إلخ..-.

الشذوذ الجنسي:

أما عن الشذوذ الجنسي Homosexuality فإن ٢٠٪من الغربيين عندهم أفكار شذوذ جنسي[١].

وفي مسح إحصائي شمل ٣٩ دولة، حول قبول فكرة الشذوذ الجنسي تبين أن ٨٠٪ من الغربيين يتقبلون فكرة الشذوذ الجنسي... في حين أن النسبة في الدول الإسلامية لا تتجاوز ١٪[٢].

بل لقد تجاوزَت الدول العلمانية عالية التقانة الحدود في الهوس الجنسي، وصارت تطالِب رسميًّا بإتاحة الشذوذ الجنسي بين الرجال والأطفال، وظهرت جماعات كبرى مثل النامبلا NAMBLA التي تُنادي بإلغاء حاجز السن بين الشواذ جنسيًّا... وبالفعل المنظمة ناجحة تنظيريًّا، وللمنظمة اجتماع سنوي بنيويورك واجتماعات تُعقد شهريًّا بصفة منتظمة بالولايات المختلفة[٣].

The North American Man/Boy Love Association NAMBLA

---

(1) http:// en.wikipedia.org/wiki/Homosexuality

(2) http://www.pewglobal.org/2013/06/04/the-global-divide-on-homosexuality /

(3) http://nambla.org

ومن عجائب ما يُذكر أنه في حرب الخليج الثانية كانت التعليمات المباشرة للجنود الأمريكان، إذا رأيت سعوديين يُشبِّك أحدهما في يد الآخر فهذا طبيعي عندهم(١).

وفي سويسرا يسير الاتجاه رسميًّا الآن، نحو تفعيل قوانين تُبيح زنا المحارم.

هل ما زال الملحد مُقتنعًا بأُسطورة الهوس الجنسي عند العرب؟

لكن ماذا عن أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر؟

هذه أحد أكاذيب وتلفيقات الملحدين العرب والعلمانيين العرب؛ لأن التحرش لم يُعرَّف عالميًّا حتى الآن، ففي مصر النظرة والابتسامة ربما لهما دلالات تحرش ويُصنَّف أصحابهما في قوائم المتحرشين جنسيًّا، وبداهةً السقف في الدول الأجنبية مرتفع جدًّا، وربما يوصف الفجور بأنه لباقة في التعاطي مع الجنس الآخر، فكيف توضع هكذا إحصاءات دون تحديد دلالاتٍ واضحة؟

وإذا نظرنا للتحرش الجنسي في العالم فإن السويد كالعادة تأتي في المرتبة الأولى بنصيب الأسد، وفي أُستراليا وحدها تبلغ تكلفة التحرش الجنسي ١١ بليون دولار(٢).

أما بخصوص أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل.

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت ٢ , ٤ مليون موقع، يعمل بها حوالي ٩ مليون امرأة أجنبية، تُدِر حوالي ١٢ مليار دولار أمريكي، تأتى الولايات المتحدة في قائمة أكثر البلدان امتلاكًا لصفحات جنسية، تليها ألمانيا، ثم المملكة المتحدة، ثم استراليا واليابان وهولندا ثم روسيا وبولندا وأسبانيا، وهذه المواقع ربحية في المقام الأول، وبالتالي هي مُوجهة رأسًا نحو المستهلك الأوربي والأمريكي.

ولسنا بحاجة إلى إثبات أن نسبة المواقع العربية الإباحية أمام ٢ , ٤ مليون موقع = الصفر تقريبًا.

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=M_CX-JjGFO8.

(٢) http://www.thelocal.se/20090427/19102

ولن ندفن رءوسنا في الرمال ونقول إننـا لا نتعاطى مع هذه المواقع الأجنبية، فنحن بشر وأصحاب غرائز وذنوب، خاصةً وأن الفئة العمرية التي تتعامل مع الإنترنت في البلدان العربية هي الفئة الشبابية، لكن فرق جوهري بين مَن يرى أن تصفح المواقع حق تجب الدعاية والترويج له ويتربح من خلالها، وبين مَن يعتبرها خصلة دنية يستغفر الله بعدها وينوي ألا يعود.

وعندما بحثت أنا في مسألة أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل، تجاهلت المواقع العربية الصفراء، واتجهت رأسًا إلى جوجل، أبحث داخله عن أهم نقاط البحث للعام الماضي في ثلاث بلدان عربية وهي مصر والسعودية والإمارات، وكانت النتيجة:

☜ **مصر**

١- أحداث بورسعيد borsayed indicants

٢- اللجنة العليا للإنتخابات higher elections commision

٣- تنسيق الجامعات ٢٠١٢

٤- ميدان التحرير tahrir sqr.

٥- حزب النور noor party

٦- بورما Borma

٧- الحرية والعدالة justice and freedom party

٨- محاكمة مبارك Mubarak trial

٩- انتخابات الرئاسة Presidential elections

١٠- مشروع النهضة development project.

☜ **السعودية**

١- نتائج الطلاب students results

٢- التأمينات insurance

٣- عرب ايدول Arab idol

٤- مسلسلات رمضان ٢٠١٢ Ramadan episodes 2012

٥- محمد مرسي Mohammad Mursi

٦- انفجار الرياض Riyadh Explosion

٧- بورما Borma

٨- الجيش السوري الحر free Syrian army

٩- مجلس الشوري Shura counsel

١٠- إعصار ساندي Sandi storm

الإمارات

١- Gangnam Style

٢- iPad

٣- Olympics 2012

٤- Samsung Galaxy S3

٥- The Avengers

٦- Skyfall

٧- Hurricane Sandy

٨- مسلسلات رمضان ٢٠١٢ Ramadan episodes 2012

٩- KONY 2012

١٠- الثورة السورية Syrian Revolution[١].

---

(١) arabcrunch.com/2012/12/top-google-search-trends-in-egypt-uae-and-saudi-arabia-in-2012.html

أما عن الكبت الموجود بالعالم الإسلامي، وأنه مصدر رئيس لهذا السعار الجنسي.

فقد تبين في ثنايا هذا المقال مدى سخافة تلك الأُسطورة التي تربط بين الكبت والسُّعار الجنسي، فأكثر الدول إباحيةً هي أكثرها سُعارًا في الجنس على الإطلاق، وأقلها إباحية هي أقلها سُعاراً، وقد أثبتت دراسات الطب النفسي السلوكي أن ضبط الغرائز يؤدي إلى تهذيبها، في مقابل أن إفلاتها يجعلها تتحول إلى فيضان كاسح.

ولا أدري كيف انقلبت الآية عند الملحد والعلماني وصاروا يُروِّجون للعكس، ربما هم يؤمِّلون شيوع الفاحشة في بلادنا الإسلامية، فيكذبون من أجل ذلك ويخترعون أسطورة الربط بين السُّعار والكبت.

فطِبقًا لطب النفس السلوكي فإن الرجل الأوربي يُفكر قي الجنس كل ٦ دقائق، و٤٢٪ من البريطانيين يقيمون علاقة مع أكثر من شخص في نفس الوقت، بينما ٥٠٪ من الأمريكيين يقيمون علاقات غير شرعية (أي مع غير أزواجهم)![(١)].

وفي أمريكا وحدها يقتل الإجهاض أكثر من مليون طفل سنويًّا[(٢)].

وعندما حاولت فرنسا منذ فترة قريبة تقنين أوضاع بيوت الدعارة بها، خرجت ثورة كبرى، وأَغلقت العاهرات الشوارع، ورفعن لافتات sex=work و sex is work واضطر المُشرِّع أن ينزل على رغبة العاهرات، وفي إسرائيل أكبر المظاهرات في الخمسين عامًا الأخيرة هي حصرية للشواذ جنسيًّا ولطلباتهم التي لا تنتهي، وأكبر نسبة من التظاهرات في أوربا وأمريكا متعلقة مباشرةً برغبات جنسية وطلبات زيادة وجبات إباحية، أو تسهيل زواج مِثلي، أما مُظاهرات العُراة فلا تكاد تخلو منها مدينة أوربية، ومؤخرًا سمحت السويد رسميًّا بحق الاستمناء في الأماكن العامة[(٣)].

---

(1) http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/177333.stm

(2) http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm

(3) http://www.dailymail.co.uk/news/article-2424416/Swedish-court-rules-IS-legal-masturbate-public-directed-specific.html

الخاتمة:

وهكذا يتبين لنا فداحة خطأ تلك الأُسطورة التي تربط بين الهوس الجنسي والعرب، أو بين الهوس والمتدينين، إنها أُسطورة ذائعة الصيّت، واسعة الانتشار، مقبولة لدى قطاع عريض جدًّا من السُذَّج والحمقى والمُغفلين.

إن القاعدة الفطرية البدهية التي نخرج بها من هذا المقال، ومن الإحصاءات الرسمية التي أوردناها، ومن المسح السلوكي لأخلاقيات المجتمعات تتلخص في أن "المرء إذا هوى دينُهُ فإنه يُقاد من فَرْجه وبطنه، أكثر مما يُقاد من عقله وضميره".

الرق - السبي- العبودية

معلومات أولية لابد أن تعرفها في هذا الملف:

أولاً: العبودية هي مرحلة أساسية في تاريخ الجنس البشري، ومن مقتضيات عصور بشرية أصيلة.

ثانياً: لا يوجد في تاريخ البشرية ديانة ولا فلسفة ولا مذهبًا ولا فِرقة إلا وأجازت الرق واعتبرته بديهة وجودية.

ثالثاً: اختفاء الرق في القرن الماضي كان فقط لظهور المكائن - الآلات التي حلت محل البشر - وإلا فالرق كان وسيظل موجودًا ما وُجد الإنسان.

رابعاً: لا يوجد مانع ديني ولا أخلاقي ولا مادي ولا علمي ولا فلسفي ولا إلحادي يمنع من ممارسة الرِق بمفهومه الإسلامي -الذي هو أقرب للتبني- كما سنبين بعد قليل.

خامساً: لم يتوقف الرق فجأةً لضجر العبيد أو لرهافة إحساس الأسياد، ولكن فقط نتيجة استغناء مباشر عن العبيد بالمكائن التي ظهرت في القرن الماضي.

سادساً: لم يعرف التاريخ ناقدًا للعبودية على طول الخط وانتهاء العبودية جاء فقط كنتيجةٍ بديهيةٍ لعدم الحاجة إليهم، ولذا قال نيتشه: "لو أمطرت السماء حرية لأمسك العبيد مظلات".

وفلاسفة الدنيا كلها أطبقوا على أن مفهوم الرق في أصله مفهومٌ مقبول وسنذكر بعض الأمثلة:

١- كان أرسطو يرى أن العبودية أمر بَدَهِيٌّ وكان من أشد المؤيدين لها والحريصين عليها

٢- قال أرسطو: الذي يخضع للقانون هو أيضا عند مستوًى ما من العبودية.

٣- جمهورية أفلاطون الفاضلة لا تخلو من العبيد.

٤- يؤيد هيجل العبودية بشدة ويرى أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده.

٥- يقول كارل ماركس: بدون عبيد لا وجود لأمريكا الشمالية(١).

سابعًا: يرى هيجل أن الغريزة الأساسية في الإنسان هي الرغبة في نيل الاعتراف-ينال قيمته-، وفي هذا الإطار فالعبد يحقق غايته تمامًا، حيث أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده وهو في ذلك يسعى إلى الرغبة في الاعتراف، والعبد لا يتمرد على سيده أبدًا لأنه أصلًا لا يعرف أنه ينقصه شيء، فهو رغباته المادية يحققها من أموال سيده ورغباته فوق المادية مثل الرغبة في الاعتراف يحققها ببراعته في عمله، بل وكلما كان أكثر إخلاصًا لسيده كان أكثر تحقيقًا لهذه الرغبة، لذا فالعبد لا يشعر أنه عبد، بل يتحرك في إطار عقلاني يستوعبه ويستوعب سيده، لذا لم يتمرد العبيد. فالعبد في البداية والنهاية مسوقٌ إلى الدور المطلوب منه - كالسيد تمامًا -.

ثامنًا: يقول مؤسس الدولة المدنية جون لوك: "الملوك في أمريكا القديمة والذين كانوا يملكون أراضٍ شاسعة هم أفقر ماديًّا من عامل إنجليزي في ورش مانشستر".

لكن الملك لديه من يعترف به فتزداد سعادته، فالسعادة قيمة نسبية لا علاقة لها بالوسائل المادية المتاحة، وإنما هدف السعادة المادية هو نيل الاعتراف وهذا متحقق للعبد ماديًّا!

تاسعًا: في لحظةٍ ما عندما نحتاج للعبيد سيعود العبيد، خاصةً وأنه بعد اختراع الأسلحة النووية ظهرت في الأدب العالمي فكرة احتمالية أنه في أي لحظة يمكن أن يخسر العالم كل التكنولوجيا الحديثة ونعود للخيل والجِمال مرةً أخرى، وفي فيلم محارب الطريق the road warrior للمنتج الاسترالي جورج ميلر، نرى حضارة مستقبلية قائمة على الخيل والعربات التي تجرها الحيوانات(٢).

عاشرًا: الذي ينتقد العبودية هو حتمًا سينتقد منظومة العمل والحياة الوظيفية الآن، **فالحياة الوظيفية هي رِق جزئي -عبودية جزئية-**، وفي تعريفها الرسمي: استقطاع

---

(1) http://www.marxists.org/archive/marx/410.htm

(٢) نهـاية التاريخ، فرانسيس فوكوياما، ص ٨٦.

ساعات معينة من وقت الموظف لصالح مؤسسة أو شركة أو شخصٍ ما، مقابل تقاضي أجر محدد أو منفعةٍ محددةٍ.

لكن الإنسان المعاصر يستسيغ المنظومة الوظيفية الآن، ولا يستسيغ مسألة الرق فقط بسبب المعاصرة – فهو معاصر للمنظومة الوظيفية ولم يعاصر مسألة الرق –.

بل إن **الفرق الجوهري بين الرق والمنظومة الوظيفية هو فرق زمني لا قِيمي**، فالمنظومة الوظيفية هي رِق وقتي، وسخرة جزئية كما يتفق على ذلك المُشرِّعون!

أيضًا الرق ليس بالصورة التي يرسمها ويروِّج لها العصرانيون، وإنما ربما تنطبق تلك الصورة على ما كان يجري في الدولة الرومانية، بينما في بلادنا كان الرقيق أئمة الدنيا وعلماء الدين. ودولة المماليك خير شاهدٍ عبر الزمان.

إذن الرق أمر بَدَهِيٌّ عبر التاريخ وعبر الجغرافيا، والحفاظ على حقوق الرقيق هو الوصية العاشرة من الوصايا العشر في التوراة[1].

والحفاظ على حقوق الأسياد ووجوب طاعتهم مِن قبل العبيد هو وصية الإنجيل: " الرسالة إلى أفسس ٦:٥ ".

ولم يكن الإسلام بِدعًا من الأديان، ولم يكن النبي –صلى الله عليه وسلم– بِدعًا من الرسل، فقد جاءت الوصية مباشرةً بحفظ حقوق الرقيق في الإسلام.

❁ حفظ حقوق الرقيق في الإسلام:

١– قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦].

٢– وقال تعالى: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [النساء:٢٥].

---

(١) سفر التثنية ٢١.

فأمر سبحانه مَن أراد أن يتزوج من أمته أن ينكحها بإذن أهلها وأن يعطيها مهرها كاملًا!

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي**»[١].

٤- وقال صلى الله عليه وسلم: «**إنّ إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**»[٢].

ولذا صار الرقيق في الدولة الإسلامية ملوكًا وحُكامًا، وأصبحت فترات تاريخية كاملة في حِكرًا على الرقيق[٣].

ولا يعرف تاريخ الإنسانية دينًا أشد حرصًا على الرقيق من الإسلام، يكفي أن تعلم أن هناك ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين يوم القيامة كما في نص الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١- رجل آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ثم أدركني فآمن بي.

٢- ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها.

٣- وعبد أدى حق الله وحق مواليه[٤].

إذن الرجل لو أعتق جاريته وتزوّجها له أجره مرتين.

والعبد الذي يطيع سيده له أجره مرتين.

ولذا قال أبو هريرة رضي الله عنه في الحديث المُتفق عليه: «والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك».

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) دولة المماليك في مصر.

(٤) متفق عليه.

لكن هنا قد يطرح العلماني تساؤلًا هامًّا وهو: ما مصدر الرقيق وكيف يتحول الحر إلى عبد؟ ولماذا يتحول الأحرار إلى عبيد؟

لا يعرف الكثير من العلمانيين أن الرق هو في الاصل رحمة!

فالرق ينحصر في أرض المعركة وساحة القتال، فالكافر المقاتِل يُقتل، والكافرة المقاتلة تُسبى ولا تُقتل، وبالتالي تصبح في باب الرق أو السبي أو ملك اليمين وكلهااصطلاحات لها نفس المعنى.

لكن لماذا نقوم باسترقاق النساء؟

هذا كما قلنا من باب الرحمة؛ لأن الذي جاء يقاتلك ويحاربك لابد أن تقاتله، هذه بديهة تتفق عليها جميع الدساتير والشرائع!

أما المرأة التي جائت لتقاتلك فلا يجوز لك أن تقاتلها إلا لو باشرت قتلك!

فالمرأة لا تُقتل؛ لأن الإسلام لا يُجيز لك قتل النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا أصحاب الحرف الذين لم يأتوا إلى ساحة المعركة لمحاربة المسلمين؛ وإنما لممارسة حرفهم مع أنهم كفار ومع أنهم في ساحة المعركة!

فمن رحمة الإسلام بالمرأة أنها لا تُقتل -لأنها ضعيفة ولا تباشر قتل المسلمين في الغالب- بل تُسْبى.

والمرأة تُسْبى حتى يتم فداؤها بأسيرات المسلمين أو العفو عنها وإعادتها للعدو بلا مقابل ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ﴾ [محمد:٤].

ولاحظ قوله تعالى: **حتى تضع الحرب أوزارها**، يعني في أرض المعركة، ولاحظ إما منًّا بعد: أي تمُن عليها بأن تُطلق سراحها بلا مقابل، وإما فداء: أي تفديها بالمسلمات اللاتي أسرهن العدو.

فلا يوجد في الإسلام سبي إلا من أرض المعركة، وهذه قاعدة هامة!

ولا تُسبى المرأة إلا لأنه يحرم قتلها، مع أنها جاءت في جيش العدو وأرادت استئصال شأفتك!

وقد فتح المسلمون بلاد الدنيا وملكوها ولم ينقلوا سكانها الأصليين سبايا إلى الجزيرة العربية فهذا لا يقوله عاقل، بل ولم ينقلوا ساحة المعركة إلى بيوت المدنيين الآمنين، بل إن هؤلاء المدنيين لم يجدوا عزهم وحريتهم إلا في كنف الإسلام!

وتُسبى المرأة ولا يجوز قتلها؛ لأنها كما قلنا حتى لو قاتلت فلا تباشر ذلك في الغالب بنفسها فعقوبتها أهون من الكافر الذي يريد قتل المسلمين ويباشر ذلك بنفسه، ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما كانت هذه لتقاتل".

لكن هل يجوز نكاح المسبية؟

المسبية لها عقد نكاح، أي يجوز نكاحها، كما الزوجة لها عقد نكاح، لكن شروط عقد نكاح المسبية تختلف عن شروط عقد نكاح الزوجة، فالزوجة لها شرط الاختيار فيمن يتقدم لها.

أما امرأة مقاتلة جاءت لتقاتلك مع جيش العدو وتم سبيها، فهذه ليس لها شرط اختيار من يتقدم لها.

لكن الزوجة والمسبية يتفقان في الأُطر العامة فلا تنتقل الزوجة إلى رجلٍ آخر إلا بطلاقٍ ومهرٍ جديدين، ولا تنتقل المسبية إلى رجلٍ آخر إلا بإطلاقٍ وعقدٍ جديد.

والتعرض للمسبية في حكم الشريعة يطابق التعرض للزوجة، فلو اغتصبها أحد يُقام عليه حد الزنا.

قال الشافعي: «وَإِذَا اغْتَصَبَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ ثُمَّ وَطِئَهَا بَعْدَ الْغَصْبِ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْجَهَالَةِ أُخِذَتْ مِنْهُ الْجَارِيَةُ وَالْعُقْرُ وَأُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ الزِّنَا»". ٢٥٣ الأم للشافعي الغصب.

وهل يجوز سبي نساء الكفار المقاتلين الآن؟

لو تم وضع قانون بحرمة سبي النساء والتزم به المسلمون والكافرون -كما هو حادث الآن-، فهنا لا يجوز للمسلم مخالفة القوانين والعهود، إلا لو بدأ العدو الغاشم في المخالفة!

وعليه تُحترم كل العهود والمواثيق التى تمنع السبى فى الحروب الآن.

وفي فترة حرب البوسنة كان المجرمون الصرب يغتصبون المسلمات البوسنيات، ومع ذلك لم يُجز علماء المسلمين للمجاهدين في ذلك الوقت سبي نساء العدو.

ثم هل وجدتم رحمةً أعظم من أن تلتزم في مقاتلة عدوك بسلاحه هو، فلا يجوز لك أن تقتله بسلاحٍ فتاك يهلك الديار والعباد وإنما تقاتله بنفس سلاحه ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤].

والله أعلم!

لكن يبقى السؤال: هل يحق للملحد أن ينتقد مسألة الرق؟

في واقع الأمر قبل أن ينتقد الملحد مسألة الرق عليه أن يجيب عن الآتي:

١- الدولة الوحيدة الملحدة على وجه الأرض الآن هي كوريا الشمالية، وداخل هذه الدولة يتم تقسيم الناس رسميًّا إلى سادة وعبيد، في نظام يُعرف باسم **السونجبن Songbun**، وحسب هذا النظام يتم تحديد كمية الغذاء ونوع البروتين وكميته وطبيعة العمل للمواطن الكوري الشمالي ولأولاده من بعده بحسب طبقته داخل السونجبن!

وهذا النظام معمول به منذ قرابة نصف قرن من الزمان –منذ انفصال الكوريتين– ولم نسمع أن ملحدًا أو علمانيًّا تمرد على هذا الأمر أو انتقده![1].

٢- أليس التمرد على الرق هو تمرد صريح على الداروينية وعلى قانون كوني يحكم وجودنا وهو قانون البقاء للأصلح؟

٣- أليس التمرد على الرق هو تمرد على الحتمية المادية؟

٤- أليس الرق يساعد مباشرةً على الانتخاب الطبيعي – عبر انتخاب الأقوياء والأكثر سيادة –، إذن لو كان الملحد ملحدًا، وكان الإلحاد صحيحًا وكانت الداروينية قضية حتمية، لأصبحت عودة الرق هدف كل ملحد، أليس كذلك؟

٥- ما معنى الأخلاق؟ و هل تمت البرهنة عليها علميًّا حتى يتبناها الملحد؟

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun.

٦- الملحد ينظر للإنسان على أنه لطخة بروتوبلازمية ثلاثية الأبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده وقوانين المادة هي قوانينه، فكيف تسنّى له أن يستوعب الخطأ في الرق ثم ينتقده؟

٧- لا يوجد للأخلاق ترميز جيني – تشفير في الجينات –، إذن ليس لها مصدر مادي فكيف يتبنى الملحد نموذجًا أخلاقيًّا ينتقد من خلاله عملية الرق؟

والآن وقبل أن نختم هذا الموضوع الثري نريد أن نعرض لبعض الصور المشرقة للرقيق في دولة الإسلام!

حَكم المماليك –الرقيق- مصر والشام قرابة ٦٠٠ عام، منذ عام ١٢٤٠إلى ١٨١١ ميلادية.

أي أن نصف تاريخ مصر والشام في الإسلام كان تحت سيادة المماليك، بل ولولا خيانة محمد علي وجريمته الشنعاء حين قام بذبحهم في مذبحة القلعة الشهيرة، لظل المماليك سادة الدنيا.

وفي عهد المماليك كانت جميع المقاطعات والولايات يحكمها مماليك.

والشاهد من ذلك أن الإسلام لا يمنع الرقيق أن يكونوا سادة الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «**أُوصيكم بتقوى الله.. والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا**».

إذن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة للرقيق حين يحكمون بلاد المسلمين!

ومن عجيب ما يُذكر هنا أن قطز وبيبرس حين وصلوا لحكم مصر كانوا رقيقًا وظلوا رقيقًا زمنًا طويلًا، إلى أن قدم التتار إلى بلاد الشام فاجتمع قطز بالأعيان والقضاة والأمراء، وطلب منهم جمع المال لتكوين جيش مصري عملاق. فقام الإمام العز ابن عبد السلام – رحمه الله- وطالبهم أن يكاتبوا أنفسهم حتى يقتدي بهم باقي المماليك، ففدوا أنفسهم بأموالٍ عظيمة- والمكاتبة في الشريعة الإسلامية هي أن يدفع العبد مبلغًا من المال لسيده

مقابل حريته، وهذا حق جوهري من حقوق الرقيق في الإسلام: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [النور:٣٣].

وبالفعل ظهر الجيش المصري العملاق!

لكن السؤال هنا: بالنسبة للرقيق الذين عاشوا في دولة الإسلام العادلة هل يحرصون على المكاتبة أو تعنيهم أصلاً؟

إن قطز وبيبرس لم يكاتبوا أنفسهم ويتحولوا إلى أحرار إلا لتمويل الجيش لا أكثر!

فقد كان المماليك سادة الدنيا وكان جيش المماليك من أعظم جيوش الدنيا.

وقد هزم المماليك المغول في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م.

أيضًا السلطان المملوكي –العبد- قنصوه الغوري الذي حكم مصر والشام والحجاز، انتصر على البرتغال التي كانت تريد تطويق أفريقيا في ذلك الوقت، وهزمهم شر هزيمة في موقعة مالابار عام ١٥٠٨م.

وقد دافع السلطان قنصوه الغوري عن عدن وعن ديار الإسلام من هجمة المستعمر الجديد!

وكان للمماليك جهود عظيمة في شق الترع ومشاريع عملاقة في بلاد المسلمين، ولم يكن في الدنيا جيش يضاهي جيش المماليك إلا جيش الخلافة العثمانية!

ولولا خيانة محمد علي وجريمته النكراء في حق المماليك –مذبحة القلعة-، ربما ما تجرأ المستعمر الغربي العفن على ديار الإسلام وعلى استعمارها ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أضف إلى ما سبق أن: الرقيق أيضًا هم سادة الآخرة، فأجرهم ضعف أجر السيد بنص الحديث كما بيّنا قبل قليل.

إذن المشكلة هي الصورة النمطية التي انطبعت في أذهان المعاصرين عن الرق، وليس الرق في حد ذاته.

وإلا فإن **بلال بن رباح وعمار بن ياسر وزيد بن حارثة وأم أيمن وسمية بنت خياط**، كلهم رقيق وكلهم عظماء الصحابة رضي الله عنهم، وما قلَّل رِقهم من قيمتهم شيئًا.

وفي التابعين من الرقيق العلماء العدد الكبير، فمنهم المحدث العظيم **نافع** مولى ابن عمر و**عكرمة** مولى ابن عباس **ومجاهد وعطاء ومكحول وابن سيرين والحسن البصري وسعيد بن جبير**، أئمتنا وسادتنا رضي الله عنهم أجمعين!

لكن هل الرق قضية تاريخية انتهى زمنها كما يزعم الملحد والعلماني؟

الذي يقول ذلك هو أجهل الناس بالتاريخ فاختفاء الرق رسميًّا في القرن الماضي -عام ١٩٠٥- كان فقط لظهور المكائن – الآلات التي حلت محل البشر –.

وإلا فالرق كان وسيظل موجودًا ما وُجدت الحاجة إليه، ولا فرق كما فصلنا بين العمل الوظيفي وبين الرق إلا في المحتوى الزمني لكلٍّ منهما.

وسيعود الرق حال اختفاء المكائن كما تنبأ فرانسيس فوكوياما!

لكن طبعًا االملحد والعلماني عمومًا لا يعرفون لا تاريخ ولا فوكوياما فضلًا عن تبصر أحوال البشر ودورات الزمان!

لكن هل كان فلاسفة الإسلام ملحدين؟

صراحةً هذا السؤال يكرره الملاحدة كثيرًا، وهو يمثل خرافة من أسخف ما يكون؛ وقد رددت على هذا السؤال في كتابي كهنة الإلحاد الجديد وأنقل منه الآن شاهدًا:

لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام ملحد واحد،

ومشكلة الملحد العربي أنه لا يعرف الفرق بين الإلحاد الاصطلاحي والإلحاد في اللغة..

فيظن أن كل شخص أُطلق عليه لفظة ملحد أنه مُنكر للصانع..!!

فالإلحاد في اللغة يشمل كل من يميل عن شرع الله..

أما الإلحاد الاصطلاحي الذي يعني إنكار الصانع فهذا لا يُعرف في تاريخ أُمة الإسلام..

ولا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد..!!

لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد..!!

يقول ابن رشد: «إن العرب كلها تعترف بوجود الباري سبحانه وتعالى»[(١)].

ويقول الشهرستاني: «وشبهات العرب مقصورة على شبهتين..إنكار البعث.. وبعثة الرسول»[(٢)].

ويقول الشهرستاني أيضًا: «أما تعطيل الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد.. ولا أعرف عليها صاحب مقالة»[(٣)].

---

(١) منهاج الأدلة ص١٢٨.. من كتاب (العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية.. د.فرج الله عبد الباري أُستاذ العقيدة والأديان..دار الآفاق العربية..ص٤٣).

(٢) الملل والنحل ١٠٥.. (نفس المصدر السابق ص ٤٣).

(٣) نهاية الإقدام ص١٢٣.. (نفس المصدر السابق ص ٤٣).

ولذا " لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك"[١].

بل وقد ذهب الآلوسي وابن كثير في تفسيرهما إلى أن الدهرية كانوا يؤمنون بالله لكنهم ينكرون البعث وهذا في تفسيرهم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وسنذكر فيما يلي الشخصيات التي وُصفت جهلًا وزورًا وكذبًا بالإلحاد:

وليس معنى ذلك أن هذه شخصيات مُنزهة عن الخطأ بل بعضها له أخطاء شنيعة في العقيدة لكن هذا أمر لا علاقة له بالإلحاد - الذي هو إنكار الصانع - من قريب أو بعيد.

➢ الفارابي:

وُلد سنة ٢٦٠ هجرية ولُقِّب ب" المعلم الثاني " نسبةً للمعلم الأول أرسطو.. وهو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية... وصاحب كتاب "الآثار العلوية" والمنافح عن عقيدة التوحيد.. والذي قضى عمره زاهدًا متقشفًا ليتفرغ لتأصيل فلسفة التوحيد، وواجب الوجود وحين مات صلَّى عليه سيف الدولة ابن حمدان.. يقول الفارابي: " معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله والفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقليه وليس حسية، أما الرسول فتأتيه المعارف مُنزَّلة من عند الله بتوسط الملك جبريل"[٢].

ويضع الفارابي شرطًا جوهريًّا في مدينته الفاضلة وهو الإيمان بالله الواحد الأحد لكل أبناء المدينة.. فكيف يُقال عن هذا أنه ملحد؟.!!

➢ ابن سينا

وُلد سنة ٣٧٠ هجرية، وكان والده شيعيًّا إسماعيليًّا.. ولُقِّب ب" الشيخ الرئيس " وعاش متفائلًا في جميع مراحل حياته وكان يعتقد أن العالم الذي نعيش فيه أحسن العوالم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الفارابي المعلم الثاني.

الممكنة، وكان له تأثر شديد بالإسماعيلية في كتاباته ولذا يعتبره شيخ الإسلام -ابن تيمية- من الطائفة الإسماعيلية لا أكثر.

وكان ابن سينا يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، فقد كان متأثرًا كثيرًا بالفلسفة الباطنية عند الإسماعيلية لكن هذا شيء والإلحاد الذي هو كفر الصانع شيء آخر تمامًا.

بل إنه لما اعتلَّ وتكاثرت عليه الأمراض في نهاية حياته اغتسل وتاب وتصدَّق بما لديه من مال للفقراء، وأعتق غلمانه طلبًا للمغفرة، وبدأ يختم القرآن كل ثلاثة أيام[١].

➢ ابن طفيل

وُلد سنة ٤٩٣ هجرية في قرطبة، وهو من قبيلة مُضر العربية، وهو الفيزيائي الطبيب العالم الفيلسوف، قاضي الأندلس.. صاحب رواية "حي بن يقظان " الشهيرة، التي تروي قصة طفل نشأ في جزيرة نائية بحضرة الحيوانات فاهتدى بفطرته إلى الله وظل يتعبد له...وقصة "حي بن يقظان " قصة فلسفية في غاية الرُقِيِّ الفكريِّ تُصنَّف في باب الإلهيـات وإثبات الروح بالفطرة[٢].

هل هذا يُقال عنه أنه ملحد؟

➢ ابن رشد

وُلد سنة ٥٢٠ هجرية.. فيلسوف وفقيه وقاضي وفيزيائي وطبيب.. إمام أهل الأندلس المالكي، شيخ فلاسفة الإسلام.. قاضي أشبيلية.. صاحب كتاب " فصل المقال فيما بين الحِكمة والشريعة من الاتصال" وهو الكتاب الذي يشرح الجمع بين العقل والنقل.. يقول ابن رشد: "إنّ الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرّضيعة لها، وهما المصطحبتان بالطّبع، المتحابّتان بالجوهر والغريزة"... ويعتبر ابن رشد أن الفلسفة هي " النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن

---

(١) وفيات الأعيان.. لابن خلكان المجلد الثاني صفحة ١٥٧.

(2) http://shamela.ws/index.php/book/9734.

الموجودات إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم" [١].

ثم يأتي ملحد معاصر ويُصنف ابن رشد في قائمة الملحدين عنده..والله المستعان.!!

➢ ابن الراوندي

من أكثر الشخصيات غُموضا في تاريخ أُمة الإسلام.. لا نعرف هل مات في الأربعين أم الثمانين، انتقل بين الديانات..

كان يهوديًّا وأسلم ليستعز بالدولة الإسلامية العباسية، ثم أصبح معتزليًّا لأنهم الأقرب للخليفة، ثم هاجمهم، ثم التحق بالشيعة الباطنية، وألف كتابًا في تأييد الشيعة مقابل ٣٣ دينار، ثم أصبح سُنيًّا وألف كتابًا في التوحيد انتصارًا للسُنة، ثم صار يهوديًّا مرة أُخرى وألَّف كتاب البصيرة لنصرة اليهودية مقابل ٤٠٠ درهم، ثم حاول الرد على اليهود فأسكته اليهود مقابل ١٠٠ درهم أُخرى.. ومِثل هذا عبء على اليهود واليهودية لا أكثر..!! [٢].

➢ عبد الله بن المقفع

وُلد سنة ١٤٢ هجرية.. فارسي زرادشتي اعتنق الإسلام.. واتصل بعم أبي العباس السفاح و أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكانت علاقاته السياسية سببًا مباشرًا في قتله وتلويث سمعته من قِبل حُساده بعد موته.. ولذا يقول وائل حافظ في تصديره لكتاب "الأدب الصغير ": «ابن المقفع كُتُبه بين أيدينا تكاد تنطق قائلة: «وايم الله! إنَّ صاحبي لبريء مما نُسب إليه»!.وليت شعري كيف ساغ لفلان وفلان وفلان ممن ترجموا للرجل أن يجزموا بذلك، وكلهم قد صَفِرَت يَدُهُ من البرهان؟ إنْ هي إلا تهمة تناقلوها بدون بيان. وقِدْمًا اتهموا أبا العلاء المعري بذلك حتى قيض الله له مِن جهابذة المتأخرين مَن أثبت بالدليل الساطع والبرهان القاطع براءته".

---

(١) ابن رشد.. فصل المقال ص٢٢.

(٢) يوسف زيدان أُستاذ الفلسفة ومدير مركز المخطوطات بمكتبة الاسكندرية (المصدر كتاب "وهم الإلحاد" د.عمرو شريف).

ولذا يقول د. عبد الرحمن بدوي:" ابن المقفع نَسبت إليه المعتزلة الكثير من الأقوال وهذا يرجع إلى الحسد"[(١)].

➢ ابن زكريا الرازي

وُلد سنة ٢٥٠ هجرية.. عالم وطبيب فارسي ومن أشهر الأطباء في التاريخ.. وقد ابتكر خيوط الجراحة وصنع المراهم..

لم ينكر وجود الله وكان يعتبر العقل هبة الله ليتفكر به الإنسان.. وهو صاحب كتاب "إن للعبد خالقًا ".. فكيف يُصنف في زمرة الملحدين.؟

أما ما نُسب إليه في النبوات فيقول د. عبد الرحمن بدوي: " ابن زكريا الرازي كل ما لدينا عنه يرجع إلى ما يُورده الخصوم فضلًا عن ندرة هذه الآثار أصلاً" [(٢)]

ولذا يُثني عليه الإمام الذهبي في سِير أعلام النُبلاء ولم ينقل فيه مذمَّة واحدة يقول الذهبي: «أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكياء أهل زمانه، وكان كثير الأسفار، وافر الحُرمة، صاحب مروءةٍ وإيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مكبًّا على الاشتغال، مليح التأليف.. وله كتاب: الحاوي ثلاثون مجلدًا في الطب، وكتاب: إن للعبد خالقاً»..!! [(٣)]

➢ جابر ابن حيان

وُلد سنة ١٠١ هجرية.. عالم مسلم عربي.. كيميائي ويُعد أول من استخدم الكيمياء عمليًّا في التاريخ.. وتُسمى باسمه فيقال: " علم جابر " ويُقصد به الكيمياء، وله في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق.

ويوصف طبقًا لفرانسيس بيكون أنه " أول من عَلَّم عِلم الكيمياء "..

---

(١) من تاريخ الإلحاد في الإسلام.. د.عبد الرحمن بدوي.

(٢) من تاريخ الإلحاد في الإسلام.. د.عبد الرحمن بدوي.. ص١٦٥.

(٣) سير أعلام النبلاء: الطبقة السابعة عشر: محمد بن زكريا.

وهو أول من اكتشف الأحماض والقلويات وأطلق عليها هذا الاسم الذي ما زالت تعرف به في الغرب والشرق alkali

واستخدم المنهج التجريبي في أبحاثه.. وكان من أصحاب جعفر الصادق.. وكان صوفيًّا دراسًا للقرآن الكريم..!!

ولا أدري ما علاقة الرجل بالإلحاد..!!

➢ الجاحظ

وُلد سنة ١٥٩ هجرية.. من كبار أئمة الأدب العربي في العصر العباسي.. وكان فقيرًا فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل، فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته...!!

تتلمذ على يد إبراهيم بن سيار النظَّام المعتزلي.. وله مقالات في أصول الدين..وأشهر مؤلفاته " الحيوان " و" البيان والتبيين " وكان مُحبًّا للعلم والعلماء والأئمة وملازمًا لهم طيلة عمره...

ومن مؤلفاته في العقيدة " الحُجة في ثبت النبوة، و " الرد على اليهود "، و "الرد على الجهمية"[١]

وما أدري كيف يوصف الرجل بالإلحاد...؟!!

➢ أبو العلاء المعري

وُلد سنة ٣٦٣ هجرية.. شاعر وأديب عربي من العصر العباسي.. قال ابن فضل العمري: "أخذ عنه خلق لا يعلمهم إلا الله، كلهم قضاة وخطباء وأهل تبحر واستفادوا منه، ولم يَذكره أحدٌ منهم بطعن، ولم يُنسب حديثه إلى ضعف أو وهن".

آمن المعري بالله إيمانًا فطريًّا وعقليًّا يجعله لا يرتاب في وجود الخالق:

أثبت لي خالقًا حكيمًا... ولست من معشر نُفَاة

بل إن صِلته بربه قوية وأعز عنده من الدر والياقوت:

---

(١) http://forum.alqum-a.com/t28149.html.

وشاهدٌ خالقي أن الصلاة له... أجل عنديَ من دري وياقوتي

انقطع عن الدنيا وفارق لذائذها، وأطلق على نفسه رهين المحبسين، وكان يصوم النهار ويسرد الصيام سردًا لا يفطر إلا العيدين، ويقيم الليل ولا يأكل اللحوم والبيض والألبان ولايتزوج، وكان يكتفي بما يخرج من الأرض من بقلٍ وفاكهة[1].

اتُّهم بالزندقة بسبب رسالته في الغفران لكنها رسالة مزح كان يمازح فيها صديقه ابن القارح، وتظهر فيها مقدرة المعري اللغوية كما تبدو فيها مقدرته على السخرية والنقد..!!

ولكنه وَجد من يدافع عنه نافيًا هذه التهمة. ومن هؤلاء أبو فهر محمود شاكر والمُحدث أحمد شاكر والقفطي وابن النديم، وسَمَّى الأخير كتابه:" كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري "وقال في مقدمته متحدثًا عن حُسَّاده وشانئيه: " ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوبًا وحسناته ذنوبًا وعقله حمقًا وزهده فِسقًا، ورشقوه بأليم السِهام ".

ومِن أحسن الشهادات في حقه شهادة الإمام الذهبي حين قال في سير أعلام النُبلاء: "وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنَّسَبِ وأيام العرب. وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة، شِعر كثير والمشكل منه فله ـ على زعمه ـ تفسير".

➢ الكِندي

وُلد سنة ١٨٥ هجرية.. عالم مسلم عربي.. برع في الفيزياء والطب والترجمة وهو رائد تحليل الشفرات.. ويلقب بـ"فيلسوف العرب"؛ نظرًا لبراعته في التوفيق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية.. وفلسفته كانت في إثبات توحيد الله وفي الروح ويرى أن النبوة تفضل الفلسفة في أربعة أوجه:" في شموليتها وأنها من الله مباشرة وسهولة تلقيها من الله وسرعة تلقينها للناس العاديين بعكس الفلسفة الأكثر تعقيدًا"...

فكيف يقال عن هذا أنه مُلحد؟

---

(١) http://shamela.ws/index.php/author/84.

➢ أبو حيان التوحيدي

وُلد سنة ٣١٠ هجرية.. فيلسوف متصوف.. قال عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى "شيخ الصوفية وصاحب كتاب البصائر وغيره من المصنفات في علم التصوف....وكان فقيرًا صابرًا متدينًا إلى أن قال: وكان صحيح العقيدة. قال الذهبي: كذا قال، بل كان عدوًّا لله خبيثًا، وهذه مبالغة عظيمة من الذهبي". انتهى.

قال ياقوت الحموي في "معجم الأدباء": "أبو حيان التوحيدي... صوفي السمت والهيئة..فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً، وفصاحةً ومكنةً، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدودًا محارفًا يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه.."[(١)].

إذن لم يكن في تاريخ الإسلام ملحد واحد، فالإلحاد الذي هو إنكار الصانع يختلف عن الإلحاد الاصطلاحي المعاصر...

لا يوجد في تاريخ الإسلام مُلحد واحد عبر التاريخ وعبر الجغرافيا.. ولم يُنسب الإلحاد الذي هو كُفر الصانع إلى واحد من أُمة الإسلام..!!

ولم يقل بالإلحاد الذي هو كفر الصانع واحد من جملة العُقلاء ولا الفلاسفة ولا الأطباء ولا أهل الفلك ولا الحساب ولا الفيزياء ولا الكيمياء في تاريخ أُمة الإسلام.. **ولم يُحفظ سطر واحد فيه إنكار الصانع عن أُمة الإسلام قاطبةً...**

وحتى ابن سينا الذي أكثر عليه الملاحدة، فغاية ما هو منسوب إليه عند الغزالي وابن تيمية وابن القيم، إنكار علم الله بالجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كُلّي - ظنًّا منه أن هذا أقرب للتنزيه -، وهذا لا علاقة له من قريب أو بعيد بالإلحاد الذي هو إنكار الصانع، وحاشا لله أن تُخبل عقول هؤلاء الفلاسفة إلى هذا الحد من الجنون..!!

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الخامس عشر، حرف العين..

وأنكر ابن سينا أيضًا المعاد الجسماني يوم القيامة: «فليكن هذا كافيًا في مناقضة الجاعلين المعاد للبدن وحده، أو للنفس والبدن معًا...فالمعاد إذن للنفس وحدها»[(١)].

وهذه شنيعة كبرى في العقيدة لكن ما علاقتها بكفر الصانع، بل ربما نستدل منها على إثبات الصانع والإيمان بالبعث عند ابن سينا فهذه من بدهيات عقيدته والتي لم ينفها عنه مَن كفَّروه..!!

ويرى شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله أن ابن سينا ما اشتغل بالفلسفة إلا لتنزيه الله عن افتراءات الطائفة الإسماعيلية التي هي عائلته[(٢)].

لكنه تأثر بالإسماعيلية أهل دعوة الحاكم في الإمامة [(٣)].

وبالمناسبة عندما تقرأ كلمة " إلحاد الطائفة الإسماعيلية "عندما تقرأ هذه الكلمة عند السلف عليك أن تعلم أنها لا علاقة لها من قريب أو بعيد أو فوق أو تحت بكفر الصانع أيضًا... بل الطائفة الإسماعيلية اثني عشرية مؤمنون بالقرآن الكريم حتمًا وقطعًا، موحدون الله حتمًا وقطعًا، مثبتون وجود الله بداهة.. وإنما يقول بعضهم بشناعات كُفرية في العقيدة مثل إنكار المعاد الجسماني وإنكار علم الله بالجُزيئات بعلم جزئي وغير ذلك.. وينسبون الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق - ولذا سُموا بالإسماعيلية - وبذلك انشقوا عن باقي الاثني عشرية الذين جعلوا الإمامة في موسى الكاظم... ولا أدري أيضًا ما علاقة هذا بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي هو كفر الصانع..!!

فلابد لابد من التفريق بين الإلحاد لغةً والإلحاد اصطلاحًا... ولذا يقول ابن القيم رحمه الله: «ومَن أثبتَ منهم وجودَ الربِّ جعله لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا غيرَ مخلوقٍ، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة»[(٤)].

---

(١) الأضحوية، ص١١٤، ١٢٦.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية... الرد على الرد على المنطقيين... ص١٤١.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية... نقض المنطق... ص ٨٧.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية... ص٨٦.

إذن الإلحاد عند السلف لا علاقة له بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي يعني إنكار الصانع..!

وفي النجوم الزاهرة للتغري بردي قال وهو يتحدث عن ابن سينا:

" كان إمام عصره في الحكمة وعلوم الأوائل، بل كان إمامًا في سائر العلوم. وتصانيفه كثيرة في فنون العلوم، حتى قيل عنه: إنه ليس في الإسلام من هو في رتبته. قال أبو عبد الله الذهبي: كان ابن سينا آية في الذكاء، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول، وخالفوا الرسول - قلت: لم يكن ابن سينا بهذه المثابة بل كان حنفي المذهب، تفقه على الإمام أبي بكر بن أبي عبد الله الزاهد الحنفي - وتاب في مرض موته، وتصدق بما كان معه، وأعتق مماليكه، ورد المظالم على من عرفه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة إلى أن توفي يوم الجمعة في شهر رمضان. قلت: ومن يمشي خلف العقول، ويخالف الرسول، لا يقلد الأحكام الشرعية، ولا يتقرب بتلاوة القرآن العظيم".

والله وحده الأعلم بحال ومآل ابن سينا... لكن غاية ما هنالك أن هذا شيء وإنكار الصانع شيء آخر تمامًا..

فيُرجى عدم الخلط.. لأن هذا غاية الملحد المعاصر ومنتهى مأربه وبالغ عزمه وأصل قصده والله المستعان..!!

لماذا لا يوجد نموذج إسلامي ناجح سياسيًّا

هذا السؤال المدهش يمكن أن يصدر عن إنسان لم يقرأ يومًا في كتب التاريخ كلمة واحدة!

فأطول حضارة في تاريخ البشرية هي الحضارة الإسلامية، وتم فيها مباشرةً تطبيق مشروع الإسلام السياسي، وظلت ١٢٠٠ عام تقود العام وتتربع على عرش العالم بأكبر جيش وأكبر قائمة من العلماء والمفكرين، وأكبر وحدة سياسية واقتصادية ودينية عرفها التاريخ.

ربما يظن الملحد أن تاريخ العالم يبدأ بوصول الإنجلوساكسون في أمريكا، والبلاشفة في روسيا إلى قيادة العالم منذ مائة عام.؟

إن موسكو كانت إحدى الولايات الخاضعة لإمارة القرم الإسلامية حتى عام ١٨٥٠.

بل إن المجر وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا ونصف روسيا ومقدونيا واليونان وثلث فرنسا وبلغاريا والبوسنة والجبل الأسود وألبانيا ومقدونيا وصقلية وكريت ورودس، كلها كانت ولايات عثمانية حتى القرن الثامن عشر.

وكانت الصيدلة والطب والفلك والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا علوم عربية أصيلة ظهرت في حقبة الإسلام السياسي، وكلها علوم ما تزال تحمل الأسماء العربية الفصحى إلى اليوم، وكان الصاحب بن عباد لديه من الكتب ما يقدر بما كان في مكتبات أوربا مجتمعة، وكنت تجد في المساجد من قرطبة إلى سمرقند علماء لا يحصيهم عدد.

وكان جيش الخلافة العثمانية أقوى جيوش العالم قاطبَة.

وظلت القيادة العسكرية والعلمية والفكرية والفلسفية حصرية لدولة الإسلام طيلة ١٢٠٠ سنة.

هذا هو الإسلام السياسي وهذه هي دولته.

ثم يأتي أحد القمامصة الملحدين ويقول: لماذا لا يوجد نموذج إسلامي ناجح سياسيًّا!!

الفَصلُ الرَّابِعُ

المتشابه في القرآن والكون

المُتشـابه في القرآن والكون

مُعضلة الشر:

يقول الله عز وجل في مُحكم التنزيل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]

شاء الله سبحانه وتعالى بمشيئته الكونية القدرية أن يوجد المُتشابه في كتاب الله المسطور – القرآن الكريم – وأن يوجد المتشابه أيضًا في كتاب الله المنظور – الكون والخلق –.

فما معنى الحروف المُقطعة في أوائل السور في كتاب الله المسطور، وما معنى ولادة أطفال مُشوهة في كتاب الله المنظور؟

وما معنى البلاء والزلازل، وما معنى المجاعات والحروب؟

فلو ظننت أن الله من المفترض أن يأتي بالمحكم بدون أي متشابه فما عرفت مقصد الرسالة ولا غاية الاختبار ولا معنى استخدام العقل الذي هو مناط تكليفك ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك:١٠].

بل إن هذا الظن ينم عن عدم استيعابنا للقضية التكليفية الكبرى.

فقوام الدين كله على وجود نسبة متشابه ليميز الله الخبيث من الطيب!

حتى يتبع الفاجر الشبهة ويترك الحق الظاهر.

فالمتشابه موجود وشاء الله وجوده.... امتحانًا واختبارًا

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك:٢].

وبالتالي فالخير والشر موجودان لأننا في دار امتحان، وابتلاء، وليست الدنيا دار قرارٍ، ولا خلود.

والجميع يتفقون على وجود الشر في هذا العالم، وليس ثمة مبرر لوجوده إلا في الإطار الديني.

ولو أننا افترضنا أن الحياة جائت صدفة، والخلق جاء بمحض الطبيعة فساعتها وطبقًا لقوانين الاحتمالات فإن نشأة أبسط كائن على وجه الأرض تحتاج إلى مليارت الأكوان بحجم كوننا، لتمتليء بالكائنات المشوهة والوسيطة من أجل إنتاج كائن واحد سليم، فطبقًا لنظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept لا يُمكن لكائن حي مهما كانت بساطته أن ينزل إلى أقل من ٢٠٠ جينة وفي عدد ٦ يناير ٢٠٠٦ نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه " لا يمكن أن نتجاوز حاجز ٣٩٧ جين "، فإنتاج الطاقة وحدة يتطلب ٦ جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حد أدنى من الجينات، وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma – وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق – لديه ٤٦٨ جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ حمض أميني.

وبإحصائية بسيطة فإنه طبقًا لنظرية الحد الأدنى من الجينات فنحن بحاجة إلى مصفوفة من القواعد النيتروجينية تقترب من ٤٠٠,٠٠٠ قاعدة من أجل إنتاج كائن واحد بسيط جدًّا سليم، وهذا احتمالية نشأته ١٠ أس ٢٠٠,٠٠٠، أي أن الكائنات المشوهة ستملأ مليارات المليارات المليارت من الأكوان للخروج بكائن واحد سليم، حيث إن عدد الذرات في كوننا كله هي ١٠ أس ٨٠ ذرة.

فما بالنا والشذوذ والتشوه ليسا إلا نوادر، ولا يقعان في الحُسبان، وشاء الله وجوده لأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، والذين في قلوبهم زيغ سيتبعون هذا التشوه ويتشككون من خلاله، ويجعلونه أصلًا في كفرهم وإلحادهم.

يقول ابن الوزير اليماني: «فسبب الشك والكفر: هو النظر في المتشابهات، التي لم يحط البشر بها علمًا، ولا عرفوا تأويلها»[(١)].

إذن الإطار الديني هو الوحيد الذي يُقدم التفسير لمعضلة الشر.

---

(١) العواصم: ١/ ٢١٤.

لكن السؤال.. لماذا الإنسان يستوعب وجود الشر، ووجود التشوه، ووجود المتشابه؟؟

الشر أصلا غير مُستوعب وغير مُدرك إذ لو كان الإنسان ابن الطبيعة أو ابن المادة وتجري عليه قوانين الطبيعة الحتمية، فلن يدرك وجود الشر ولن يستوعب ماهية الشر ولا معنى كلمة شر، فهل تُدرك أكثر الحيوانات تطورًا - طبقا للداروينية - معضلة الشر؟.. . فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأننا نبحث عن عالم كلي الخير وفي هذا الحُجة الأولى والأقوى للدين..

إذن الشر، والمتشابه هما أكبر دليل على أننا لسنا أبناء هذا العالم.

وأن المقدمة الدينية هي الوحيدة التي تملك التفسير والمعنى والقيمة!

لقد قضت الحِكمة الإلهية أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير ومع ذلك فشل في الاختبار خلقٌ كثير ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

فصل المقال في الناسخ والمنسوخ

عندما أمر الله عز وجل خليله إبراهيم بذبح ابنه، وقبل أن تقطع السكين رقبة الغُلام، نسخ الله الأمر ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠٧]، والحِكمة من ذلك معلومة بداهةً وهي تخلية قلب إبراهيم لله عز وجل، وبيان استحقاقه للقب الخليل، وامتثاله للأمر الإلهي!

وعندما أنزل الله عز وجل الشرائع ونسخها بالإسلام، وكان الإسلام أعظم الشرائع وأكملها وأتمها بناءًا ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة:١٠٦]، كما قال الزركشي في تفسير الآية، كانت حكمة النسخ معلومةً في ذلك كله.

فحِكمة النسخ دقيقة فاصلة، فالأحكام الشرعية تأتي على قدر عقول الناس واستيعابهم، والإسلام هو اللبنة التي أكملت الشرائع كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**وكُنت أنا تلك اللبنة**».

وداخل الإسلام جاء النسخ بداهةً تبعًا لحالة المُكلفين وقدرتهم، فتمَّ تحريم الخمر على مراحل ثلاث، ونُسخت الصلاة من خمسين إلى خمس، ونُسخت القبلة من بيت المُقدس إلى البيت الحرام.

فلا أحد يستطيع أن يُنكر النسخ أو أن يفترض عدم وجوده!

لكن نأتي للنقطة المحورية في بحثنا وهي هل جاء في كتاب الله آيات منسوخة؟

بمعنى أنها بقيت تلاوةً ونُسخت حُكمًا!

صراحةً كُل الآيات التي ذُكر فيها أنها منسوخة إنما تُثبت حُكمًا شرعيًّا على المُكلفين في حالة مُعينة، والآيات التي قيل أنها ناسخة تُثبت حُكمًا شرعيًّا آخر، عند تغيير الحالة الأولى إلى حالةٍ أُخرى، وإذا رجعت الحالة الأولى رجع معها الحُكم المُنزل بإزائها.

وسنذكر بعض الأمثلة لمزيد إيضاح:

١) آية الوصية للوالدين ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٨١]، قيل: نُسخت بآيات المواريث وحديث لا وصية لوارث، لكن تبقى الآية معمولًا بها، إذ يجوز الوصية في حدود الثلث بل وأكثر من ذلك إذا وافق الورثة،

ويجوز أن يكون الحث للوصية للوالدين إذا لم يرثا وكذلك الأقربين، في حال اختلاف الدين أو قتل الموروث مثلاً.

٢) أيضًا في أحكام القتال ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٥] قيل نُسخت بـ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال:٦٦] سورة الأنفال، وهذا الحكم تخفيف لا نسخ كما ذكره القرطبي في تفسيره.

٣) آية الصدقة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة:١٢]، قيل نُسخت بـ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١٣]، لكن الأمر في الآية الأولى للندب، لا للوجوب بقرينة قوله فإن لم تجدوا، وفي الآية الثانية تخيير!

والأمثلة كثيرة بنفس المعنى، فالوارد في القرآن لا ينسخ بعضه بعضًا نسخًا كُليًّا!

لكن قد ينسخ القرآن ما يَثبت في السُّنة باعتباره تدرجًا في التشريع، كما أن السُّنة تنسخ السُّنة لنفس المعنى!

إذن لا يوجد النسخ الكامل في القرآن بمعنى رفع الحُكم كُليًّا مع بقاء التلاوة!، فالقرآن صالحٌ لكل زمانٍ ومكان، ويخاطب جميع البشر في كل الأحوال إلى يوم القيامة، وهو معجزة الرسالة الخاتمة، **وعليه فلابد أن تدل آياته كلها على أحكام شرعية، تتناسب مع الأحوال المُختلفة، حتى يُحقق الشمول والمرونة التي تستلزمها خاتمية الرسالة المحمدية.**

لكن هل يوجد نسخ للتلاوة مع بقاء الحُكم، أي نسخ الآية القرآنية ورفعها من المصحف، مع بقاء حُكمها؟

استدل الجمهور على جواز نسخ التلاوة دون الحُكم بالعقل والنقل، أما العقل: فإن نسخ التلاوة دون الحُكم لا يترتب على فرض وقوعه مُحال، وكل ما كان كذلك كان جائزًا، فإذا أضفنا إلى ذلك رعاية المصالح في التشريع فهو حتمًا ذو فائدة وإن لم تظهر جليةً في وقتها!

أما الدليل النقلي: ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: لولا أن يقول الناس زاد عمر في القرآن لكتبت آية الرجم بيدي «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم». فإنا قد قرأناها.

لكن هناك نقطة هامة جدًّا؛ إذ كثرت الأحاديث في هذا الباب فظن الظَّان أن هناك الكثير من الآيات التي رُفعت، وقد تعرَّض العلامة الغُماري لجميع هذه الأحاديث بالنقد والرد مستخدمًا الصناعة الحديثية، وقد تقرر في علم الأُصول أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وما لم يتواتر لا يكون قرآنًا، والكلمات التي قيل بقرآنيتها ليست بمتواترة، بل هي شاذة والشاذ ليس بقرآن ولا تجوز تلاوته، وأغلبها لا يصح منه شيء بموجب الصناعة الحديثية.

والله أعلم!

وألفاظ القرآن وآياته بالنسبة إلى المُكلفين سواء، لكن الأحكام تتفاوت فالحكم السهل خيرٌ للمكلف من الحكم الصعب وما كان خفيفًا فخيريته بسهولته وإن كان شديدًا فخيريته بكثرة ثوابه ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦].

وآية السيف مثلًا لم تنسخ آيات التخفيف بل هي من باب المُنسأ ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾، فكل ما ورد يجب امتثاله في وقتٍ ما لعلة توجب ذلك الحُكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حُكم آخر وهذا ليس بالنسخ الكامل، فالنسخ الكامل هو الإزالة بحيث لا يجوز امتثاله أبدًا، وهذا لا يوجد في كتاب الله منه شيء!

والخلاصة: فالنسخ يراعي طبيعة البشر القاصرة، وقدرتهم النسبية على تحمل أحكام الشريعة، فجاءت الشرائع بقدر طاقات البشر وبقدر طبيعتهم، ثم جائت الشريعة الأخيرة الخاتمة كاملة مكملة مهيمنة على ما قبلها من الشرائع، أما عند الله فليس هناك في كل ذلك نسخ أصلًا لعلمه أن تلك الأحكام والشرائع ستُنسخ!

فالنسخ في أصله رحمة من الله بعباده بقدر طاقتهم وسعة احتمالهم وتقبلهم الأمر الإلهي بالتدرج وبالسنن ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦].

لماذا نزل القرآن بلغة العرب؟

اللغة العربية من أكمل اللغات ما عرفها التاريخ إلا كاملة -كما يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في بعض كتبه- حتى تعجب من ذلك أرنست رينان، وهي أوسع اللغات، وفي قاموس المحيط ستون ألف مادة يتولد منها قرابة سبعة ملايين كلمة، بينما المعاجم الإنجليزية بها مئات الآلاف من المواد؛ لأنها كلها كلمات لقيطة من لغات مختلفة يصعب التوليد منها فتظهر مواد جديدة على غير قاعدة.

ولا أحد يعرف مراحل نمو العربية بالطريقة التي تستطيع بها أن ترصد مراحل نمو بقية لغات العالم، فالعربية أنى بحثت عنها في أي تاريخ وجدتها كاملة بينما الإنجليزية مثلًا التي كان يكتب بها شكسبير منذ أربعة قرون لا تتجاوز ثلث الإنجليزية المستخدمة اليوم.

وتاريخ اللغة العربية كما يقول د. منقذ السقار حفظه الله في بعض مقالاته قريبٌ من ٨ آلاف سنة، بينما العبرية ٤ آلاف سنة - والقديم هو الأب والأصل-، واللغة العربية لغة ثرية بها ستون ألف مادة كما قلنا، بينما العبرية ٢٥٠٠، و اللاتينية ٧٠٠ جذر لغوي!

والعبرية ١٩ حرف بينما العربية ٢٨ حرف.

اللغة العربية هي لغة من المستوى الأول، بينما العبرية سلالة آرامية والآرامية مستوًى ثاني، والآرامية مُشتقة من اللغة العربية، وعندنا مخطوط سيناوي عمره ٤ آلاف سنة وكان باللغة العربية.

واللغة العربية أفضل اللغات وأكمل اللغات وأثرى اللغات، أانظر مثلًا لكلمة أسد لها كم لفظة في لغات العرب؟

(الأسد- الغضنفر- الليث- السبع- القصورة- الضرغام- الضيغم،...) بينما في اللغات المعاصرة لن تجد لكلمة الأسد أكثر من اسمين كحدٍّ أقصى، مع أن الأسد ليس من حيوانات الصحراء ولا البادية.

اللغة العربية غنية في الإشتقاق، فمثلًا طويل tall، طويل طال يطول ذو الطول مستطيل طائل وطائلة.. ما لا نهاية، بينما بالإنجليزية tall ليس لها اشتقاق، فهي لغات فقيرة جدًّا في المنحى البلاغي.

أيضًا في الإنجليزية جيد good ليس لها إلا goodness، بينما في العربية جيد أجاد يجيد إجادة جودة جياد جود جواد، وهكذا.

ومن المُميَّز في اللغة العربية أنها تختص بقِصر الجُملة مع الضبط والإيقاع البلاغي والرصانة في آنٍ واحد، فمثلًا كلمة "أنُلزمكوموها" تُترجم بالإنجليزية إلى ٧ كلمات Shall we compel you to accept it

لن أذهب I shall not go

- وإذا رجعت إلى ترجمة جوجل، ستجد في الغالبية الساحقة الترجمة العربية نصف حجم المحتوى الإنجليزي تقريبًا.

فأسقيناكموه، لفظة واحدة بها حرف عطف، وفعل وفاعل ومفعول أول ومفعول ثانٍ.

وتتميز اللغة العربية بذاتية الحرف ورمزيته، فقد يمثل الحرف الواحد كلمة كاملة مثل: عِ، فِ، قِ.

والحرف له رمزية في اللغة العربية ويمكن من حرفٍ واحد أن تفهم مراد صاحبك وهذا غير موجود في لغةٍ أخرى.

فاللغة العربية هي وعاء للكلمة الإلهية ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر:٢٨]، فكمالات اللغة سمحت لها استيعاب القرآن[١].

لكن هل في القرآن شيءٌ من أشعار العرب القدامى ونعني بذلك امرؤ القيس، وأُمية بن أبي الصلت؟

شِعر أمرؤ القيس المشابه للقرآن هو شِعر منحول من زمن العباسيين، حين كانوا ينحلون الشعر وينسبونه لفطاحلة الشعر العربي، بل إن طه حسين تجاوز الحدود فقال: إن كل شعر الجاهلية منحول، ولكن المُدقق يعرف المنحول من غير المنحول، فشِعر امرؤ القيس معروف بالبداوة والألفاظ الجذلة، أما الشِّعر المنسوب له والمشابه لآيات سورة القمر في أربع مواضع فهو كلام ليِّن حضري سهل لا يُشبه بحال شعر امرؤ القيس!

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=HQZsqCuDVHo

أما شعر أُمية بن أبي الصلت فقد أدرك الإسلام وذهب للطائف أثناء غزوة بدر، وقال كلمته المشهورة: «إني أعلم أن ما يقوله محمدٌ حقًّا»، والشعر المشابه للقرآن من قياسه هو على القرآن لا العكس؛ لأنه قاله في الفترة المدنية بينما الآيات المشابهة مكية!

ثم كيف يُفوِّت الكفار فطاحلة الشعر وموسوعته المتنقلة في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه القضية، دون تهييج الدنيا بشأنها، ودون اعتبارها المسمار الذي يُدق في نعش الإسلام، إن تذاكي الكهنة الملحدين المعاصرين هو غباء معرفي، وكسل مطالعة، وخُبث طويّة!

هل انبثق العقل من مادة كما يزعم الملحد؟

إذا انبثق العقل من المادة، دون استمداد من خالقٍ مُطلق، كيف نثق في أحكامه؟

وكيف يجعلنا نثق في مفاهيمه البديهية؟

ولو كان العقل نتاجًا مباشرًا للمادة و نتاجًا مباشرًا للمخ، لتبنى جميع البشر رأيًا واحدًا في كل قضية، فلو أضفنا حامض إلى قاعدي فالنتيجة ملح وماء، مهما تكررت التجربة أو تغيرت الظروف المحيطة!

فالعقل المادي الأداتي الحتمي، تختفي عنده النظرة الشخصية المستقلة، ويختفي عنده التميز الذي هو السمة الفريدة للعقل، وتختفي عنده الذات الإنسانية، ثم يختفي الإنسان!

إن العلماء والبسطاء والمؤمنون والملحدون ينفقون أعمارهم أملًا في أن يتركوا بصمةً تُخلد ذكراهم، مع أن هذه مفارقة كبيرة، فالموت إذا كان يعني العدم فلماذا يُصر الملحد على ترك البصمة؟ لماذا يفترض العقل تصور ما ورائي بعد فناء المادة وبالتالي فناؤه، يحرص على ترك بصمة فيه؟

إن العقل ضيف جديد تمامًا على الكون، إنه مُعطى التكليف ومعنى الوجود وغاية الخلق ومُفردة من مفردات الروح، وتبرير ترك البصمة!

إن أذكى الحيوانات على الإطلاق الشمبانزي، لو وقف أمام شجرة تهزها الريح لتسقط له الثمرة مليون سنة لن يأتي في ذهنه أن يهز الشجرة يومًا ما ليسقط هو بنفسه الثمرة، إن المخ عند القرد مادي لا يُعطي مفهوم متجاوز أو معنىً أو قيمةً للأداء أو العمل، والتحليل لديه أُحادي!

إن أمخاخنا وأمخاخ جميع الكائنات متطابقة على المستوى الكيميائي والكهربائي، وأمخاخ الكثير من الثدييات أكبر من مخ الإنسان بكثير ومخ الحوت الأزرق أكبر من مخ الإنسان خمس مرات، ومخ الفأر بالنسبة إلى جسمه يبلغ خمس أضعاف الخاص بالإنسان، والتعقيد في الوصلات العصبية مهما اشتد فلن ينقل النبضة العصبية الكهروكيميائية إلى نبضة أخلاقية أو قيمية أو معرفية، إن العقل شيء لا علاقة له بحجم المخ ولا كثافة الوصلات العصبية، إنه مُعطى إلهي ليتميز به الإنسان المُكلف!

ولذا فقد أثبت د. روجر سبيري Roger Sperry الحائز على نوبل في وظائف المخ أن الوظائف العقلية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمخ المادي وهي فقط قد تستعمله كآلة.

يقول السير جون إكلز John C. Eccles الحاصل على نوبل في الطب: "أجدني مضطرًّا إلى القول بطبيعة غير مادية لذاتي وعقلي، طبيعة تتفق مع ما يسمونه الروح".

وقد وضع جون إكلز مع فيلسوف العلوم الأشهر كارل بوبر Karl Popper، كتاب يشي عنوانه بأبعاد القضية وعنوان الكتاب:

("الذات والمخ التابع لها " The Self and its Brain)[١].

---

(١) بعض الفقرات من كتاب رحلة عقل، د. عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، الرد على شبهة – أُضحوكة – مُصمِّم ذكي من كونٍ آخر، شبهة اليوفو (ufo).

الرد على شبهة - أُضحوكة - مُصمِّم ذكي من كونٍ آخر، شبهة اليوفو UFO

تلك الشبهة التي يروجها كهنة المعاطف البيضاء، والتي تتلخص في أن أحد الكائنات الذكية يزور كوكبنا وربما كان مصدر خلقنا!

سأل الإعلامي الأمريكي بين شتاين Ben Stein الملحد الشهير ريتشارد داوكينز Richard Dawkins عما إذا كان يرى مانعًا من أن يكون أصل الخلية الحية الأُولى تصميمًا ذكيًّا من عمل بعض كائنات اليوفو UFO التي زارت الأرض في زمانٍ سحيق، فقرر داوكينز أنه لا يرى ما يمنع ذلك، بل إنها تعد- على حد قوله- جديرة بالاهتمام!

لهذا لم يجد شتاين إلا أن عقَّب على جواب داوكينز بتلقائيةٍ وفطريةٍ تامة قائلاً: "إذن هو لا مانع عنده من قبول فكرة التصميم الذكي عموماً، وإنما يعترض على نسبتها إلى الخالق تحديداً!"[١].

إن افتراض كائنات ذكية، أو UFO أو أكوان أُخرى، هذا الافتراض يفتح تسلسلًا - مَن الذي خلق تلك الكائنات الذكية؟ وهكذا - ولا يجيب عن السؤال!

ثم كيف لصاحب افتراض كهذا أن يَعيب على الجواب الديني، بل إن الجواب الديني أكثر منطقية وتناسقًا مع نفسه، ويمتلك دعمًا نقليًّا مباشرًا - النص المُقدس-، ويمتلك مستند عدم المعارِض- حيث لم تترك لنا تلك الكائنات تلك الدعوى العريضة، التي تُثبت قيامها بذلك -، أيضًا الجواب الديني أكثر عقلانية لعدم وجود التسلسل اللانهائي بداخله والذي هو مستحيل عقلاً، فالتسلسل اللانهائي تضطر فرضية اليوفو للتسليم به أو العودة للقول بالخالق الأبدي المستقل عن حدود الزمان والمكان.

---

(١) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين.. لأُستاذنا أبو الفداء ابن مسعود، دار الإمام مسلم.. ص ٣٦٥.

فيديو اللقاء على هذا الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v=9M_ZF8r5e7w

فالجواب الديني يقدِّم للعاقل المُنصف ما لا تُقدمه الفرضيات الإلحادية الهاربة من فخ المعايرة الدقيقة للكونFine tuning، والمعايرة الدقيقة لحظة الخلق، والتشفير في الكائنات الحية Coding، وهي أمور تدعو للتسليم بخالق واعٍ حكيمٍ قادر.

ففرضية مُصمم ذكي من كونٍ آخر أو UFO أو غرباء زاروا الأرض، هذا ليس جوابًا في حد ذاته وإنما هو إرجاء المطلب المعرفي الذي يرومه السائل إلى درجة من درجات تسلسل لا نهائي لا يوصلنا إلى جواب البتة!

فما فعل المُلحد بهذا في الحقيقة إلا أن أضاف في الطريق إلى إثبات العلة الأُولى الفاعلة- الله -، افتراضًا متهافتًا لعلةٍ وسيطة لا يجد العقلاء من القرائن ما يوحي- ولو من بعيد - بوجودها أصلاً!

لكنه الهروب من التكليف الديني إلى دين بلا قيود ولا إلزامات، إنه دين اليوفو دين الملاحدة الجديد!

إن مشكلة الملاحدة مشكلة نفسية بالأساس، تتمثل في كراهيتهم الدخول في مقتضيات إثبات ذلك الخالق الغيبي، التي هي وجوب الخضوع لأمره ونهيه وتألهه وعبادته!

ثم إن من مسلمات مُعطياتنا عن حدث الخلق الأول سواءًا للكون أو الحياة؛ أن منظومة الخلق تلك جاءت بنواميس وقوانين كونية حتمية، فكيف يُقال: إن الغرباء الذين هم داخلون في جملة تلك النواميس وخاضعين لها، قاموا بكسر تلك النواميس والقوانين وأوجدوا عندنا حياة؟ [(١)].

لكن يبدو أن الإلحاد الجديد مضطرٌّ إلى التسليم بفرضيات من هذا القبيل؛ لأنها الوحيدة المتاحة في مقابل الدين!

لكن هذه الفرضيات لا تحل المشكلة بل ربما مع الوقت تطرح تساؤلات فلسفية أعمق، وللمرء أن يتساءل لماذا الإقدام على فرضيات غاية في الغرابة والدهشة والبُعد عن التجريب والاختبار والرصد الإمبريقي كتلك الفرضيات؟

---

(١) المصدر السابق، ص: ٣٦٦.

إن هذه الفرضيات هي فقط ترحيل للمشكلة إلى حيث نكون غير موجودين وانتهى الأمر على ذلك!

ثم إن عملية إبداع مصمم بهذا الذكاء هي عملية مدهشة للغاية، وتحتاج إلى قوانين خاصة هي الأخرى، وبالتالي ربما نكتشف أن الذين افترضوا هذه الفرضيات سيجابَهون يومًا ما بإلزامات ماورائية أعظم بكثير مما لو كانوا تخلَّوا عن تلك الفكرة.. إننا ننتقل خطوة ما ورائية أعلى وأكثر عمقًا بهذه الفرضيات!

أضف إلى ذلك أن هذه الطريقة الفلسفية للهروب من المُشكلة تُناقض شفرة أوكام Occam's razor وهي شفرة فلسفية، وطبقًا لهذه الشفرة فإن أبسط التحليلات لمشكلة معقدة هي الصحيحة، وينبغي اختيار أبسط نظرية تناسب حقائق المعضلة، لكن هؤلاء الملاحدة الجدد يختارون أعقد نظرية، فخالفوا المعقول والمنظور والمأمول!

إن التسليم لله هو نهاية قصة المصير الإنساني سواءً شئنا أم أبينا، إنه الاستجابة المُثيرة للقضية الإنسانية الكُبرى.

إن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا مُحرماته، وإنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه – من حقيقة التسليم لله– إنه استسلام لله، والاسم إسلام!

إسقاط أُسطورة إله أسبينوزا

كان أينشتاين يؤمن في أغلب فترات حياته بإله أسبينوزا، حيث يعتقد أن قوانين الكون تؤلف سُلطة مُهيمنة على الكون، وأن الإله هو تلك القوانين وهو تلك السُّلطة المُطلقة العجيبة.

وهذه الفكرة الحلولية قام بالتأصيل لها باروخ اسبينوزا الباحث اليهودي في القرن السابع عشر واعتبر أن الجوهر هو الطبيعة والله معاً، فهو يتصور أن الطبيعة والله هما وجهان لنفس الصفحة.. وهذه الفلسفة استمدها اسبينوزا من موسى بن ميمون العلامة اليهودي القرطبي، الذي عاش في بلاد الإسلام طيلة عمره وانتقل من قرطبة إلى القاهرة، وتأثر بالمدارس الكلامية والفلسفة الصوفية في الحلول والاتحاد.

لم يُلحد أينشتاين يومًا ما، وكان يعتبر فكرة الإلحاد فكرة سخيفة وتعود في الأصل إلى حماس الشباب في الهروب من الأدلجة الدينية، وكان يُصنف نفسه بالفيزيائي المؤمن كما جاء في رسالة العزاء التي أرسلها إلى عائلة رفيقه الإيطالي ميشيل بيسو.

لكنه في المقابل كان يرفض فكرة الإله القومي اليهودي - إله الشعب المختار الذي لا يقبل أحدا من العالم إلا الذي جاء من نسل أبوين يهوديين -، ولذا تمرَّد على ديانته اليهودية وقال كلمته الشهيرة "أؤمن بإله أسبينوزا، الذي يكشف نفسه في التناغم القانوني في كل ما هو موجود".

إذن التناغم القانوني هو شرط هذا الإله وصِفته الأصيلة التي لا يُعرف إلا بها!

ولذا اهتز أينشتاين بشدة عندما وصلته نتائج ميكانيكا الكم، لأن هذه النتائج تُفرز صخبًا لا قانونًا متناغمًا، ولذا وصف ميكانيكا الكم في خطاب له إلى صديقه ميشيل بيسو في ديسمبر عام ١٩٢٥ بأنها " معادلات من صميم السحر الأسود".

وقد اعتبر أينشتاين أن ميكانيكا الكم تنسف فلسفة اسبينوزا القائمة على التناغم القانوني في الكون، وأرسل رسالة إلى صديقه ماكس بورن في ٤ ديسمبر ١٩٢٦ قال فيها " الله لا يلعب النرد " God doesn't play dice

ولم يتوقف أينشتاين عند هذا الحد، بل إنه في عام ١٩٣٥ بمساعدة اثنين من العلماء وهما [بوريس بودولسكي] و[ناثان روزين] Boris Podolsky and Nathan Rosen أو إختصارًا للثلاثة EPR قرر الثلاثة أن يضعوا حدًا لقفزات ميكانيكا الكم وقام الثلاثة بنشر ورقة بحث بعنوان " هل توصيف ميكانيكا الكم للحقيقة يعتبر كاملاً؟"

Albert Einstein, Boris Podolsky, and Nathan Rosen, "Can Quantum-Mechanical Description of Physical Reality Be Considered Complete?"Physical Review 47 (1935), p. 777[1].

وفيها أوضح العلماء الثلاثة أن ميكانيك الكم تفترض أن الفوتونين الناتجين عن تحلل ذرة البوزيترونيم positronium، إذا انطلقا وسافرا وصارت المسافة بينهما حتى عشر سنوات ضوئية فإنه يمكن حصرهما بل وقياس زاوية الاستقطاب بدقة، وفي حالة أنه تم قياس زاوية الاستقطاب لكلا الفوتونين وتبين أن القياس متطابق، إذن لابد أنهما تواصلا لحظيًا حتى يعرفا أي زاوية من زوايا الاستقطاب سيتبعان، وهذا مستحيل لأنهما لو تواصلا لحظيًا بمجرد وضعهما تحت الرصد فهما إذن تواصلا بسرعة أكبر من سرعة الضوء، وبالتالي انتقلت المعلومة بينهما بسرعة أكبر من سرعة الضوء، وهذا مستحيل علميًا طبقا لنظرية النسبية الخاصة.

لذا فقد قرر أينشتاين أن نيلز بور باستنتاجاته تلك سيفتح الباب واسعًا لكل المتناقضات وأن ميكانيكا الكم بها خطأ جوهري.. فكيف يتواصل فوتونان لحظيًا؟ كيف تنتقل المعلومة بينهما بسرعة أكبر من سرعة الضوء؟

كل هذه الحرب الشعواء مِن قِبل أينشتاين مُستخدمًا أسلحة العلم للدفاع عن إله أسبينوزا..

وما أن جاء عام ١٩٨٢ إلا وتبين معمليًا وتجريبيًا أن أينشتاين كان على خطـأ، فقد أثبت الفيزيائي الفرنسي آلين أسبكت Alain Aspect وفريقه صحة ما ذهب إليه نيلز بور، فقد

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/EPR_paradox.

أثبتا عمليًا أن الفوتونات فعلا تستطيع لحظيًا أن تتواصل فيما بينها بغض النظر عن المسافات الفاصلة بينها هل هي عشرة أمتار أو عشر سنوات ضوئية أي أن المعلومة تسافر أسرع من الضوء.... بل سرعتها آنية لحظية[١].

ومنذ سنوات قليلة تم تأكيد الأمر بأدلة تجريبية أُخرى في مفاعل جيو ٦٠٠ وفي أماكن أُخرى من العالم..فيما يعرف بمُعضلة التأثير الشبحي عن بُعد.

لكن لماذا لم يستوعب أينشتاين ميكانيك الكم - مع أن نوبل التي حصل عليها كانت في ميكانيك الكم، بل إنه هو الذي صَّك كلمة كوانتم-.. لماذا يتمرد على تلك الفيزياء الوليدة لماذا كان يحاربها حتى وفاته -مع أنه يعلم بداخله يقينًا أن كل التجارب في مصلحتها -؟

مشكلة أينشتاين كانت في عقيدته.. عقيدة إله أسبينوزا.. عقيدة الحلول والاتحاد.. عقيدة الإله الذي يحل في قوانين الطبيعة..

لو كان أينشتاين آمن بالإله العظيم البائن من خلقه - المنفصل عن مخلوقاته - الإله الذي ليس كمثله شيء الذي يعرف كيف يخلق ويختار بين الإحتمالات، وبالتالي فهو فعليًا لا يلعب النرد، لو كان فعل ذلك لما وقع في تناقض عاش فيه طيلة عمره، ولما توقفت أبحاثه العظيمة ببزوغ فجر ميكانيك الكم ولما مات في أمريكا بعد عقودٍ من فشلٍ يتلوه فشل في مسألة التوحيد بين القوى الأربع في الطبيعة.

لقد كان [نيلز بور] - أبو ميكانيك الكم - دومًا يقول لأينشتاين " إنك لن تستطيع أن تفرض على الله كيف يتصرف في العالم". لم يتفهم أينشتاين هذه الحُجة لإيمانه العقيم بإله أسبينوزا.

فمشكلة أينشتاين الحقيقية أنه كان يفترض العالم واجبًا وقوانينه واجبة وليس احتماليًا ولذا كانت صدمته كبرى من ميكانيك الكم، ولذا كان يقول: " إنني دوما أتساءل هل كان لله اختيار آخر غير خلق هذا العالم؟".

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Alain_Aspect.

فهو كان يرى العالم واجبًا لكن ميكانيك الكم أثبت أن العالم احتماليٌ ووجوده ممكن لا أكثر.. وهذا ينسف المنظومة الفلسفية عند أينشتاين في عقيدته بخصوص إله أسبينوزا.

ربما لو عاش أينشتاين للعام ٢٠١٢ ورأى بعينه جائزة نوبل في الفيزياء تُمنح لعالمين في فيزياء الكوانتم لأبحاثهما في إمكان العالم واحتماليته لا أكثر، ربما ساعتها كان سيتراجع لكنه عاش في فترة رأى فيها بعيني رأسه النجاحات المتتالية لميكانيك الكم تجتاح العالم كله، ورأى إله أسبينوزا أسطورة تتبخر وأن العالم ليس واجبًا وإنما احتماليٌ وكان من الممكن ببساطة ألا يخلقه الله، لكن سيطرت عليه دوغما وحدة الوجود حتى وفاته!

فسبحان الله القيوم الذي إذا أراد شيئًا كان ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

المحرك الأول عند أرسطو

المُحرِّك الأول عند أرسطو، أو الإله الذي خلق الكون ثم تركه، هذه آخر مغالطات الملحد التي يستخدمها بعد فشله في كل ألاعيبه وسفسطاته الالحادية وبعد إقراراه بالمُسبِّب وتسليمه بحِكمة الصنع والمعايرة الدقيقة للوجود!

ففكرة المحرك الأول عند أرسطو، هي انتقال من إشكال الإلحاد إلى إشكال الربوبية.

وفكرة المحرك الأول أصبحت فكرة أسطورية الآن. فقد ثبت أن نظام حياتنا ووجودنا كله يعمل بطريقة تخالف القانون الثاني للثرموديناميك، وهذا قانون كوني يحكم الكون بدءًا من الذرة إلى المجرة وهذا القانون ينص على أن كل شيء في الكون يتجه نحو البرودة ونحو التفكك ونحو الانهيار، وفي لحظةٍ ما في المستقبل سيصل الكون إلى الموت الحراري thermal death of universe، لكن منظومة الحياة تسير على العكس من ذلك تمامًا فهي تسير نحو التعقيد ونحو البناء والنمو المطردين، ولذا فمنظومة الحياة تسير عكس القانون الثاني للثرموديناميك، ولذا لابد من تدخل أعلى، تدخل مباشر كل فيمتو ثانية - والفيمتو ثانية هي أقل زمن ممكن لرصد حدوث تفاعل كيميائي حيوي-، فالتدخل المباشر هو الضمان الوحيد لاستمرارية الحياة، ولولا هذا التدخل ما كان للحياة أن تخطو خطوة واحدة للأمام، بل كان على كل شيء أن يتفكك مباشرةً لا أن يتعقد وينمو.

فالله الخالق وهو الحافظ للحياة، وتستمد الحياة منه باستمرار كيانها وقيمتها فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه، والحمد لله رب العالمين!

هل النسبية المعرفية لها وجود؟

هل النسبية تراكم احتمالي في الذات أم تراكم وجودي؟

هل النسبية تراكم معرفي أم تراكم فيزيقي؟

هل النسبية زخم احتمالي تصوري، أم كومة مادية!؟

هل النسبية شيء قائم بالذات - شيء معرفي إبستمولوجي -، أم شيء له وجود أنطولوجي مادي!؟

هذا السؤال ينسف نسبية الأخلاق ونسبية المعرفة ونسبية المعطيات بوجهٍ عام، ويؤكد مثالية الوجود ومطلقية الأخلاق، ويثبت انهيار المنظومة الإلحادية في تفسير الظاهرة الوجودية.

لو قال الملحد أن النسبية شيء له وجود أنطولوجي مادي، قلنا إذن لا يوجد قوانين ولا علم ولا فكر وتكون حتى هذه العبارة " النسبية شيء له وجود أنطولوجي مادي " نسبية هي الأخرى، وساعتها يسقط التمايز ولا نعرف ما هو أسفل ولا ما هو أعلى ولا ما هو كبير ولا صغير، وبداهةً هذه سفسطة لم يقل بها حتى المجانين، فالعلم له قوانينه وللحياة كينونتها المستقرة وللعقل مبادئه، ولولا هذه الأساسيات ما حدث تقدم يُذكر في حياة البشر وما وُجد بشر أساساً.!

ولو قال الملحد أن النسبية شيء له وجود معرفي إبستمولوجي فكري، قلنا هذه مصيبة أكبر من سابقتها لأنها تعني نسبية هذه العبارة أيضًا وعدم جديتها وتعني عدم جدوى الفكر أو جدوى نتائجه، وبالتالي كل أفكار البشرية لغوٌ فارغ، لكن البديهة المُركبة في البشر على العكس من ذلك تمامًا ألا وهي الاستقرار على النتائج الفكرية، ثم الانتقال منها إلى غيرها وهذا يعني وجود حقائق فكرية يمكن الوصول إليها والاستقرار عليها، ثم الانتقال منها إلى غيرها!

إذن لا يوجد شيء يُسمى نسبية في هذا الوجود المادي ولا في الوجود الفكري الإبستمولوجي.

والذي يتخذ النسبية منهجًا له هو يعتبرها حقيقة مطلقة فوقع في التناقض الذاتي.

والاختلاف بين البشر ليس مرجعه النسبية كما يحاول أن يُصور لنا الملحد الكاهن وإنما مرجعه أن كل صنف من البشر يحرص أشد الحرص على ما يعتنقه لا أكثر.

إذن النسبية خرافة أسطورية يروجها ملحد ماكر ويصدقها ربوبي فاشل، ولا وجود لها إلا داخل افتراض جدلي يفتقد الوجود الأنطولوجي والإبستمولوجي معاً !

الفصل الخامس

أدلة الإيمان

محاولة التشكيك في برهان السببيّة - العليّة- عند الملحد هو إعلان حرب

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

يُقرِّر القرآن الكريم أن العدم null لا يصنع شيئًا ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥]، وهذه بداهة عقلية مركوزة في الأذهان.

إن برهان السببية في هذا الإطار أعلى من القانون، بل وعليه تقوم جميع علوم الدنيا ومقاصد الغايات، ولولا هذا البرهان القبلي – أي الذي يسبق أي تجربة– لما سلَّمنا بصحة تجربة ولا قضية ولا مُبرهنة ولا فكرة، ولصارت جميع علوم الدنيا لغوًا فارغًا، ولصار مهرجو السيرك أكثر مصداقية من العالِم والفلكي والفيزيائي والمُفكر، فلولا اليقين العلمي من نتائج التجربة – ونتائج التجربة هي إحدى مسلمات السببية والدليل على صحتها – ما قام علم ولا استقرت فكرة ولا استوعبنا قضية في الدنيا، وبما أنه يوجد عِلم وبما أنه توجد حقائق علمية وأُسس نظرية يستقر عليها الإنسان ثم ينتقل منها إلى غيرها، يبقى برهان السببية دليلًا جوهريًا وأصيلًا على إثبات الموجِد والخالق، وعلى صحة القضية التي نحن بصددها.

ولم يَكفُر بمبدأ السببية إلا الملحد وعليه قبل أن يَكفر بالسببية أن يَكفر اضطرارًا بكل علوم الدنيا، وببدهيات عقله حتى يتسنى له أن يحيا في اتساقٍ مع إلحاده.

فلا يوجد شيء يسير في هذا الكون بلا قانون، فالكل مُسخَّر تماماً، بمنتهى السببية من المِجرة إلى ما دون الذرَّة، وحتى التذبذب الكمومي يخضع لقانون وإطار كلاسيكي صارم، ولا يستطيع أن يتمرد على أُسس الميثودولوجيا السببية.

ولذا عندما حاوَل بشر ما بعد الأنبياء في أزمنة الفترات أن يتمردوا على التوحيد النقي، وأن يُسقِطوا تجسدات الإله في الشمس أو في الكواكب أو في تصاريف الطبيعة، كان الرد القرآني مستهجناً، وموضحًا تخريف هؤلاء بأن كل ما حولك في الطبيعة مُسخَّرٌ ومُسَيَّرٌ في قوانين صارمة، فكيف تعبده ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فلا يستحق العبادة إلا الخالق، ولا يستحق أن يكون له الخلق والأمر إلا الله، فتبارك الله رب العالمين، فالله هو المُسيِّرُ لتلك الأجرام بالسببية، ومحاولة التشكيك في برهان السببية هي محاولة للقضاء على إمكانية قيام علم طبيعي ذو قوانين ثابتة وكلية وضرورية.

إذن نقد السببية هو نقد لكل علوم الدنيا وأصول القواعد وكليات البدهيات!

ولا أدري كيف لمُلحد أن يُعمِل السببية في معمله ويُسِّلم بوجودها ويُسلِّم بيقينية مُعطياتها، ويُسلم بنتائج تجاربه، ويُعمل السببية في كل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياته الشخصية وفي بحثه وحاله ومآله، ثم يوقف السببية في أصل كل هذه الأمور، ويفترض العدم مصدرًا وحيدًا للوجود ويُصِر على ذلك!!

النقد:

لكن البعض ينتقد برهان السببية ويقول:

(١) يرى ديفيد هيوم أن السببية هي اطراد تكراري غير مُلزِم لا أكثر.

(٢) الغزالي حُجة الإسلام يُنكر السببية.

(٣) الخوارق تأتي في أصلها ضد السببية.

(٤) التذبذب الكمومي Quantum Vacuum Fluctuations ما علاقته أصلًا بالسببية؟

الرد على النقد:

أُسطورة ان السببية هي اطراد تكراري غير مُلزِم لا أكثر.

إذا أضفنا حامض مع قاعدي فإن النتيجة الحتمية هي ملح وماء ولو أعدنا التجربة مليار مرة، ولولا هذا التلازم ما قام علم ولا تأسست حياة، ولا استقر للناس معاش، والذي يدعي أن السببية هي إطراد تكراري غير مُلزم فإن كلامه أيضًا هو مجرد اطراد تكراري غير مُلزم، ولو كان لكلامه حقيقة فهو كلام خاطيء ولا يفيد معنًى تلازميًا، وإنما مجرد اطرادي تكراري، إذن أي فكرة تحارب السببية هي فكرة ذاتية الهدم، تهدم نفسها بنفسها، فنقد السببية هو نقد بلا قيمة، نقد فلسفي لا أكثر، لأنه لو كان صحيحًا فهو الآخر كلام مُطرِّد وليس إلا فكرة ذهنية.

ثم على أي دليلٍ من خارجنا نحن مضطرون للتمرد على برهان السببية؟

فالذي يحارب السببية يحارب بدهيات العلوم والفكر والقواعد والقوانين والمبادئ والأصول بلا قاعدة ولا قانون ولا مبدأ ولا أصل!!

فكل العلوم والقواعد والأصول تؤكد صحة السببية، وليس ثمة استثناء، إذن نقد السببية هو نقد للعلوم والقواعد والقوانين والأصول.

إن إنكار السببية يؤدي إلى الشكيَّة المطلقة، وإبطال العلوم والدراسات بحجة أن كل شيء ممكن، ولو كان هذا الإنكار صحيحًا لما حدث تقدم في حياة البشر، وبما أنه يوجد تقدم في حياة البشر إذن ثمة قواعد نصل إليها ونستقر عليها ثم ننتقل منها إلى غيرها، إذن برهان السببية هو مُسلَّمة الوجود البشري بإطلاق!

والذي يريد أن ينتقد لمجرد النقد فعليه أن يأتي بدليل فلسفي أو تجريبي أو عقلي أو تجريدي أو نقلي يدعم موقفه وإلا فليصمت، فكما يقول الأصوليون إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًّا فالدليل.

والذي يحاول أن ينتقد برهان السببية الذي استقرت عليه العقول، يصبح مثار سخرية حتى من علماء المادة قبل غيرهم. يقول [ستيفن هاوكنج] مستهزئًا بالفلسفة التي تدور في هذا الإطار في كتابه الأخير التصميم العظيم ص٤١ بنسخته الأصلية: "في عام ١٢٧٧ قام أسقف باريس بوضع منشور من ٢١٩ هرطقة تجب إدانتها في أنحاء البلاد، وأحد هذه الهرطقات هي الإيمان بالسببية، وبتلازم قوانين الطبيعة، ولم تمض شهور حتى مات الأسقف بسبب تلازم أحد قوانين الطبيعة حين سقط عليه سقف الكاتدرائية بفعل قانون الجاذبية وبفعل السببية التلازمية!".

إن الذي يحارب البدهيات هو مسفسط حتى الثمالة، ولا يفعل ذلك إلا في إطار السفسطة العقلية وفي قاعات الدرس بينما هو في واقع حاله يمارس الإيمان بالسببية في كل لحظةٍ وبلا تردد!

أُسطورة أن الإمام الغزالي رحمه الله -حُجة الإسلام- يُنكر السببية.

أما بخصوص الإمام الغزالي رحمه الله فهو ينكر السببية التي تجعل الجوهر في المادة وفي السبب والمُسبِب، ردًّا منه على الماديين والدهرية، فإنكار السببية في هذا الإطار هو

لإثبات تدَّخل أعلى، أي سببية لكن على مستوى كُلي وهو الله عز وجل وهذا يتضح من كلام شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله حين قال: " إن الله يأتي بالأشياء بالأسباب وبدون أسباب وبضد الأسباب"، فهذا ليس نقدًا للسببية بل هو توكيد للسببية لكن على إطارٍ أعظم وأن قيود الطبيعة ليست شرطية!

وهل يوجد عاقل لا يستطيع الجمع بين إيماننا بالسببية كبديهة عقلية وبين كلام الغزالي رحمه الله؟

بل هل ثمة إنسان على ظهر البسيطة يؤمن بالله ويؤمن بالسببية كبرهان عقلي جوهري، ثم يستهجن شيء من كلام الغزالي رحمه الله!!؟

إن نقد الإمام الغزالي ليس للسببية كبرهان عقلي وبديهة عقلية، وإنما نقد السببية كشيء جوهري في ذات الأشياء!

فالإمام الغزالي ينفي ضرورة التلازم بين الظاهرة وأسبابها، ويُسند الأمر إلى تقدير الله إن شاء وقعت الظاهرة وإن شاء لم تقع!

وهذا المنهج تتبناه الفرق الكلامية بالمناسبة.

أما عن الخوارق

فالخوارق هي توكيد للسببية؛ لأنها جاءت بتدخل إلهي في إطار نظام مؤسسي، والاستثناء المُقيَّد يؤكد القاعدة كما هو مُقرر عند الأصوليين، إذن الخارق يؤكد وجود مُسبِّب وهو الله، فلولا المُسبِّب ما وقع الخارق، وبالتالي فالخارق هو توكيد إضافي على صحة برهان السببية.!

حُجة التذبذب الكمومي Quantum Vacuum Fluctuations، التي ناقشناها في الفصل الثالث من هذا الكتاب، هل تخالف مبدأ السببية؟

بخصوص مبدأ عدم اليقين عند [هايزنبرج]، فخلاصة الرد ننقلها بتصرف من كتاب التصميم العظيم لستيفن هاوكنج ص ١٦٩- ١٧١ بنسخته الإنجليزية حين قال: "في حال مبدأ عدم اليقين لهايزنبرج يجب أن نعلم أنه يستحيل أن يوجد مكان يخلو من الطاقة ونقل الطاقة، ولابد أن يحتوي على أقل قدر من الطاقة في هذا الفراغ، ويحدث أن تظهر وتختفي

لحظيًّا جسيمات، لكن هذا الظهور والاختفاء محكوم بعالم الكوانتم المادي – له قوانين وأُسس وأُطر ضابطة- أي أننا لسنا في العدم بل في عالم مادي.. ولو صح أن هذه الجسيمات تحتوي على طاقة لانهائية لكان المفترض بمجرد ظهور الكون وظهور هذه الجسيمات لانهائية العدد والطاقة أن تؤدي إلى انكماش الكون على نفسه فورًا وانتهائه وهذا بداهة ما لم يحدث".

الخلاصة: أن ظهور هذه الجسيمات لا يخالف قانون حفظ الطاقة، إذن يخضع لبرهان السببية في جميع تجلياته، لكنه لا يخضع للإطار الزمني، وهذا أول الإشكال وآخره، فالجسيمات يمكن أن تقترض طاقة من المستقبل فتظهر ثم تتلاشى دافعةً القيمة التي قامت باقتراضها بالضبط لحظة التلاشي، لكن هذه المساومة واقتراض طاقة من المستقبل تحدث في الإطار المادي داخل حدود الزمان والمكان، فلولا الزمان المخلوق والموجود لما كان لهذا الاقتراض وجود ولا معنى! ولا جدال بين الفيزيائيين على أن العدم الكوانتي هو عدم موجود داخل حدود الزمان والمكان، والكون جاء من اللازمان واللامكان!

ولا جدال أن التذبذب الكمومي في جميع صوره يخضع لقانون وإطار كلاسيكي صارم، ولا يستطيع أن يتمرد على قوانين المادة ولا يستطيع كسر قانون حفظ الطاقة.

فالتذبذب الكمومي خاضع لقوانين متصل الزمكان space time continuum، ويدخل مع المكان في نسيج متصل لا يمكن تجزئته أو تمزيقه – تجريديًا وليس أنطولوجيًا- ، ولذا فالتذبذب الكمومي يحدث داخل هذا النسيج بقواعد النسيج وعندما يستلف طاقة من المُستقبل، ففي هذه الحالة هذا مستقبل بالنسبة للراصد، لكنه جزء لا يتجزأ من النسيج الكوني وبالتالي استلاف طاقة لا يُحدِث خرقا في قانون حفظ الطاقة، لأن النسيج الزمكاني في لحظة حصوله على تلك الطاقة التي قام بإقراضها لحظة تلاشي الجسيمات لم يتغير شيء فيه، ولم يختل قانون حفظ الطاقة، ولم ينفصل الزمن عن الأبعاد المكانية الثلاثة.

ولا أجد حُجة لألاعيب الإلحاد المعاصر في الكفر بالصانع إلا من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾ [الكهف:٥٦]، وبالتالي برهان السببية برهان جوهري لم يتم كسره.

ولا يكفر ببرهان السببية إلا الملحد! و لذا فهو في حرب شعواء أمام العلم والعقل والبرهان الحتمي العِليّ السببي، ومن أجل ذلك أنا أقول دائمًا أن الملحد يستحق الخلود في النار بسبب غباوته قبل كفره وإلحاده، لإنكاره أعظم البدهيات تُرًا - برهان السببية-، حيث إنه يفترض السببية كقانون في كل شيء ثم ينزعها بعد ذلك من أصل كل شيء، فهو يؤمن أن السببية أقوى وأعظم قانون في الوجود، ثم ينزعها من أصل كل الوجود ومن أصل كل موجود، فصار أُضحوكة كل مرصود ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[الطور: ٣٥-٣٦]!

الغائية والعلم

يزعم الكاهن الملحد أن معرفتنا بظاهرةٍ ما تنفي حاجتنا إلى تفسيرها وبالتالي إلى مُسببها، وبالتالي كلما تقدم العلم كلما ضاقت الأمور المجهولة عندنا، ولذا يزعم الكاهن الملحد أن نسبتنا الشيء لخالقه هو من باب إله الفجوات لا أكثر!

في البداية؛ العلم هو وصف الظاهرة بُغية تفسيرها.. فالعلم يفكِّر في كيف تتنفس الهواء وكيف يدخل الهواء إلى الرئتين، والحويصلات الهوائية، وطريقة تبادل غاز الأُوكسجين مع غاز ثاني أوكسيد الكربون.. لكن لا يتعامل العلم مع أسئلة من قبيل: لماذا يتنفس الإنسان؟ وما الغاية من ذلك؟

العلم يُحلل جيدًا ظاهرة النوم، ويحدد النشاط العصبي لمناطق مُعينة من المُخ أثناء النوم، ويُقسم النوم إلى طورين رئيسين، هما طور حركة العين السريعة للنوم rapid eye movement، وطور انتفاء حركة العين السريعة للنوم non rapid eye movement.. لكن لا يتعامل العلم مع أسئلة من قبيل: لماذا ننام؟ ما الغاية من ترك النوم مع وجود دوافعه؟

فهذه أمور ليست علمية، لأن العلم لا يستوعبها، وليس لأنها غير مُهِّمة.

بل نستطيع أن نقول أن الأمور التي لا يستوعبها العلم هي الأصل وهي الأساس وما يستوعبه العلم هو الشيء الظاهري التافه البسيط.!

هل معرفة طريقة عمل الدائرة الكهربية في الكمبيوتر تنفي وجود مُسبب للكمبيوتر وغاية من صنعه لها؟

العلم يستحيل أن يخبرنا شيئا عن صانع الكمبيوتر أو صانع العقل الإلكتروني أو صانع الإنسان الآلي لكن حتما يخبرنا كل كبيرة وصغيرة في الطريقة والقوانين التي تحكم عملية انتقال المعلومات داخل البروسيسور... العلم يستحيل أن يخبرنا شيئا عن عقل صانع الكمبيوتر أو غايته من صنع اكمبيوتر، لكن العقل بكل بساطة يستدل على غاية صانع الكمبيوتر وعلى عقله وهدفه حين قام بصنع الكمبيوتر بمجرد رؤية الكمبيوتر.. هذه بديهة عقلية لا علاقة لها بكونك ملحد أو مؤمن.

ألا يكون استبعاد صانع الكمبيوتر من المنظومة خطًا منطقيًا ومنهجيًا وإن كان علميًا لا دليل عليه..!!؟

ألا تتفق معي أنه يستحيل استبعاد صانع الكمبيوتر من المنظومة إلا عن طريق سفسطة جدلية عقيمة؟

والله أخبرنا في كتابه أن منظومة الخلق تسير بالأسباب وخلقها وسيّرها سبحانه بالأسباب.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٩٩].

يصف الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أن لكل موجود كالكتاب مثلًا عللًا أربع؛ العلة المادية وهي الأصباغ والورق الذي صُنع منه الكتاب، والعلة الظاهرة وهي شكل الكتاب وهيئته، والعلة الفاعلة وهي المؤلف وصانع الكتاب والمنسق، والعلة الغائية وهي الغرض الذي من أجله تمت كتابة الكتاب.. والعلة الغائية تقع خارج نطاق العلم ولا يستطيع أن يُخبرنا بها إلا العلة الفاعلة[(١)].

ولما كان العلم لا يتعامل مع العلة الغائية تم إسقاطها من الحسبان لكن الحقيقة أن العلة الغائية هي الأصل..!!

وقد ظهر سوفسطائيون ينكرون العلة الغائية اعتمادًا على العلة الظاهرة وقد استهزأ سقراط بهم فقال أثناء محاكمته متهكماً: "إنني جالس الآن هنا لأن جسمي يتكون من عظام وعضلات والعظام عندما تتحرك والعضلات في استرخائها وتوترها ذلك جعلني قادرًا على ثني أطرافي، ولذا انا أجلس هنا في هذا الوضع المنحنى..."[(٢)].

فالعلة الغائية لوضع سقراط هكذا هو أنه في محاكمة

أما العلة العلمية المادية لوضعه هكذا هي شد العضلات والأوتار.

---

(١) وهم الإلحاد.... د. عمرو شريف.

(٢) محاورة فيدون ٩٧.

الغاية هي جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالعلم... وأكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم فعلى سبيل المثال: ما معنى الخير والشر.. الصواب والخطأ... النجاح والفشل... المعنى واللا معنى.... القيمة... الغاية.. مصدر القوانين.... لماذا الآن وليس قبل ذلك..... ماذا قبل ذلك...

هذه أسئلة خارج نطاق العلم ليس لعجزالعلم وقِصر أدواته بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معا..!!

والإنسان لم يتبَنَّ العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة وإعدادًا بعناية وعظيمَ صنع وروعة خَلقٍ، ولم يفعل العلم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين ثم حصد الجوائز نتيجة الكشوف العلمية... فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ والإنضباط والمصداقية والتي لولاها ما قام العلم... كل هذا يدعو للتساؤل:

من الذي يقف خلف القضية ككل.......!!

الله يقف وراء قصة العلم كلها

والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب..

وقضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير....

أدلة اليقين الديني هل يمكن حصرها في معيارٍ واحدٍ؟

مسألة الإيمان الديني والوصول إلى ضرورةٍ يقينيةٍ بصحة الإسلام، هذه مسألة تجتمع عليها أدلة متكاثرة توجب في مجموعها يقينًا ضروريًا وتسلميًا بصحة الرسالة الخاتمة، وسأنقل في نقاطٍ مختصرةٍ شيئًا منها:

١) دليل الفطرة المُعدة والممهدة لتلقي الوحي الإلهي، فالفطرة هي خِلقة مُقتضية للتوحيد، يقول الشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر السابق في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، أي لم أخلق الثقلين إلا مُهيئين لعبادتي بما ركَّبت فيهم من العقول والحواس والقُوى، فهم في حالة صالحة للعبادة، مُستعدة لها، فمن جرى على موجب استعداده وفطرته آمن بي وعبدني وحدي، ومَن عاند واستكبر اتبع غير سبيل المؤمنين.

٢) المعيار الجوهري في التسليم بصحة الرسالة هو صدق النبي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رائعته ثبوت النبوات ص ٥٧٣: «ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة، فمُدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمُبشَّرون قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن،....و كثير من الناس يعلم صدق المُخبر بلا آية البتة، وموسى ابن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم: إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات. وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل قال: هذا هو الناموس الذي يأتي موسى، وكذلك النجاشي، وأبو بكر علموا صدقه علمًا ضروريًا لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علمًا ضروريًا بأنه صادق، وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَن هو أصدق الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني».

٣) موافقة صفة النبي الخاتم واسمه ونعته لما يجده أهل الكتاب موصوفًا في كُتبهم، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وبسفر نشيد الإنشاد في التوراة وإلى اليوم إسم محمد بالعبرية.. الذي

يترجمه النصارى في الترجمة العربية إلى مشتهى الأمم، محمد نطقا وكتابة في ترجمة The KJV Old Testament Hebrew Lexicon Original Word من اليمين إلى الشمال: dmxm وبالنطق اللاتيني تتطابق مع "محمد" Transliterated Word 'Machmad Phonetic Spelling…. makh-mawd

وفي الإنجيل إلى اليوم الباركليتوس القادم الذي بشَّر به المسيح والذي معناه باليونانية أفعل تفضيل من الحمد أي أحمد، والباراكليتوس ليس هو الروح القدس كما يُروج كهنة النصارى، لأن المسيح ذكر أن الباركليتوس لن يأتي حتى يذهب المسيح والروح القدس نزل على المسيح على هيئة حمامة قبل هذا الحوار الذي تنبأ فيه بقدوم أحمد بسنوات.

٤) موافقة ما جاء في الرسالة لبديهيات العقل ومتطلبات النفس وحاجة الخلق، فأشبع الإسلام جوعنا الروحي وتألقنا الذهني، وانسابت مبادئه إلى القلوب من تلقاء نفسها انسياب البديهيات!

٥) الإسلام الدين التوحيدي الأنقى، الدين الشمولي الأوسع والأشمل، الدين الإيماني الروحي العملي المادي، الدين الذي يدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياتك حيت يكون أمرك كله لله.

٦) الإسلام الذي يوافق في عقيدته عقيدة جميع أنبياء العهد القديم فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى.. فعقيدة هؤلاء جميعا هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوارة والإنجيل.. هذه العقيدة التي لا تعرف تثليث ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب - ولا آلهة قومية.. يقول تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء:١٦٣]، إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات وتصحيح

للخلل الذي أصاب الديانات، وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد

٧) وقوع ما تبنأت به الرسالة على نحو عجيب عبر السنين والأيام!

إلى آخر ذلك من المعايير الكثيرة!

ولذا فمن الخطأ بمكان وضع معيار واحد في مسألة تحتمل وتنضبط بعدة معايير، ولذا فقد استخدم القرآن الكثير من المعايير في إثبات صحة الرسالة وصحة التوحيد وضبط العبودية لله، وكذلك استخدم النبي صلى الله عليه وسلم معايير كثيرة، فمن الناس مَن يريد معيار القوة العضلية مثل ركانة الذي صرعه النبي فأسلم وكان هذا شرطه، ومثل بعض اليهود الذي أرادوا أجوبة علمية على أسئلتهم، ومثل فطاحلة اللغة الذين جذبتهم لغة القرآن، ومثل السود الذين وجدوا في القرآن أفضليتهم بالتقوى وليست باللون، ومثل البدو والأعراب الذين يتبعون مَن غلب، ومثل العلماء الماديين المعاصرين الذين يجدون في الإسلام إجابة عملية للتساؤلات الكبرى في الوجود، وكل صنف من البشر يجد في الإسلام ضالته طالما تحرر من قيود الكِبر وتقليد الآباء، ويوم القيامة ستُبلى السرائر وتكون المحاكمة الكبرى بحسب معطيات الإنسان وطاقته وما وصله من رسالة، وهكذا تتعدد المعايير و لا نرتكن إلى معيارٍ واحدٍ في إقامة الحُجة وهذه طريقة أعلم وأحكم وأسلم وأضبط.

ويمكن أن نتعاون سويًا في إضافة معايير جديدة لا قصرها في معيارٍ واحد ثم نُلزم البشر بما لم يُلزمهم به الله فنشُق على الناس ونُضيق عليهم واسعًا.

لكن دعونا نتدبر دليلًا على صحة الرسالة بشيء من التفصيل ألا وهو:

(صدق ما أخبر به القرآن الكريم)

لم تكن الظاهرة القرآنية مرغمة ببلاغتها فحسب، ولا مرغمة ببيانها لأصول الدين ومعتقد الأنبياء الأسبقين فقط، ولا توقفت على إصلاح تحريف المفترين.

وإنما الظاهرة القرآنية تتخطى كل ذلك. وتتجاوز ما كُتب عنها وانفتحت له عقول الأولياء من مهج الإعجازات المتضمَنة في الكتاب.

فأنت تقرأ في كتاب الله مغيباتٍ تحدث دون أن تتخلف.

وأخبار أقوامٍ لا يزيد بحث الزمان وتحريه إلا تصديقًا لوقوعها.

وتقرأ تحليلًا بديعًا لطبائع الأنفس وأهوائها وميولها وما يصدها ويردعها ويعيدها.

فتجد عبر سبك الأيام وخبراته وتراكم مشاهدة أحوال الناس تحقيقًا لكل ذلك!

ولو أردنا الشروع في بسط كل عجيبةٍ أتى بها القرآن لما كفانا الزمان.

نسأل الله أن يصفح عن العجز والتقصير. لكن عذرنا أن لمحة تُرشد لتقصٍ. ونفحةً تُهيئ لتدّبر. ومقدمةً تشد الهمم لمن يُكمل.

فاللهم اغفر وارحم!

وحسبنا هنا أن نرصد شيئًا آخر عرضته الظاهرة القرآنية بسلاسةٍ. وجاء هذا الشيء تضمينًا لا قصدًا لتحدٍّ ولا إظهارًا لمعجز.

فقد عرضت الظاهرة القرآنية موت أناسٍ بأعيانهم على الكفر:

فحدث ذلك دون أن يُسلم منهم أحد. ولو أن واحدًا منهم أسلم لانتهت الرسالة من فورها!

ومن هؤلاء:

- أبو لهب ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد:٣].
- والوليد بن المغيرة ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر:٢٦].

بل إن الظاهرة القرآنية أخبرت بأن الوليد ابن المغيرة قد رُزق ببنين كُثر وأنه يطمع في المزيد. لكن كلا!

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ [المدثر: ١٢-١٥].

يقول البغوي رحمه الله في تفسير الآية: «فما زال الوليد بعد نـزول هذه الآية في نقصانٍ من ماله وولده حتى هلك».

وأخبر القرآن أن شدة عناد الوليد ابن المغيرة وبسبب منعه الخير وكثرة إثمه وافتراءه على آيات الله عز وجل. بسبب كل ذلك سيُخطم بالسيف على أنفه فيُعرف بذلك!

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [القلم: ١٢-١٦].

قال ابن عباس: وقد فُعل ذلك يوم بدر -خُطِم على أنفه بالسيف-. [(١)]

بل لقد انتقلت الظاهرة القرآنية إلى منحىً آخر عظيمًا. إذ أكدت منذ بداية الدعوة أن هناك سجالًا حربيًّا سيجري بين حزب محمد -صلى الله عليه وسلم- وحزب مشركي قريش.

وهذا قطْع إعجازي بأن قريش لن تُسلم بسهولةٍ ويسر كما ستسلم المدن البعيدة كيثرب وعمان واليمن والبحرين.

بل ثمة سجالات وسجالات ستجري. كل هذا في بدايات الدعوة. ولا أحد يستطيع التنبؤ بما سيكون بعد ساعات فضلًا عن عقودٍ من الزمان.

فقد قال الله تعالى مخبرًا عن هزيمة قريش قبل الهجرة: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر:٤٥].

بل لقد تكررت هذه الآيات وهذا الوعيد في أغلب السور التي نزلت في بداية الدعوة.

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم:٧٥].

أي سيهلك كفار قريش في معارك فاصلة ومن يموت منهم قبل ذلك فالساعة موعده.

أيُ استشرافٍ للمستقبل هذا الذي يقطع بأن عناد هؤلاء سيطول حتى تكون الحرب؟

أي استشرافٍ للمستقبل هذا الذي يضع الدعوة ككل تحت مقصلة نبوءةٍ لو أسلم سادات قريش في الحقبة المكية لسقطت النبوءة وانتهت الدعوة؟

وكم من بوادي العرب وكم من القرى أسلمت سلمًا ودون حرب وفي يومٍ وليلة؟

---

(١) انظر تفسير البغوي للآية..

ماذا لو استيقظ كفار قريش وساداتهم وأعلنوا إسلامهم؟

تخيل!

ثم انظر كيف جهّز كفار قريشٍ الجيوش وعادوا القبائل ودفعوا أنفس أموالهم ورجالهم لمحاربة الدعوة الناشئة، ولم يتفطنوا لمسألةٍ كهذه -إظهار أنهم أسلموا كذبًا- تريحهم وتريح أبنائهم أبد دهرهم؟

فإذا لم يكن القرآن موحىً به من عند الله فأي تأويلٍ آخر يمكن أن يطرحه الإنسان المتعقل لثقة النبي صلى الله عليه وسلم بما سيحدث في مقبل الأيام؟

أيضًا تحدت الظاهرة القرآنية اليهود أن يتمنوا الموت فلم يفعلوا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦-٧].

فما تمنوا الموت أبدًا -لأنهم يعلمون أنهم لو تمنّوه لماتوا من ساعتهم- مع الاقتضاء والمطالبة التي تدفع لجواب التحدي.

يقول القاضي عبد الجبار: «لا يتمنون ذلك مع خفته وسهولته ومع علمه -صلى الله عليه وسلم- بشدة حرصهم على تكذيبه وفضيحته تعجب؟

ولم يقل: هذا من عندي. بل قال: هذا من عند ربي وإلهي وإلهكم الذي يعلم سركم وجهركم. وهذا أشد على اليهود من تحديه للعرب بمثل القرآن، وهذا مقام لا يبديه النبي صلى الله عليه وسلم إلا مع اليقين.

وقد تحيرت الملحدة وأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لماذا لم يتمنَّ اليهود الموت زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُكذبوه بذلك فيستريحون ويُريحون"(١).

وأخبر القرآن بالانتصار يوم بدر قبل أن تبدأ المعركة والحسابات المادية في صالح الكفار قولًا واحدًا ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢].

---

(١) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ٤١١ بتصرف..

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره للآية: «وهذا خطاب... للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين».

وأخبر القرآن أن المنافقين سيكذبون على يهود بني النضير ولن ينصروهم، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٢].

وحدث ما أخبر به فإن يهود بني النضير أُخرجوا ولم يخرج المنافقون لنصرتهم بل تركوهم؛ وقوتلوا فلم ينصروهم.

ففي النهاية واجه يهود بني النضير وحدهم مصير خيانتهم ولم يتلقّوا أي عونٍ من المنافقين!

وكانت هذه بشارة –من القرآن الكريم– مستقلة بنفسها كما يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية.

وتنبأ القرآن بهزيمة الفرس وانتصار الروم في بضع سنين؛ قال الله تعالى: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥].

مع أن التاريخ في ذلك الوقت كان يكتب نهاية إمبراطورية الروم. وقد سحقت حملات أبرويز الفارسية كل أمل للروم في النصر حتى أخذ أبرويز صليب الصلبوت إهانةً للروم!

ومع ذلك وفي لحظة تاريخية فاصلة يفيق هرقل وينتصر على أبرويز في معركة فاصلة وتتحقق الآية والمعجزة![1].

---

(١) http://www.angelfire.com/nt/Gilgamesh/sasanian.html.

ولترجمة هذا الحدث العظيم إلى العربية يُنظر الرابط التالي: https://goo.gl/GWGDyr

وأخبر القرآن أنه في يوم نصر الروم على الفرس سينتصر المسلمون أيضًا: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٥].

وبالفعل فقد جائت أخبار نصر الروم في غزوة بدرٍ الكبرى![١].

وأثلج القرآن صدور الصحابة الكرام وطمأن قلوبهم بأنهم سيدخلون المسجد الحرام. وذلك بعد أن صدّهم المشركون عن البيت. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

يصف د.عبد الله دراز رحمه الله الحدث العجيب كالتالي: «مُنع المسلمون من دخول مكة عام الحديبية، واشترطت عليهم قريش إذا جاءوا في العام المقبل أن يدخلوها عزلًا من كل سلاح إلا السيوف في القُرُب، فهل كان لهم أن يثقوا بوفاء المشركين بعقدهم وقد بلوا منهم نكث العهود وقطع الأرحام وانتهاك شعائر الله؟ أليسوا اليوم يحبسون هديهم أن يبلغ محله؟ فماذا هم صانعون غدًا؟ على أنهم لو صدقوا في تمكين المسلمين من الدخول فكيف يأمن المسلمون جانبهم إذا دخلوا عليهم دارهم مجردين من دروعهم وقوتهم، ألا تكون هذه مكيدة يراد منها استدراجهم إلى الفخ؟ وآية ذلك اشتراط تجردهم من السلاح إلا السيف في القراب، وهو سلاح قد يطمئن به المسلمون إلى أنهم لن ينالوهم بأيديهم ورماحهم، ولكنه لا يأمنون معه أن ينالوهم بسهامهم ونبالهم، في هذه الظروف المريبة يجيئهم الوعد الجازم بالأمور الثلاثة مجتمعة: الدخول، والأمن، وقضاء الشعيرة ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] فدخلوها في عمرة القضاء آمنين، ولبثوا فيها ثلاثة أيام حتى أتموا عمرتهم وقضوا مناسكهم»[٢].

---

(١) يُراجع تفسير البغوي للآية.

(٢) النبأ العظيم، ص٤٨-٤٩.

وتنبأ القرآن بأنه سيأتي اليوم الذي يظهر فيه الإسلام على كل الديانات؛ قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

فجاء ذلك اليوم وظهر الإسلام على الدين كله!

بل إنه في اللحظات التي كانت تعاني فيها الدعوة الأمرين. تقرر أن الإسلام سيبقى إلى قيام الساعة: ﴿ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ ﴾ [الروم:٥٦].

وبيّن القرآن أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سيعود إلى مكة بعد خروجه منها مهاجرًا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ ﴾ [القصص:٨٥].

ومعاد الرجل هي بلده.

وأن الله عز وجل سوف يغني قريشًا ﴿ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ [التوبة:٢٨].

وقد كان كل هذا!

وغير ذلك الشيء الكثير!

إن ظاهرة الإخبار القرآني للمغيبات التي تأتي بسلاسةٍ، وتقع كما أخبر لهي تقطع في كل جانبٍ من جوانبها بصدق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم.

الكشوف العلمية المتتابعة

لو نظرت إلى المجاز القرآني لوجدته بعيدًا تمامًا عن خيال العربي الذي ينشد في معلقاته وأشعاره الغزل ووصف المرأة والخمر، فالمجاز القرآني لوحة شاملة رائعة تختلط فيها الأنهار التي تجري في المروج الخضر مع الظلمات التي في البحار اللجية.

وداخل هذه الوحدة الأدبية تتوافر الدقة العلمية والدقة المعرفية لأنه كتابٌ موحًى به من خالق السماء والأرض.

وفي إطار حديثنا عن الدقة العلمية. فالقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد على وجه الأرض الذي يخلو من خطأ علمي واحد وهذا بحد ذاته أعظم إعجاز علمي على الإطلاق.

في المقابل أعطني كتيب أو مطوية صغيرة مكتوبة منذ مائتي عام فقط تصف أية مسألةٍ علمية وسأُخرج لك منها أخطاء صريحة.

فقد كَتب أرسطو ثلاثة كتب علمية "في الطبيعيات، في السماوات، في الأرض" هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علميًّا، فقد كان أرسطو طبقًا لهذه الكتب يرى أن:

أسنان المرأة تختلف في العدد عن أسنان الرجل!

وأنه يوجد في صدر المرأة ثلاثة ضلوع فقط!

وأن وظيفة المخ تبريد الدم بينما وظيفة القلب تسخينه![(١)].

وكان أرسطو يرى أن المياه الجوفية تتكون نتيجة فجوة في قلب الأرض تنقل مياه المحيط إليها!

وما إلى ذلك من الخرافات العلمية التي تملأ كتبه، بينما يقول القرآن في هذه المسألة الأخيرة مثلًا –تكّون المياه الجوفية– خلاصة ما توصل له العلم منذ عقودٍ قليلة فقط، وهو أن

---

(١) http://chsi.harvard.edu/bok/06.html.

المياه الجوفية مصدرها مياه الأمطار ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر:٢١].

فمصدر الميـاه الجوفيه هو الينابيع المتكونة من الأمطـار، وليس فجوة أرسطو التي في عمق القارة.

فمعجزة الضبط العلمي للقرآن الكريم هي أعظم معجزة علمية على الإطلاق!

وطبقا للمبدأ البوكيلي Bucaillism - الذي قام بصكه موريس بوكاي منذ عقودٍ قليلة- فإن القرآن الكريم بعد مراجعة علمية دقيقة هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد به خطـأ علمي واحد رغم أن عمره ١٤٠٠ عام[(١)].

مع أن القرآن كتاب إصلاح للمعرفة والسلوك في المقام الأول.

ولو ترحَّلت عن القرآن الكريم إلى غيره من الكتب فأنعمت النظر في منحى الدقة العلمية في تلك الكتب. لوجدت نصوصًا تقطع بالوضع -التحريف- في تلكم الكتب!

فلك أن تتخيل! لو أن نصًّا واحدًا من كتاب مثل الفيدا - الكتاب المقدس للهندوس- كان موجودًا في كتاب الله؟

وسأعرض الآن بين يديك شيئًا من نصوص كتب الأسبقين:

- تقول الفيدا أن: الأرض ثابتة لا تتحرك[(٢)].
- وخلق الله الأرض ثابتة[(٣)].
- والشمس تدور حول الأرض داخل عربة ذهبية يقودها سبعة أحصنة[(٤)].

---

(1) Bucaillism at wikipedia.

(٢) الريج فيدا ١ ١٢.

(٣) ياجور فيدا ٣٠.

(٤) ياجور فيدا ٣٣-٤٣.

- والثور يُثبت السماء[(١)].

والياجور فيدا هي أحد الكتب الأربعة القانونية المقدسة لدى الهندوس

- ويقول الفيشنو بارانا أن الشمس تبتعد عن الأرض ٨٠٠ ألف ميل، بينما المسافة علميًا ٩٣ مليون ميل.

- ويقول الآثارفا فيدا: وفي خضم الماء يدور القمر[(٢)].

وغيرها الكثير؛ فالحمد لله على الدين الخاتم المعصوم المحفوظ، الذي بلغه لنا أشرف الخلق محمدًا صلى الله عليه وسلم، كاملًا غير منقوص.

ولو نظرنا إلى تقرير الظاهرة القرآنية لجانب العقيدة والتوحيد. فالقرآن هو منتهى الرقي في تنقية العقيدة التوحيدية من أية شوائب كفرية؛ يقول د.الطيب بو عزة: «يؤكد القرآن دائمًا دور الكتب المقدسة في المسألة التوحيدية، ومع ذلك يؤكد القرآن دائمًا على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية – حيث الرب القومي لليهود –، والتعدد المسيحي – حيث عقيدة الثالوث الموغلة في التشويش والارتياب –، فالله ربُّ العالمين واحدٌ أحدٌ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الاكويني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصى اليهود والمسيحيين، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لموازبة الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخريتين بناؤهما الأصلى وعمادهما أيضًا على توحيد الله في الصيغة النهائية، فالتحسينات التي أُدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد»[(٣)].

---

(١) ياجور فيدا ٣٠.

(٢) آثار فيدا ١ ٨٩.

(٣) من وحي بعض مقالات د. الطيب بو عزة على منتدى التوحيد –بتصرف–.

وفي الختام هل تبقى دعوى لمدعٍ أن القرآن من صنع محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-؟

يقول دكتور محمد عبد الله دراز -رحمه الله-: «القرآن إذن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمدٍ - صلى الله عليه وسلم- ولا لأحدٍ من الخلق، وإنما هو منزلٌ من عند الله بلفظه ومعناه ومن العجب أن يبقى بعضُ الناس في حاجةٍ إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة وهو أنه ليس من عند محمد.

في الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيًا يقضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه.

وأي مصلحةٍ للعاقل الذي يدَّعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، أي مصلحةٍ له كي ينسب بضاعته لغيره ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدًا يعارضه ويزعمها لنفسه؟

بل وشهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- على نفسه بالعجز ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس:١٦]».-[(١)] -٤.

إنها قضية عادلة، قضية محايدة، قضية يقتضيها العقل والمنطق ألا وهي: التسليم بأن القرآن الكريم موحًى به من عند الله سبحانه.

---

(١) النبأ العظيم ص ٢١.

«إن الله جميل يحب الجمال»

الكون الأنيق

Nifty universe

المطلوب من الإنسان ذلك الكائن المادي الذي يقف على قمة السلسلة الحيوانية، والذي يمثل لطخة بروتوبلازمية ثلاثية الأبعاد أن يتعامل مع جمال الفراشة كما يتعامل مع خمائرها الهضمية.

أن يتعامل مع اللوحة البديعة حسب اللون وثمن القماش والتباين اللوني الذي لا يُرهق العين.. لا أكثر..!!

لكن الجمال أحد شروط الإنسان التي لا تنفكُّ عنه، ولا قيمة للعمل مهما كانت فائدته إذا كان خاليًا من العنصر الجمالي..!!

وأصبح الجمال أحد شروط النظرية الفيزيائية..والمعادلة الأكثر جمالًا وبساطة ورونقًا هي الأكثر صحة وإتقانا.

وقد اقتنع [هايزنبرج] بمعادلات ميكانيكا الكم بسبب جمالها.. بل ويرى [بول ديراك] أن " جمال المعادلة يثبت صحة النظرية أكثر من تجريبها.!" [(١)].

فالجمال هو السِّمة الغالبة، والتجارب قد تخطيء لكن الجمال قلَّما يخطئ..!!

ولذا عندما قدَّم [هيرمان فيل] herman weyl نظريته في القياس وجد أنها لا تنطبق على الجاذبية، لكن نظرًا لجمالها كان متأكدًا أن لها مكانًا في فيزياء الكون، وبالفعل بعد زمن ثبت أن نظريته متعلقة بديناميك الكم الكهربائي QED.

بل والمدهش الآن أن العلماء ينصرفون بشدة عن نظرية الأوتار الفائقة؛ لأنها تفتقد الرونق الجمالي والشكل المريح في جميع معادلاتها.. ولذا قال هايزنبرج لأينشتاين: " جمال المعادلة ليس اقتصادًا في التفكير، ولكنه شيء لصيق بطبيعة الكون نفسه"[(٢)].

---

(١) العلم في منظوره الجديد.. روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو.. إصدارات عالم المعرفة..ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق.

إن العالِم الفيزيائي العبقري هو الذي يؤمن بجمال الكون ثم ينطلق في أبحاثه من خلال هذه الحقيقة..وتاريخ الكشوف العلمية هو تاريخ الجمال... فالعالِم والفنان ينشدان الهدف الجمالي نفسه مع اختلاف الأدوات.. فالكل يقتنع أن الكون جميل وقوانينه جميلة ولذا يقول [كارل فون ويزاكر carl von weizacker] "البحث عن القوانين الجميلة التي تحكم كوننا لا يُفسر سبب العثور عليها بانتظام وباستمرار"[(١)].

إن الجمال جوهري فيما دون الذرة وفوق الذرة وفي المِجَرَّة.. ولا ينفك الجمال عن الطبيعة ولا الكون ولا معادلات الكون ولا قوانين الرياضيات التي أنشأ الله بها الكون..!!

لكن يبقى السؤال: العربات البشعة تنقل الركاب أيضًا.. فلماذا تُصر الطبيعة على فلسفة الجمال في كل شيء..لا مُبرر لهذا الأمر إلا لأن الخالق– سبحانه وتعالى – خالق هذا الكون البديع – جميل يحب الجمال... خالق الكون بمنظومة رياضية عالية الإتقان جميل يحب الجمال...!!

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[(٢)].

إن متطلبات التخليق الضوئي لا تكفي لتفسير جمال أوراق الأشجار التي تُعَدُّ كل منها لوحة فنية مستقلة..

جمال الذرة، جمال ندف الثلج، جمال ورقة الشجر، جمال صوت العصفور، جمال القمر..كل كائن يحوي فلسفة جمال، سواء كان هذا الكائن جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا..

ولو كان الجمال صدفويًّا لكان نادرًا أو غير موجود، لكنه أصل الفيزياء والكيمياء والعلوم والكائنات..

لماذا الجمال موجود بالتلسكوب وبالعين المجردة وبالميكروسكوب العادي وبالميكروسكوب الإلكتروني؟ لماذا تحرص الطبيعة على الجمال؟ لماذا نحن نستوعب الجمال وندركه؟

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيح مسلم.

عندما تُشرف ورقة القيقب على السقوط يكون لونها تحفة جمالية، لونها عميق الحُمرة وعروقها زرقاء وأطرافها ذهبية في لوحة فنية متكاملة مع أنها ستسقط، وليس ثمة فائدة بيولوجية للأمر...ولذا يقول [ماكس بورن]: " العالِم الحقيقي يؤمن بجمال الطبيعة ".

ومهما كان الإنسان بسيطًا فإنه يحرص على تناسق وجمال أدواته وأن يُزركش يد منجله..

عظمة الجمال وجلاله، وفلسفة وجوده، يحملان توقيع الخالق الجميل مُحب الجمال في كل شيء في بلورة الندى وريش الطائر وعشب الحقل وأمواج البحر... الجمال هو عنوان الحياة..وما ظهر الفساد في البر والبحر إلا بما كسبت أيدي الناس!!!!

كيف تُبرر أيها المُلحد ماديًّا توقف الرسالات فجأةً في بني إسرائيل؟

ما المبرر المادي لانقطاع النبوة فجأةً في بني إسرائيل، منذ قرابة ألفين وخمسمائة عام إلى يومنا هذا؟

ما المُبرر المادي لتوقف أسفار التوراة فجأةً بعد سفر ملاخي النبي آخر أسفار التوراة.

سفر النبي ملاخي وهو آخر أسفار التوراة يتحدث في آخر فقرة من فقراته عن نبي عظيم قادم للأرض، وفجأة توقفت التوراة منذ قرابة ٢٥٠٠ عام إلى يومنا هذا ما الذي حدث؟

لماذا فجأةً ولأول مرة في تاريخ بني إسرائيل تتوقف النبوات والأسفار والرسالات؟

ما المبرر المادي لهذا الحدث المُعجز والمُستمر إلى الآن؟

أيها الكاهن الملحد! ألا يكفي هذا الدليل المادي لإثبات أصل ظاهرة النبوة.. ألا يكفي استخدام هذا الدليل لإثبات أن النبوة ظاهرة فوق المادية فوق الفيزيقية لا تخضع لرغبات البشر أو نزوات الجموع؟

من المعلوم أنه في بني إسرائيل ما كان يهلك نبي إلا خلفه نبي، ولم يمر يوم من أيام إسرائيل إلا وفيها نبي، حتى وهم في أحلك اللحظات أثناء السبي البابلي والسبي الآشوري، وهم في قمة المجد في عهد داوود النبي، بل ربما كانت توجد مجموعة من الأنبياء في نفس الفترة كما ورد في صموئيل الأول ١٠:١٠ بل وورد في سفر الملوك الأول ١٨: ٤ أنه كان يوجد مائة نبي في نفس الفترة، فلم يمض يوم في تاريخ أُمة إسرائيل إلا وفيهم نبي يسوسهم أو يقود أجنادهم أو يؤسس لهم شرائع دينهم، ولذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي»**.

موسى وهارون وعزرا وداوود ويونان وأخنوخ وأرميا وحزقيال ودانيال وزكريا و... و.... وملاخي.

وفجأة توقفت النبوة بعد ملاخي النبي

فجأة بدون سابق تمهيد

فجأة بدون سابق مبرر

فجأة بدون سبب مادي

توقفت ظاهرة النبوة فجأة في بني إسرائيل.

وإلى يومنا هذا لم يأت نبي بعد ملاخي.

ما السبب المادي لتوقف ظاهرة النبوة فجأة في بني إسرائيل؟

لو كانت النبوة ظاهرة كسبية أو مزيفة فما المانع أن تتكرر بنفس الاضطراد والاستمرار مع الحاجة المُلحة لهذه الظاهرة، خاصّة في النكبات المتكررة التي تعرض لها بنو إسرائيل وبالأخص مثلًا بعد هدم الهيكل الأخير عام ٧٠ ميلادية.

لقد تنبأ ملاخي بظهور إيليا النبي من جديد - أي نبي عظيم سيجدد الشريعة والميثاق ويعيد الناس لشريعة موسى - وفجأةً توقفت النبوات في بني إسرائيل وتوقفت الرسالات وتوقفت الصحف والأسفار.

وفجأةً انتقلت ظاهرة النبوة من بني إسرائيل إلى أُمة أُخرى بعد أن تكرر تحذير الرب لبني إسرائيل من انتقال الرسالة والخيرية من أمتهم إلى أُمة أُخرى، كما ورد في سفر التثنية ٣٢: ٢١ وهو نفس ما أثبته الإنجيل: " لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ"[١].

لقد تقرر انتقال ظاهرة النبوة والخيرية من بني إسرائيل إلى أُمة أُخرى تعمل بأثمار الرسالة الإلهية.. أليس المسلمون الآن هم الوحيدون على وجه الأرض الذين يعملون بأثمار الرسالات السابقة؟

المسلمون الآن هم أقل شعوب العالم ارتكابًا للفاحشة.. تعاطيًا للمخدرات.. أصحاب أنقى أديان التوحيد على وجه الأرض كما يقول جوستاف لوبون.

في المقابل ضواحي تل أبيب تُرتكب بها جميع أنواع المحرمات والفواحش كما يقول الصحفي الإسرائيلي أمنون روبنشاين وحفلات الشواذ تُقام سنويًّا أمام حائط المبكى.

بل إن معدلات ارتكاب جريمة أكل لحم الخنزير لا تختلف في إسرائيل عن أي دولة أوربية، مع أن أكل لحم الخنزير أسماه الرب في التوراة رجاسة الخراب - أكثر شيء نجس

---

(١) إنجيل متى: ٢١: ٤٣.

على وجه الأرض-، بل إن المسيح -عليه السلام- أخبر في الإنجيل أنه متى أكل اليهود لحم الخنزير في بيت المقدس سيفنى اليهود عن آخرهم: "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ، فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئًا. والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام"(١).

إنها نبوءة عن نهاية اليهود قبل يوم القيامة مباشرًة بمجرد إظهار رجاسة الخراب- تدنيس المقدس بلحم الخنزير - وسيكون هذا على يد المسلمين إن شاء الله.

أيضا نقطة أُخرى جوهرية؛ ما الفرق الآن بين عقيدة اليهود وعقيدة النصارى وعقيدة الوثنيين البدائيين؟ كلهم ابتعد عن التوحيد فصار إله اليهود إله قومي وصار إله النصارى مثلث الأقانيم لا يعرفون هل يتوجهون في صلاتهم إلا الآب أم إلى الابن المنتحر على الصليب أم إلى الروح القدس الذي لا يعرفون ما مصدره هل جاء من الآب أم جاء من الابن أم جاء من كليهما معًا.

وابتعد الجميع عن عقيدة أنبياء العهد القديم التوحيدية الصافية النقية، تلك العقيدة التي أسس لها نوح وإبراهيم ويعقوب وإسحاق وموسى وما تلاهم من أنبياء: " اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ"(٢).

وكما جاء في الإنجيل:" فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»(٣).

أو بلفظ القرآن ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧].

---

(١) إنجيل متى: ٢٤: ١٥.

(٢) سفر التثنية: ٤: ٦.

(٣) إنجيل مرقس: ١٢: ٢٩.

ما المبرر المادي لانقطاع النبوة المفاجئ في بني إسرائيل منذ قرابة ألفين وخمسمائة عام إلى يومنا هذا؟

انهيار الدالة الموجية:

يتساءل الكاهن الملحد: هل كل هذا الكون مِن أجل الأرض التافهة البسيطة؟

هذه المعضلة الفلسفية جاءت إجابتها مؤخرًا على يد مدرسة كوبنهاجن – أكبر مدرسة فيزيائية في العالم– حين تحدثت تلك المدرسة عن تفسير انهيار الدالة الموجية!

في البداية؛ من منظور فيزياء الكم فإن الكوانتا المرصودة quanta – مثل فوتونات الضوء– لا تظهر كجسيم إلا حين النظر إليها، وعندما لا تنظر إليها فإنها تتصرف كموجة، وهذا ربما يفوق كل السحر الذي ينتجه البشر!

يقول الفيزيائي الشهير نك هربرت Nick Herbert: " هذا الأمر يجعل الإنسان بعض الأحيان يتخيل أن خلفه وهو يسير، يتحول العالم إلى موجه من الذوبان الكلي ويتحول العالم من خلفه إلى حساء الكوانتم، لكن وما إن يلتفت خلفه ليرى الحساء إذا بالأشياء تتجمد والأشجار والأحجار وتعود لطبيعتها العادية والمألوفة.

إننا بهذا المنطق نعيش داخل أسطورة مثل أسطورة ذلك الملك الذي لم يعرف في حياته ملمس الحرير، لأنه ما إن يلمسه يتحول إلى ذهب وهذا بطريقة مماثلة يشبه أنَّ الانسان لن يستطيع أنْ يختبر حقيقة جسيم الضوء لأنَّ كل شيء نلمسه يتحول إلى مادة"[١].

ولذا يرى هايزنبرج أن الملاحظة تؤثر على الظاهرة فالظاهرة والملاحظة غير منفصلتين إحداهما عن الأخرى.

وكانت هذه الرؤية صادمة لأحد عباقرة ميكانيك الكم وهو شرودينجر ولذا صاح ذات مرة بيأسٍ تام قائلًا " إذا كنا سوف نلتزم بتلك القفزات الفيزيائية اللعينة إذن فأنا نادم على أنه كان لي علاقة بنظرية الكم". فأجابه بور قائلًا " لكنك قد فعلت الكثير للنظرية"[٢].

---

(1) Nick Herbert, "How Large is Starlight? A Brief Look at Quantum Reality," Revision 10, no. 1 (Summer 1987), pp. 31-35.

(٢) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية تأليف:– ليونيد بونوماريف ص٢٢٨.

ونتيجةً لذلك طرح شرودينجر لغزه الشهير بقطة شرودينجر، حيث توضع قطة داخل صندوق ويتم توجيه سيل من الإلكترونات إلى قنينة غاز سام، وطبقًا لمدرسة كوبنهاجن فإن سيل الإلكترونات لن يتحول إلى حقيقة تعمل حتى ينظر إليها مراقب، وهنا فقط يقرر الإلكترون أن يتحول إلى جسيم ويكسر القنينة ويقتل القطة، أما في غياب المراقب فلا يُتصور إلا أن القطة حية وميتة في آن واحد!!

هذه الرؤية المخيفة للعالم من حولنا التي تقررها مدرسة كوبنهاجن، تقرر أن العالم لا يتحول إلى حقيقة موجودة إلا إذا حضر في أذهاننا ووعينا، ويتخلى عن وجوده إذا غِبنا عنه، وبالتالي فلابد أن يكون هناك كائن أزلي أحضر الكون بهذه الصورة إلى أذهاننا، وجعل الكون شيئًا ظاهريًّا لا قيمة حقيقية له في ذاته، وإنما هو مُسخر كُليًّا لوجودنا ووعينا بوجوده، ونصير نحن مركز هذا الوجود فعليًّا، ومركز تسخيره وقيمته، ولا تصبح له قيمة في ذاته أو معنى في ذاته، وبذلك تنهار الفلسفة المادية، وتتداعى كل تنظيراتها الفلسفية، ولكن قليل من يتدبر وقليل من يدرك أنَّ الحياة الدنيا مجردُ وجودٍ غروري ظاهري لا أكثر ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ [الجاثية:٣٥].

فالحياة الدنيا مجردُ وجودٍ ظاهري قِشري لا قيمة له في حقيقته ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧].

رحلة البروتين معجزة إلهية :

الآن ننتقل إلى قضية علمية عجيبة وهي رحلة البروتين داخل الخلية:

في البداية؛ البروتين هو مُركب وظيفي بيولوجي وحدة بنائه الأساسية هي الأحماض الأمينية، وهو يتكون من سلسلة طويلة جدًّا من هذه الأحماض الأمينية، وهناك أكثر من ٢٠٠ حمض أميني في الطبيعة، لكن لا يوجد في سيتوبلازم الخلية إلا ٢٠ منها - كثير من الحموض الأمينية غير المُستخدمة في تخليق البروتين تُستخدم في عمليات الأيض الغذائي -.

والأحماض الأمينية في الطبيعة أيمن وأيسر كأنهما مرآه، وعلى الرغم من التماثل التام ونفس معدل تواجد الأيمن هو تواجد الأيسر وكلاهما يدخل في تفاعل كيميائي بامتياز، إلا أن اختيار البروتين يكون أيسر فقط؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي، بينما الأيمن لن يسمح بذلك ولذا فجميع البروتينات يسارية على الإطلاق – حتى أدنى الجراثيم–.

ويوجد في أبسط بكتريا على الأرض ألفا نوع من البروتينات على الأقل..

ولابد أن ترتبط الحموض الأمينية بروابط صحيحة، ولابد من حساب زوايا الربط وأنواع الذرات وعددها، وهذه تسمى الروابط الببتيدية ذات القيمة الهامة في فاعلية البروتين فيما بعد.

لو لم تظهر روابط ببتديدية وظهرت مكانها روابط تساهمية مثلًا أو روابط هيدروجينية فحسب - وكلها توجد في الطبيعة - فإن البروتين سيتحول إلى سلسلة غير مؤثرة ولا عمل لها.

الآن توجد ٣ معضلات أمام الصدفة الداروينية البلهاء :

(١) اختيار ٢٠ حمض أميني فقط من أكثر من ٢٠٠ حمض موجودة في الطبيعة.

(٢) الأحماض الأمينية تكون يسارية left-handed.

(٣) أن تدخل الأحماض الأمينية في السلسلة المطلوبة، لإنتاج البروتين بنفس الترتيب المثالي المطلوب، مثلًا بروتين الجلوبين داخل الهيموجلوبين يتكون من ٦٠٠ حمض أميني لو اختل حمض أميني واحد مكان واحد فهذا يعني مهمة قاتلة وهي عدم نقل الأوكسجين، وهذا مرض لا شفاء له لمجرد اختيار حمض أميني مكان حمض في سلسلة من ٦٠٠ حمض أميني.

هذه معضلات ثلاث تجعل من تخليق أبسط بروتين بالصدفة مستحيلًا.

فهذه اختيارات واعية إما أن تنشأ فجأة أو لا تنشأ، لا يوجد تدرج في الأمر ولا يحتمل التدرج... فسبحان الخالق المدبر ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة:٥].

ويوجد داخل جسم الإنسان ملايين البروتينات لكل بروتين وظيفة محددة للغاية وشكل محدد للغاية ونسق محدد للغاية.. فهرمون الإنسولين بروتين وسم الثعبان بروتين وإنزيمات الهضم بروتينات والأجسام الدفاعية بروتينات والكولاجين بروتين.. وأيضا وظائف الخلية تقوم بها بروتينات غاية في التخصصية وأقل تغيير في الشكل أو النسق يؤدي لنتائج كارثية.

بروتين الكولاجين يحتوي على ١٠٥٥ حمض أميني وهو يختار حمض الجليسين الأميني في سلسلته الطويلة كثيرًا؛ لأن هذا الحمض يجعل التواء الكولاجين صلب وبالتالي يجعله يؤدي الوظيفة المطلوبة وهي المقاومة في الأنسجة والأربطة، فهناك وعي وتخطيط في الإختيار.

يحمل الهيموجلوبين مثلًا يوميًّا ٦٠٠ لتر أوكسجين إلى ١٠٠ تريليون خلية، وهو بروتين عملاق لذا تتخلص الكرات الحمراء التي تحمله من النواة والسيتوبلازم؛ لأن وظيفتها حمل الأوكسجين لا أكثر، ويتم التنظيف عبر كرات الدم البيضاء.. أيضًا يتخذ الهيموجلوبين الشكل المسموح به لحمل الأوكسجين لا أكثر فهو مُعَدٌّ بعناية لغاية وهدفٍ لا يتخلف عنه.

طلب إنتاج بروتين:

جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي من البروتين توجد مشفرة في نواة الخلية داخل شريط الDNA بنظام التشفير الرباعي CGTA هذا التشفير يملأ ١٠٠٠ مجلد بواقع

٥٠٠ صفحة لكل مجلد - ٣ مليار حرف - كلها موجودة في مساحة ١ على ١٠٠٠ من الملليمتر مُلتف على نفسه ١٠٠ ألف لفة.

التشفير الرباعي:

المعلومات الرقمية على نظام التشفير في شريط DNA مُشفرة بنظام التشفير الرباعي CGTA التشفير الرباعي الموجود في شريط الDNA والذي يحمل كل المعلومات الخاصة بالبروتينات التي سيحتاجها الكائن الحي طيلة عمره، تُمثل لُغزًا من أكبر الألغاز في الوجود، وهنا يتبادر اللغز العجيب مَن الذي قام بالتشفير أولًا ثم قام بفك التشفير بعد ذلك؟

فالتشفير عملية في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية، وتخزين المعلومات ونقلها وحفظها واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة..

المهم أن بداية رحلة تخليق البروتين تكون كالتالي:

يصل إنزيم بوليمرز إلى نواة الخلية حاملًا طلب النَسخ على RNA الرسول ويجد الحروف المطلوبة داخل شريط الDNA

طريقة عثور إنزيم بوليمرز على المعلومات المطلوبة لتصنيع بروتين واحد، هي مثل محاولة العثور على بضعة سطور في موسوعة مكونة من ١٠٠٠ مجلد، ويفتح إنزيم بوليمرز شريط DNA كالسوسته ليُخرج البيانات، وهذا الفتح السريع ربما يؤدي إلى الحرق لكن الأمر مُعد بعناية والتنظيف والتبريد أولًا بأول لا يتوقف.. ويقوم الإنزيم بفتح الجزء اللولبي من ال DNA ويبقيه مفتوحًا حتى يتم استخراج كافة المعلومات - المُشفرة - لتصنيع البروتين ولا يتم فتح أي أجزاء أخرى لا حاجة لها... وأي قفزة خاطئة أثناء النسخ أوترك حرف أو زيادة حرف قد تسبب نشأة بروتين مشوه مما يعني الإصابة بالسرطان؛ فمثلا الجين المسئول عن سرطان الثدي يوجد به ٨ آلاف قاعدة نيتروجينية وفي واحدة منها توجد G بدلا من T وهنا يحدث السرطان بنسبة ٨٥٪.. لأن البروتين المُنتج مشوه.

وأحد أشهر أسباب التشوه تكمن في التعرض للإشعاع والبنزين والمواد الكيماوية والمسرطنة.

بعد الحصول على الشفرة من الDNA، فإن المسافة التي يقطعها RNA الرسول إلى الريبوزوم – مكان تصنيع البروتين – في أثناء عودته هي مسافة طويلة نسبيًّا ويكون عُرضة للتشوه لذا يكون مُحاطًا دائمًا بإنزيمات الحماية والأمان.

بمجرد وصول الشفرة – شفرة تصنيع البروتين إلى الريبوزوم – مصنع البروتين – تظهر مشكلة جوهرية فلُغة المعلومة في الDNA هي لغة الكودون المُكون من ٣ حروف – قواعد نيتروجينية – في حين لُغة الحمض الأميني هي لُغة من ٢٠ حرف٢٠ –نوع حمض أميني – ولأجل ترجمة لغة الكودون إلى لغة الحمض الأميني فإنه يوجد في الريبوزوم قرابة ١٠٠ جزيء يختص بالترجمة.

بعد وصول النسخة إلى الريبوزوم - المصنع - يقوم RNA الناقل بنقل الأحماض الأمينية من السيتوسول إلى الريبوزوم لتبدأ عملية التصنيع طبقا للشفرة الموجودة.

ستتحول الآن هذه الشفرة إلى كائن ثلاثي الأبعاد يقوم بوظيفة يُسمى البروتين.

إذن داخل الريبوزوم – مصنع تخليق البروتين – تنتقل الأحماض الأمينية الموجودة في السيتوسول إلى الريبوزوم عن طريق RNA الناقل.

الآن يُشترط للبدء في التصنيع فيتامين سي وبعد الإنزيمات المتخصصة... أي عبث أو خلل أو قصور في هذه الإنزيمات يعني خلل للبروتين، وبالتالي خلل للجسم كله، إنها عملية معقدة غير قابلة للاختزال ولا للتطور إما تظهر فجأة أو لا تظهر، وبعد طباعة الكود وتخليق البروتين يصبح بلا قيمة ولا هدف لأنه سلسلة طويلة غير مبرمجة للقيام بأي عمل.

ليتحول البروتين من مجرد سلسلة طويلة من الأحماض الأمينية إلى بروتين وظيفي مُبرمَج للقيام بعمل لابد أن يدخل مرحلة الطي والانثناء والانحناء؛ ليأخذ الشكل المناسب الخاص به، وهنا ندخل ضرب لا نهائي من الاحتمالات يزيد على مليارات الاحتمالات، فهو يمكن أن يُنتج مليارات الأشكال والمطلوب شكل واحد فقط، وصورة ثلاثية الأبعاد معينة أي شكل آخر غير مقبول، وفي اللحظة التي يصل فيها للشكل المطلوب نستطيع أن نقول إننا حصلنا على البروتين الوظيفي.

وشكل البروتين أمر قطعي في وظيفته، مثلًا لابد أن يلتف بروتين الميوسين إلى شكل يشبه سلك سماعة الهاتف؛ لأنه سيغذي الشعر والعضلات، وبالتالي سيتعرض للشد والجذب والتفكك ثم الالتحام... وهذه العلاقة التي تُنتج بروتينًا مُبرمجًا تحتاج إلى وقفة أخرى.

بروتين الفيبرين في شبكة العنكبوت يملك خاصية الالتفاف مع شدة القوة في نفس الوقت، وإلا لانقرض العنكبوت.

الانحناء بشكل خاطئ في جهة واحدة أو في حمض أميني واحد يؤدي إلى بروتين غير فعال.

كل هذه الوظائف والمهام والرسائل وعملية تخليق البروتين كاملة لا تتجاوز ثواني معدودة داخل الخلية وخمسين خلية لن تشغل النقطة الصغيرة في نهاية الجملة.

إذن لإنتاج بروتين فعال فإننا بحاجة إلى:

١-٣٠٠جزيء ضخم يكون بينهم على الأقل ٨٠ ريبوسوم

٢-٢٠جزيء لإحضار الأحماض الأمينية

٣-العشرات من الإنزيمات

٤-١٠٠إنزيم للعملية النهائية – التشطيب-

٥-٤٠جزيء RNA – مهندسين -.

۞ الآن ما هي احتمالية تكوين بروتين مثل بروتين الكولاجين بالصدفة؟

يوجد في الطبيعة أكثر من ٢٠٠ حمض أميني مُختلف ويوجد في سيتوبلازم الخلية ٢٠ حمض أميني والمطلوب من RNA الناقل أن ينقل لنا في كل مرة حمض أميني يتوافق مع الترتيب الخاص ببروتين كبروتين الكولاجين، وبما أن سلسلة بروتين الكولاجين تتكون من ١٠٥٥ حمض أميني إذن الاحتمالية لتخليق بروتين الكولاجين بالصدفة تصبح ١٠ أس ٥٢٧ والأمر لن يتوقف عند ذلك، فلابد أن تكون السلسلة عسراء – فالأحماض الأمينية في الطبيعة

أيمن وأيسر وقلنا أن الإختيار لا يقع إلا على الأيسر فقط؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي بينما الأيمن لن يسمح بذلك- وهنا يصبح ١٠ أس ٥٢٧ مضروبًا في ٢ ليصبح ١٠أس ١٠٥٤ وهذا هو الجنون الرياضي.. فاحتمالية الشيء إذا زادت على ١٠ أس ٥٠ فإنها تساوي الصفر رياضيًّا.

وهناك حساب آخر لاحتمالية تخليق بروتين بالصدفة قام به العالم دوغ اكس الحاصل على الدكتوراة في البيولوجيا الجزيئية من كالتك؛ حيث قام بحساب تكوين جزيء بروتين صغير وظيفي يتكون من ١٥٠ حمض أميني، وقال: لديك فرصة من اثنين من كل جانب ليتكون لديك الحمض الأميني المناسب، ثم بعد ارتباط حمضين أمينيين بالصدفة ويكونان هما المطلوبين في هذا المكان، يصبح لديك فرصة من أربعة لارتباط حمضين أمينيين بالحمضين المتكونين وهكذا إلى أن يترابط ١٥٠ حمض أميني وهنا وصلنا للاحتمال ١٠ أُس ٧٤ فكل مرة يصبح الاحتمال مرفوعًا إلى ضعف القوة.. وبعد أن يتكون البروتين تصبح لدينا معضلة التناظر اليساري – الحمض الأميني الأيسر فقط هو المطلوب- إذن هنا سيكون الاحتمال ١٠ أس ١٦٤ هذا احتمال تكوين بروتين وظيفي بسيط.

هل حدث في تاريخ البشرية أن يأتي عاقل ونُطلعه على هذه المعطيات ثم نقول له الحياة نشأت بالصدفة ويصدقنا؟ لا يوجد عالم جاد يعتقد أن الحياة نشأت عن طريق الصدفة.

وللذين يجهلون لغة الرياضيات ولا يعرفون ما معنى ١٠ أُس أي رقم..

فهذه بعض المعلومات لتوضيح الأمر:

عدد الذرات الموجودة في الكون كله ١٠ أس ٨٠.

مضى على الانفجار الكبير ١٠ اس ١٦ ثانية فقط.

جميع الأحداث التي حدثت منذ بداية الكون هي ١٠ أس ١٣٩ فمثلًا عندما أكتب الآن هذه الكلمات حدث بداخلي أنا وحدي آلاف الاحداث.

لذا من أجل إنتاج بروتين واحد بسيط وظيفي نحن بحاجة إلى برميل يوجد بداخله خليط من الأحماض الأمينية، بشرط أن يكون حجم هذا البرميل مليارات مليارات

أضعاف حجم الكون، ويأخذ فترة من الوقت مليارات مليارات مليارات أضعاف عمر الكون.... كل هذا من أجل انتاج بروتين وظيفي بسيط.

ولو استخدمنا مليارات المليارات من الكمبيوترات بسرعات مذهلة لمحاكاة هذه الاحتمالات فلن يكفيها عمر الكون كلّه لإنتاج بروتين واحد بالصدفة.

هذه الاحتمالية المدهشة ولم ندخل بعد في باب احتمالات طي البروتين وهو الباب الأوسع

المهم بعد إنتاج البروتين يتم نقله إلى مكان عمله ليأخذ دوره ووظيفته.. عملية النقل ووسيلة النقل، ومعرفة كل بروتين وظيفته ومساندته بالإنزيمات في رحلته كل هذه ألغاز لم تتكشف للعلم بعد.

لذا يشعر الإنسان بالحياء من ارتكاب ذنب استخدم فيه آلاف البروتينات خُلقت بمنتهى الحكمة والإتقان وبديع الصنعة، فكل نظرة وكل همسة وكل حركة تستغرق بروتينات مُسيرة داخل جسدك لتنفيذ أوامرك، هذه البروتينات جاءت بنظام تشفير رباعي غاية في الإتقان والحفظ والأمانة في النقل، فالبروتين يُلزم الإنسان بالخضوع جبرًا للخالق القاهر القادر العظيم في خلقته وصنعته ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١].

إن عملية عملاقة كتخليق البروتين تجري كل لحظة في كل خلية، بدون صخب ولا ضوضاء ولا نفايات وبمنتهى الدقة والعناية والحسابات المستقبلية وبطريقة معقدة لا تقبل الاختزال، تجعل الإنسان ينحني أمام جلال روعة صنع الله وبديع خلقه.

أي نقص أو تقصير أو خلل في طريقة تصنيع البروتين يعني عدم الوجود، فالضبط بعناية والحساب للمستقبل والخلق المباشر أعجوبة من أعاجيب الخلق وحسن الضبط ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ [السجدة:٧].

ولذا تعترف مجلة الـ AMERICAN SCIENTIST العلمية المتخصصة بأن الجواب عن طريقة تخليق البروتين يجب أن يكون خارج آراء داروين؛ لأن الوضع المذكور يشكّل دليلًا قويًّا يستلزم خلقًا مباشرًا[1].

(1) AMERICAN SCIENTIST 59 p.298.

يقول الكيميائي الشهير [ميشيل بيتمان]: كما هو معروف أن عدد الذرات في الكون هو ١٠ أس ٨٠ وقد مضى منذ الانفجار العظيم ١٠ اس ١٧ ثانية واستمرار الحياة يحتاج إلى نحو ٢٠٠٠ من الإنزيمات الأساسية، إذن عدد الاحتمالات لتكوين إنزيم واحد فقط أكبر من ١٠ أس ٢٠ أما احتمال تكوينهم جميعا فيصبح ١٠ أس ٤٠٠٠ وهذا مستحيل الحدوث حتى لو كان الكون كله سائلًا عضويًّا[١].

(1) Micheal Ptman Adam and evolution 1984 p.148.

مصادر المقال

١-معجزة البروتين.. المؤلف:هارون يحيى

٢- http://en.wikipedia.org/wiki/Protein

٣- http://en.wikipedia.org/wiki/Collagen

٤- http://en.wikipedia.org/wiki/Protein_biosynthesis

٥- موسوعة الرد على الملحدين العرب.-لنفس المؤلف-.

٦- http://www.proteinatlas.org/

-vhttp://www.cdc.gov/nutrition/everyone/basics/protein.html

«الله له كل صفات الكمال»

روعة الخلق الإلهي في لحظة البدء

إن قوانين الفيزياء التي ظهرت في أول ثانية من نشأة الكون هي نفسها التي تحكم عالمنا اليوم، هذه القوانين تم ضبطها بعناية Fine Tuned، وإلا فإن أي خلل أو أي تغيير في أي من الثوابت الكونية سيفرز كونـًا مُجهضًا وسيظل بيضة كونية Cosmic egg.

يقول علماء الفيزياء أنه عند اللحظة ١٠ أس -٤٣ من الثانية وهي لحظة لا يمكن استيعابها لقصرها الشديد ظهر كل شيء فجأة وظهر الكون، ففي جزء من مليون من مليون من مليون من مليون من الثانية ظهر الكون من أصغر من ذرة إلى أكبر من مجرة.. كما يقول [اليكس فلبينكو] عالم الفيزياء الفلكية جامعة كاليفورنيا.

ففي اللحظة صفر عندما لم تكن هناك مادة أو زمن، نشأ الكون ووحدات بنائه في إطار مُخطط عظيم، وفي أقل من ثانية كان حجم الكون أكبر من مجرة درب التبانة بملايين المرات.

لقد ظهرت كل الطاقة فجأة وتكوَّن النظام المثالي والقوانين الثابتة والثوابت الكونية المدهشة في لحظة الخلق العُظمى والإبداع الأدهش على الإطلاق.

روعة الخلق الإلهي في جسدك:

أيضًا بِنيتك الجسدية بثوابتها الهرمونية الغاية في الضبط دليل رعاية إلهية!

مثلًا هرمون الألدوستيرون الذي يغذي جميع البشر على وجه الارض يملأ هذا الهرمون ملعقة شاي فقط لا غير.. تخيل تقسيم ملعقة شاي على جميع سكان الارض وأي زيادة في النسبة عن ٢ جزء في المليون - النسبة هي واحد جزء في المليون - تعتبر زيادة قاتلة..!!

كذلك هرمون الأدرينالين الذي يضبط الإنفعال ومواجهة المخاطر، يوجد بنسبة مقاربة، ولو زادت نسبته قليلًا لتوترت عضلة القلب وتحولت حياة الإنسان إلى جحيم.

هذه فقط شذرات تُغني عن الطرح الطويل وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه الواحد العظيم الخالق المبدع - وقد خصصنا الفصل القادم من هذا الكتاب للحديث فقط عن روعة الخلق-.. فالله لا يُعرف وجودُ شيء بغيره.. **ثم يتساءل ملحد أين الله؟**

هل مسألة وجود الله محل نزاع؟ هل المُوجِد محل نزاع أم الموجود؟ هل هناك عاقل يتردد في المُسبِب؟، هذه بداهة عقلية مركوزة في الأذهان فهي أعلى من القانون وعليها تقوم علوم الدنيا ومقاصد الغايات.. فما بالنا وقد ثبت التدخل الإلهي والعناية الإلهية في كل شيء بدءًا من الذرة وحركتها والإلكترون ومداره والكون وأفلاكه والإنسان وخصائصه والخلية وتكوينها والبروتين وتصنيعه والحياة والوعي بها..!!

إن البشرية كلها عبر الزمان وعبر المكان لم توجد بها قرية ولا نجع بغير إيمان بالله ولا يُعرف تاريخ الإنسان إلا في إطار الدين والإيمان بوجود الله، ولم توضع فلسفات العالم ومحارات عقول العالم إلا من أجل التأسيس للدين... والمنطق منذ أرسطو إلى يومنا هذا يدور في إطار وجود الله كقضية بديهية.. يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: "لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد". وجود الله قضية أزلية محسومة..، وصراع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن حول وجود الله وإنما حول عبادة الله...، وإذا كانت [كارين أرمسترونج] التي كانت تُعد لفترة مضت من أكبر مُنظري الإلحاد في العالم تؤسس الآن لصحة الأسطورة في أصلها، فإنه ما من أُسطورة سادت أُمة من الأُمم إلا وقالبها الأصلي صحيح.

الله الذي لا يُعرف وجود شيء بغيره كما يقول فيلسوف الفيزياء اللاديني [جون ويلر]: " الحقائق لا توجد حقائق قبل أن نكتشفها..فكل شيء خلفك سراب ووهم ولا يتحول لحقيقة إلا بعد الرصد ولولا رعاية خاصة ورصد من خارج حدود الزمكان كل فيمتو ثانية لما كان هناك شيء ".

إن الكونَ خيرُ شاهدٍ كلَّ يوم على عظيم الخلق وروعة الصنع وملكوت يسبح بحمد الله كل آن... ولا يشذ عن هذا التسبيح إلا كافري الإنس والجن... فالكافر هو شذوذ في ملكوت يسبح بحمد الله ويخضع له ولا يتمرد.

والفرق بين الإسلام وبقية أديان الأرض أن الإسلام يقرر العبودية لله الواحد، بينما البقية تقرر إشراك آلهة صغرى في الموضوع، وصراع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن حول وجود الله وإنما حول عبادة الله...

إذا ظمأنا للماء فهذا أكبر دليل على وجود الماء، وكلنا نظمأ للعدل والحق والخير، فهذا يعني وجود العادل الحق كلي الخير..........

إن قلبَ كلِّ ملحدٍ نابضٌ بوجود الله رغمًا عنه.. ولذا يقول الملحد زياد الرحباني: "أمريكا مع السُّنَّة وروسيا مع الشيعة، أما الملحدون فلهم الله"!

وفولتير أشهر ملحد عبر كل العصور في أواخر حياته قام ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها " يا رب اذكر عبدك فولتير ". إنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين.

الفصل السادس

أسماء الله الحسنى تتجلى في عصر العلم

مُقَدِّمَة

واقع الأمر أننا جميعًا نؤمن بقانونية الكون وباستقرار سُننه، وإلا ما قام علم ولا نشأت معرفة ولا ظهر قانون فيزيائي ولا صحَّت معادلة، وما عرفنا شيئًا عن الرياضيات التجريدية!

فالعقل يوجب بفطرة مسبقة ذاتية مستقلة داخله A-Periori وجود النظام والقانونية في الكون، وهذا ما يُكسب العلم معناه، ويُبرر الكد والجهد المبذولين فيه!

ويقرر العقل وجود السببية في كل ظاهرة استقرائية متكررة، - مثل غليان الماء عند درجة معينة- ويُرجع ذلك إلى قانون، والقانون يعني عجز الماء عن الغليان بذاته بلا قانون، فالقانون والسببية يعنيان العجز والحاجة، وهذه ضرورة عقلية تقتضي إثبات علة أولى - خالق- خرجت منها سائر العلل والأسباب في الكون ولا تحتاج إلى علة أو سبب، ومجرد افتراض العبثية أو الفوضوية أو حاجة تلك العلة الأولى لعلة أخرى هو تشكيك في كل معطياتنا العلمية وفي صحة القانون في حد ذاته، وغياب النظام الكوني، وتشكيك في العقل ذاته!

فالسببية مرادفة للعجز والفقر، ولما كان كل شيء تحكمه السببية كان معنى هذا عجز كل هذه المخلوقات وفقرها، ودلالتها على الواحد القهار!

ولذا فقانونية الكون،- السببية - هى أحد أهم مظاهر فقر كل شيء، وعجزه، وغنى الله عز وجل وحده، ولذا فهو الصمد الذي يستمد منه الكون قانونيته وسببيته، وهو القيوم بذاته المقيم لغيره ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وفي هذا الفصل تتفتح أعيننا على شيء من نعم الله التي لا تُحصى..

نظرة بيولوجية قاصرة على اسم الله المُقيت

من أسماء الله الحسنى، (المقيت)، وهو الاسم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء:٨٥]

والمُقيت هو الذي أوصَل إلى كل موجود ما به يقتات و أوصَل إلى كل موجود رِزقه بحكمته فهو الحافظ للشيء والمُقدَّر له والحفيظ عليه.[١].

وقد تأسّس الكون كلّه وفق هذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، فإذا سألنا عن الشواهد عليه، فستجيبنا الطبيعة من خلال الكثير من الشواهد، وأحد أمثلة تلك الشواهد نظام المناعة والأجسام الدفاعية وهو نظام مجهري عجيب يُحصن أجسادنا ويدافع عنها كل لحظة.. فمثلًا عند دخول مادة غريبة أصغر من جزء من مليون جزء من الملليمتر مثل الفيروس، فإنها كافية لتدمير جميع الأنظمة.. لذا خلق الله جيوشًا دفاعية وجعل خُمس بروتينات البلازما في دم الإنسان خلايا دفاعية[٢].

وفي الوقت الذي تتكبد فيه ميزانية الدول أكثر من رُبع دخلها من أجل الإنفاق على التجهيزات الدفاعية، نكتشف أن الله المُقيت أنعم علينا بتجهيزات دفاعية هي الأقل كُلفة - إنفاق طاقة الجسم على الأجسام الدفاعية مُقارنة بباقي الوظائف الحيوية -.. والجلد أثقل الأعضاء وزنًا، وأكبرها حجمًا، وعلى بُعد أقل من عُشر ملليمتر واحد من عُمقه **تقبع أفضل أنظمة التعقيم في العالم وأكفؤها أداءً، وأدقها هدفًا، وأقلها كُلفةً، وأصغرها حجمًا، وأعلاها تخصصًا، وأقلها مُخلفات، في عالم كامل يموج بالحيويّة، ومع ذلك فهو خالٍ تمامًا من الضوضاء!**

بل إن أكبر مُختبرات العالم تحاول جاهدةً توفير استغناء وقتي عن هذه الأنظمة في بعض العمليات الكُبرى، وتعجز عن ذلك تمامًا فتوفر بديلًا لذلك كبسولة تعقيم عملاقة، بمصاريف باهظة، ومخلّفات كثيرة، يوضع داخلها المريض لوقت قصير جدًّا، كنظام حجرٍ صحّي، ليس

---

(١) راجع في بيان دلالات هذا الاسم تفسير ابن جرير سورة النساء آية ٨٥.

(2) http://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK26884.

لمقاومة الميكروبات، فهذا لا طاقة لها به، ولكن فقط لمنع دخول تلك الميكروبات، فهذه الكبسولات للتعقيم لا أكثر[١].

لكن كيف يتسنى للخلايا الدفاعية antibodies أن تظهر وتستعد لمعركة لا تعرف متى تبدأ، ولا كيف تبدأ، ولا لماذا تبدأ؟ ولا علم لها بكيفية تسليح الخصم ولا نوعيته، ومع كل ذلك تظل هذه الخلايا الدفاعية كامنةً غير نشطة بانتظار الغازي، أيًّا كان تسليحه أو حجمه، فهي لن تفر من المعركة مهما كانت الظروف.

إن عالم الحروب الذي نعرفه يقتضي إعدادات خاصة، وساحات حرب، وأسلحة موجهة، ومُضادات لأسلحة الخصم يعرف شكلها وإمكاناتها مُسبقًا، ونجد مثيلًا لهذه المعارك الطاحنة التي تدور رحاها يوميًّا، ونحن أرض تلك المعركة دون أن نشعر بأحداثها، أو ندرك قتلاها، إنها الحرب الجرثومية أو البيولوجية التي تخوضها دفاعات الجسم ضد الجراثيم المعتدية، وبإلقاء الضوء على هذه المعارك نعرف أن هذا النظام الدفاعي المُعجز الذي زَوَّد الله به خلقه يستطيع إنتاج ١٠٠ مليون سلاح مُختلف من الأجسام المضادة، في حين أن أقوى جيوش العالم لا تمتلك ما يزيد عن عشرة أنواع من الأسلحة، وهذا النظام الدفاعي يمتلك ذاكرة عجيبة فهو يقوم بتخزين المعلومات عن الخصم لتجهيز أنظمة دفاعية جديدة في حال تكرار المعركة! ومن العجيب أن هذه الذاكرة في الأجسام الدفاعية تظل مرافقة للكائن الحي طيلة عمره[٢].

اللغز الكبير هو كيف تستعد الأجسـام المناعية للمستقبل؟ إذا كانت حروب اليوم تُنفق مليارات الدولارات للتسليح وتدريب الجيوش وابتكار الخطط الحربية والاستراتيجيات القتالية، فكيف تفعلها أجسامنا المناعية منذ البدء؟ ولا إجابة إلا أن الله يُقيت لخلقه بعنايته وكلأه، فهو الحفيظ عليهم، ويُقدّر لهم ما يحفظهم ليستشعروا عظيم فضله.

---

(1)Davidson's principles and practice of medicine..immunology chapter.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Antibody.

والأجسام الدفاعية ليست عبثية، ولا صُدفويّة، بل إنها مُنظَّمة ومُقسّمة، بحيث لا يأخذ أحدها دور الآخر، فمثلاً:

الجسم الدفاعي E أو IGE هو جسم دفاعي "استخباراتي"، ويقاتل دائمًا في الصفوف الأمامية، ويُرسل لباقي الأجسام الدفاعية الرسائل بانتظام عن أية محاولات اختراق أو تهديد، ويتميّز بحساسيته البالغة[١].

أيضًا هناك الجسم الدفاعي A أو IGA، وهو "مارينز الأجسام الدفاعية" وصاحب المهام الخاصة، فينتقل من لبن الأُم إلى الرضيع بكثافة في الأيام الأولى بعد الولادة، لتوفير تغطية مناعيّة شاملة للرضيع، ويختفي بعد أن تظهر الأجسام المناعية الخاصة بالرضيع بعد أسبوعين، وكأنه يَعلم وظيفته مُسبقًا ولا يتخلف عنها، بل إن هذا الجسم الدفاعي يقوم بوظائف فدائيَّةٍ خاصة، فينتقل إلى خارج الجسم في الدموع واللُعاب، مُعرضًا نفسه للهلاك بعد لحظات، كل هذا التفاني المطلق والتضحية العظيمة لأجل احتواء الجراثيم المنتشرة في تلك البيئات[٢].

أما عِماد الخلايا الدفاعية فهو الجسم الدفاعي G أو IGG، وهو "كتيبة المشاة والمدرعات والمدفعية"، ويجري عبر الدم ليواجه الميكروبات مُقبلًا غير مُدبر، ويدخل مشيمة الأُم نحو الجنين لتوفير الحماية للجنين أولًا بأول[٣].

كل هذه الأجسام المناعية مصدرها تجاويف العظام، وتخرج منها لتُمارس مهامَّها بمنتهى التخصصيّة، والكفاءة، والقصد والغاية.

وخارج تلك الصفوف الدفاعية، تقف قشرة الجلد الخارجيّة، والمعروفة عند علماء الطب بالكيراتين keratin، ويعمل الكيراتين كحائط صد يبلغ سُمكه عُشر المليمتر، وهو بروتين ليفي يدخل عملية انتحار جماعي، ويفقد الحياة ليُشكل الأظافر، والشعر، والقشرة

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Immunoglobulin_E.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Immunoglobulin_A.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Immunoglobulin_G.

الخارجية للجلد، ويتجدد كل فترة قصيرة... ويبدأ الكيراتين القديم بالتساقط من الجسم مع الأجسام الغريبة الغازية، ويقوم بمهمته تلك على أكمل وجه بمنتهى التسليم والكفاءة[(١)].

هذه الأنظمة الدفاعية على قدر من التعقيد لا يسمح بالاختزال أو التدرج في الظهور، فالنظام الدفاعي في الأصل بروتين يخرج من نواة الخلية بانتظام عبر أنظمة تشفير غاية في التعقيد، حيث توجد شفرة تصنيعه داخل نواة الخلية الحية، وبعد عملية التصنيع يدخل الجسم الدفاعي في عمليات طي وانثناء وانحناء ليُناسب الوظيفة المُحددة التي سيقوم بها فيما بعد.. حيث يأخذ الشكل المناسب والطيَّات المُناسبة التي ستسمح له فيما بعد أن يُمسك الميكروبات بإحكام بين تلك الطيات ويُمارس عليها مهامه، والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة الآن: من أين لذلك البروتين الذي يتكون من ذراتٍ غير عاقلةٍ من الكربون والأوكسجين والنيتروجين، مِن أين له أن يُحدد وظيفة المُستقبل التي سيقوم بها، ويُحدد مؤهلات تلك الوظيفة، ويُحدد الشكل المطلوب منه بالضبط، كي يقوم بوظيفته على أكمل وجه؟

ولذا يتساءل عالم الكيمياء [جيمس تاور]: هل يوجد للصدفة مكان في أنظمة بالغة التعقيد غير قابلة للاختزال أو التدرج على ذلك المستوى الجُزيئي؟[(٢)].

والسؤال الأكثر غموضًا: كيف تم تشفير المعلومات المطلوبة لبروتين الجسم الدفاعي داخل نواة الخلية الحية قبل أن يحدث فك التشفير في مرحلة لاحقة؟

إنها عملية خلق مباشر ومُنظَّم غاية في الإتقان والروعة، تُلقي بظلالها على قول أحكم الحاكمين: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١].

ولا يملك الإنسان أمام تلك المنظومة الدفاعية العملاقة إلا التسليم لله، والشكر على عظيم نعمائه، فكل هذا التخطيط صممه الله وحده؛ لأنه يُقيت لعباده ما يُصلحهم وينفعهم: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥].

---

(1) http://www.britannica.com/EBchecked/topic/315321/keratin.

(2) Chemist J. Tour Challenges Darwinism.. video source.

رؤية فيزيائية قاصرة لعلو الله وجبروته في ومضةٍ من خلقه

علَّمتنا الفيزياء أن للقوى الأساسية الأربع التي تحكم كوننا بداية مُحددة، وهذه القوى هي: القوى الجاذبية Gravitational Force، والقوى الكهرومغناطيسية Electromagnetic Force، والقوى النووية القوية Strong nuclear Force، والقوى النووية الضعيفة Weak nuclear Force.. وقد ظهرت هذه القوى مع أول الهيجزات Higgs – الجسيمات الأولية – في أول ثانية من الانفجار الكبير[(١)].

تختلف هذه القوى فيما بينها اختلافًا جذريًّا في قوّتها، وفي عملها، ومجال تأثيرها، فتعمل القوى النووية القوية والقوى النووية الضعيفة في مجال الجُسيمات تحت الذرية، وتعمل القوى الجاذبية والقوى الكهرومغناطيسية في مجال الذرات نفسها[(٢)].

وهناك تناسب بالغ الدقة بين هذه القوى وإلا لتناثرت مادة الكون فور تكونها، أو لانكمشت على نفسِها للأبد، وتختلف هذه القوى فيما بينها من حيث الشدة اختلافًا شاسعًا، فإن النسبة بين القوى الكهرومغناطيسية والجاذبية هي ١: ١٠ أس٤٠، وهو فرق شاسع لا يمكن استيعابه[(٣)].

كذلك الفرق بين القوى النووية القوية والقوى الجاذبية، هو أيضًا فرق مهول للغاية، ولو افترضنا أن الأرض التي تجذب الإنسان بقوى الجاذبيّة، قامت بجذبه بالقوى النووية القوية، فإن وزن الإنسان على الأرض سيُعادل مائة مليون نجم![(٤)].

لكن السؤال الآن: ما الذي يجعل القوى الجاذبية بهذا الضعف الشديد، والقوى النووية القوية بهذه القوة الشديدة؟ مع أن هذا الفارق الرهيب في موازين القوى ليس من شروط ظهور الجسيمات الأُولى، ولا من مُعطياتها..!! إنه الإعداد الإلهي بالعناية الفائقة التي لا

---

(1) http://www.britannica.com/EBchecked/topic/222177/fundamental-interaction.

(2) http://www.worldscientific.com/worldscibooks/10.1142/8647.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Strong_interaction.

(4) Lee Smolin.. The Life of the Cosmos.

تتخلف ولا تتأخر عن موعدها، فسُبحان العليّ القهار.

يقول [ماكس تيجمارك] Max Tegmark عالم الكونيات الأمريكي: " إذا كانت القوى الكهرومغناطيسية أضعف مما هي عليه ب٤٪ فقط، لانفجرت الشمس فور تكونها، وستصبح نفس النتيجة إذا زادت القوة الكهرومغناطيسية عما هي عليه، إن ثوابت الطبيعة تبدو مُعدَّة بعناية عند مستوًى ما، وإذا كانت القوى النوويّة الضعيفة أقل مما هي عليه الآن لن يتكون الهيدروجين، وبالتالي سيظل الكون مجرد غبار كوني، وإذا كانت أقوى قليلًا فإن جسيمات النيوترينو neutrinos ستعجز عن مغادرة المستعرات العملاقة - السوبرنوفا Supernova- وبالتالي لن تنتقل العناصر اللازمة للحياة خارج المستعرات العملاقة – النجوم المُنفجرة –"(١).

إنها ثوابت على أقصى حد من الإعداد بعناية، وحِساب للمستقبل، والضبط السابق للأحداث..!!

وقوى الجاذبية لو كانت أقوى قليلًا مما هي عليه الآن لما استغرقت حياة الشمس التي

---

(1) Max Tegmark writes:"For instance, if the electromagnetic force were weakened by a mere 4%, then the sun would immediately explode. If it were stronger, there would be fewer stable atoms. Indeed, most if not all the parameters affecting low-energy physics appear fine-tuned at some level, in the sense that changing them by modest amounts results in a qualitatively different universe.If the weak interaction were substantially weaker, there would be no hydrogen around, since it would have been converted to helium shortly after the Big Bang. If it were either much stronger or much weaker, the neutrinos from a supernova explosion would fail to blow away the outer parts of the star, and it is doubtful whether life-supporting heavy elements would ever be able to leave the stars where they were produced.."

source: space.mit.edu/home/tegmark/multiverse.pdf

ستتكون بعد ذلك أكثر من عشرة آلاف سنة[١]. فهذا ضبط غير قابل للاختزال أو للتأجيل، فسبحان بديع السماوات والأرض.!!

وإذا انتقل المرء من المنظومة الذرية إلى المنظومة دون الذرية the sub_atomic particles، فسيكتشف أن كتلة الجسيمات دون الذرية تشكّلت في استقلاليّة تامة، ومع ذلك تختلف الكُتل فيما بينها اختلافًا جذريًّا، بما يسمح بتشكيل أنوية الذرات، وبدون ذلك لانهار الكون على نفسه فور ظهوره، فكتلة الإلكترون Electron mass تمثل ٢, ٠٪ من كتلة النيوترون Neutron mass، وهذه هي الكتلة القياسية لتكوين الذرَّة[٢].

ولو كانت كُتلة البروتون Proton أثقل مما هي عليه الآن ب٢, ٠٪ فقط، فإنه سينحلَّ إلى نيوترونات Neutrons، وبالتالي سيعجز عن الإمساك بالإلكترونات التي تدور حول النواة وسينهار النموذج الذري، ولو كانت النسبة بين كتلة البروتون إلى كتلة الإلكترون أقل قليلًا مما هي عليه الآن، فلن تظهر نجومٌ مستقرّة، ولو كانت أعلى قليلًا مما هي عليه الآن فلن تظهر الأنظمة التشفيرية في خلايا الكائنات الحية DNA – لأن الأنظمة التشفيرية تعتمد على توازن ذرات الكربون التي تُشكِّل القواعد النيتروجينية في أنظمة التشفير، وذرات الكربون تحتاج إلى توازن كتلة البروتون مع كتلة الإلكترون حتى يصبح الكربون ذرة مستقرة –.. وبالتالي لن يظهر الكائن الحي[٣].

وعندما تلتحم ذرتان من الهيدروجين فإن ٧, ٠ ٪ من كتلة الهيدروجين تتحول إلى

---

(1) http://home.earthlink.net/~almoritz/cosmological-arguments-god.htm.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Electron.

(3)Max Tegmark writes:" If the protons were 0.2% heavier, they would decay into neutrons unable to hold onto electrons, so there would be no stable atoms around. If the proton-to-electron mass ratio were much smaller, there could be no stable stars, and if it were much larger, there could be no ordered structures like crystals and DNA molecules".

source: space.mit.edu/home/tegmark/multiverse.pdf

طاقة، لو كانت هذه الكتلة هي ٦ , ٠٪ بدلا من ٧ , ٠٪، فإن البروتون لن يلتحم بالنيوترون، ولظل الكون مجرد هيدروجين فحسب، ولما ظهرت باقي العناصر، ولو كانت الكُتلة المتحوّلة إلى طاقة هي ٨ , ٠٪ بدلًا من ٧ , ٠٪،لأصبح الالتحام سريعًا للغاية، الأمر الذي سيؤدي إلى اختفاء الهيدروجين فورًا من الكون، فتستحيل معه الحياة، فالرقم يلزم أن يكون بين ٦ , ٠٪ و ٨ , ٠٪[١].

ولو تدبَّر الإنسان هذه المعاني، وهذه التوازنات الدقيقة في عالم الكون، وفي العالم الذري، وفيما دون الذرة، سيُدرِك بجلاء معنى اسم الله العلي الجبَّـار، الذي جَبَر مخلوقاته وأخضعها لإرادته ومشيئته، وأخرجها من بين احتمالات لا نهائية، إلى حتمية واحدة مثالية Fine-tuning of universe، حتمية لا تحيد عنها ولا تطيش.. بعد أن أخرجها من الإمكان إلى ما كان!.

واسم الله الجبَّار عائد على اسمه العلي، فهو جَبَر مخلوقاته بعُلوِّه وعظيم قدرته، سبحانه العلي القدير: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣].

(١) Martin Rees,.. Just Six Numbers.

غُبار الطلع ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٩].

انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في ذلكم - أيها الناس - لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه.(١).

فقد استخدم تعالى حُجة الخلق وبديع الصُنع لاتباع الشرع.

والذي يتدبر أحوال المخلوقات، ويتفكر في روعة الموجودات يحصل له من الوقار واليقين والإيمان بالحي القيوم الذي يحفظ لخلقه قُوتهم ومعاشهم، ويُدبر لهم بحكمته أرزاقهم فيُخبت قلبه وتخضع جوانحه ويُسلِّم لله بالخلق والأمر..﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

غبار الطلع أو حبوب اللقاح؛ هو لقاح الأزهار يَعلق في الشعر الذي في جسم النحلة وينتقل عبر الهواء والرياح، ويَعلق في الحشرات والحيوانات المُختلفة حتى يصل إلى هدفه ويقوم بتليقح الأزهار، يبلغ في أكبر أحجامه خُمس ملليمتر، وهو يحمل تعبئة كاملة للجينات بشكل مثالي وهو مُحصن بقوة لحماية هذه الجينات، ومُحاط بأقوى مادة عضوية طبيعية على الإطلاق وهي الأكسين وهذه المادة تتحمل الحرارة والضغط والسفر البعيد.

لكن كيف يحمل الهواء مادة صلبة بهذا الشكل ويسافر بها بعيدًا لتصل إلى الأنابيب الدقيقة في أُنثى النبات التي تقطن في أماكن مختلفة نائية ليحدث التلقيح؟

هذا السؤال يمثل أحد الألغاز التي ما زالت محيرة لعلماء النبات، ولا تكمن الإجابة عليه في ضخ كميات كبيرة من غبار الطلع؛ لأنها مهما كثرت ستظل خواصها تمنعها من الطيران فوق النبات!

---

(١) التفسير المُيسر.

يحاول العلم تقديم تفسير جزئي من خلال خاصية التركيب الديناميكي الهوائي لشكل حبة اللقاح، وأيضًا من خلال كون مخاريط الإناث أكثر اتساعًا من مخاريط الذكور وشكلها المخروطي يُسهل عملية دخول غبار الطلع..

لكن أيضًا سيبقى السؤال: كيف تصل كل حبة غبار طلع إلى فصيلتها نفسها دون غيرها على الرغم من وجود عدد ضخم من حبات غبار الطلع في الهواء؟

ولا ندري كيف للمصادفة أن تؤسس لمنظومة تزاوجية بهذا التعقيد الذي ما زال يحير العلماء، كيف يحدث التواصل..؟ ثم كيف تنشأ أنظمة ذكورية وأُنثوية وريح وغبار طلع كل هذا في نفس التوقيت؟

ومن الهام أن نعلم أن مخاريط الزهور ظهرت بشكلها فجأةً في الطبيعة كما تُقرر الداروينية نفسها فحتى المتحجرات أثبتت الظهور المفاجيء لها.

بعض حبات غبار الطلع مُزودة بجيوب هوائية تتيح لها أن تسافر ٣٠٠ كيلو متر في الهواء، وحولها آلاف الأنواع من حبات غبار الطلع لنباتات أخرى مُختلفة لكن دون أن تحدث أي فوضى بينها ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر:٢٢] ويوجد في أرجل النحلة الخلفية جيوب تسمى سلة اللقاح تقوم النحلة بتجميع ما علق في جسمها من هذه الحبوب في تلك الجيوب.

تُرى ما العلاقة التي تسمح للحيوان أو للحشرة أن يكون مسئولًا مُباشرًا عن تلقيح النبات؟ وكيف نشأت هذه العلاقة؟ وكيف استفاد منها النبات؟ وما الثمن الذي يدفعه النبات للحفاظ على مورثاته التي ينقلها إلى الأجيال التالية؟

لقد اتبعت النباتات منذ البدء استراتيجيات مثالية لتوجيه الحيوانات التي تحمل غبار طلعها..، فالإشارات اللونية للنبات تدل الحيوانات والطيور على الثمرات الناضجة، كما ترتبط كمية الرحيق بجاهزيتها للتخصيب..، ويعرف النبات الكائن الحيواني الأصلح للتلقيح فيُفرز روائح عطرية تجذب هذا النوع من الكائنات(١).

---

(١) معجزة النبات، هارون يحيى.

والنباتات التي يتواجد غبار الطلع في مركزها تجذب الحشرات بلونها فقط ولا تُتيح الرحيق إلا لمن يدخل إلى المركز.

هنا الحشرة حصلت على الرحيق ولم تعلم بالدور الهام الذي تقوم به – التلقيح –، أيضًا الزهرة كائن غير عاقل فكيف لها عمل هذه المقايضة وكيف لها معرفة ما تطلبه الحشرة بالضبط، وكيف تُزين نفسها بألوان جذابة لتجذب الحشرة إليها إذا كانت غير عطرية؟

لا إجابة صدفوية ولا عشوائية في الأمر إنها قدرة الخالق العظيم الذي بث في الأرض من كل دابة، وأودع فيها طريقة كسب رزقها وقوام حياتها وحفظ نسلها، فسبحان الخالق البارئ المصور سبحان الله العظيم... ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

بل إن بعض الزهور مثل زهرة الأوركيدا تتخذ صورة تُطابق تمامًا أُنثى النحل فيأتي ذكر النحل محاولًا تلقيحها فتلتصق حبات غُبار الطلع في رأسه، ويقوم بالعملية نفسها في أوركيدا أخرى فيقوم بالتلقيح المثالي دون أن يدري، ولا مجال للحديث عن عامل التدرج أو الداروينية في الأمر.

بل إن الأكثر إثارة لكل عاقل أن زهرة الأوركيدا تُفرز نفس الرائحة الخاصة بأُنثى النحل – فيرميون أُنثى النحل – وليس شكلها فقط ، كل هذا وهي كائن لا يعي من أمره شيئًا، ولا يُدبر من أمره شيئًا، وتعيش في توازن بيئي مثالي مع غيرها من الكائنات فلا تطغى عليها فسبحان فاطر الخَلق مُودِع عجيب الصنع في كل شيء.

وبعض الزهور تأخذ شكل أُنثى الدبور تمامًا كبديل للرحيق الجاذب للذكور، هذه الأمور تناقض منطق التطور ذاته القائم على التدرج، فهذه الزهور إما تظهر فجأة ومعها الدبابير ولها نفس شكل أُنثى الدبور أو لا تظهر، ثم إن خواص الفكر والإدراك واتخاذ قرار هي خواص في قمة العقلانية ولكنها لا تستطيع أن تُغير من واقعها شيئًا حتى لو أدركت وفكَّرت وعقلت... فما بالنا بحساب الزمن – زمن التلقيح – والشكل والحجم الخاص بالحشرة التي ستُقلد شكلها، وانتاج غبار طلع بالكمية الكافية وحساب خاصية التصاقه بجسد الحشرة، وضغط كل المورِّثات في حبة غبار الطلع الصغيرة وتحصينها بجدار سميك مع خفة الوزن في نفس الوقت؟ كل هذه الحسابات هي آيات للعاقل يخشع بسببها للخالق العظيم المُبدع..

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

وحبوب اللقاح من الداخل مَخزنٌ غَنِيٌّ بالفيتامينات والبروتين والماء والسكريات والدهون والإنزيمات وفيتامين ب١ وب٢ وب٣ وب٥ وب٩ وب ١٢، ومن المعلوم أن فيتامين ب٥ من النوادر في الطبيعة، كل هذا إلى جانب شفرة الجينات الكاملة المُسجل عليها كل معلومات إنشاء شجرة عملاقة فيما بعد..، كل هذا تحمله حبوب اللقاح التي يزن ١٤٠٠٠ منها جرامًا واحدًا[(١)].

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Pollen.

الله القيوم والكون المقهور لعظمته من منظور فيزيائي

الله القيوم الذي قام به خلقه، فهو سبحانه القيوم بذاته الباقي على صفاته المقيم لغيره والمانح صفات خلقه، فهو الذي منح الإنسان فطرته، ومنح الحيوان غريزته، ومنح الإلكترون وزنه وحركته، وهو سبحانه الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ فكل ما في الكون خاضع لميزان دقيق لا يطيش عنه ولا يحيد.. منذ الأزل إلى أبد الآبدين!!

يقول علماء الفيزياء أنه عند اللحظة ١٠ أس -٤٣ من الثانية وهي لحظة لا يمكن استيعابها لقصرها الشديد ظهر كل شيء فجأة وظهر الكون، ففي جزء من مليون من مليون من مليون من مليون من الثانية ظهر الكون من أصغر من ذرة إلى أكبر من مجرة.[(١)].

ففي اللحظة صفر عندما لم تكن هناك مادة أو زمن نشأ الكون ووحدات بنائه في إطار مُخطط عظيم، وفي أقل من ثانية كان حجم الكون أكبر من مجرة درب التبانة بملايين المرات[(٢)].

لقد ظهرت كل الطاقة فجأة وتكوَّن النظام المثالي والقوانين الثابتة والثوابت الكونية المدهشة في لحظة الخلق العُظمى والإبداع الأدهش على الإطلاق.

ثم ظهر تكثف عجيب للمادة يقابل هذا التمدد الهائل وقرر البروتون والنيوترون أن يتحدا مع أن كثافتهما تقع في الخط الفاصل بين الوجود واللاوجود، إننا أمام عملية واعية

---

(1) History of the World in Two Hours

اليكس فلبينكو عالم الفيزياء الفلكية جامعة كاليفورنيا.

(2) during this cosmological inflation, the universe expanded by a factor of 1,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000

in.00000000000000000000000000000000001 second. It was as if a coin 1 centimeter in diameter suddenly blew up to ten million times the width of the Milky Way..

source:The Grand Design..Stephen Hawking

وموجِهة بشكل فائق، وهذا ما يقرره الدكتور محمد باسل الطائي أستاذ فيزياء الكم ورفيق [ستيفن هاوكنج] حين يقول: " طبقا لميكانيك الكم فإن العالم دون الذري يحتاج حتمًا إلى مُدبِّر ومُحرك في كل لحظة Operator formulation of quantum mechanics إن ميكانيك الكم يثبت أن الله قيوم.. أي قائم بالكون في كل آن.. وفي كل لحظة "(١).

في تلك اللحظة العظمى من الخلق لو تغيرت كمية أي جُسيم يظهر، فإنه سيتم تدمير مستوى الطاقة الذي يحدده ذلك الجسيم، ويمنع تحول الطاقة إلى مادة، ويتوقف الكون عند البيضة الكونية Cosmic egg، ولابد في تلك المرحلة الحرجة أن يكون عدد الجُسيمات بالشكل المطلوب وبالنسبة المطلوبة، فلو زاد عدد البوزيترونات عن عدد الإلكترونات فإن الذرة لن تظهر ويتوقف الكون عند البيضة الكونية Cosmic egg مرَّة أخرى".

ولو تساوى عدد الإلكترونات والبوزيترونات فإن الناتج طاقة مجردة ويتحول الكون إلى مجرد ظاهرة طاقوية جوفاء.

أيضًا لابد أن تتساوى أعداد الإلكترونات والبروتونات في تلك اللحظة المثالية..

أيضًا لابد أن يكون الجسيم بنسبة أعلى من الجسيم المضاد حتى لا يتحول الكون إلى ظاهرة إشعاعية سرابية مجردة.

إنه الخلق المباشر وحده الذي يتيح تلك التوازنات والنسب والخروج من العدم إلى الوجود، فسبحان بديع السماوات والأرض القيوم في كل آن.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة: كيف قررت الجسيمات ماهية الذرات التي سوف تُكونها وبأية كميات؟

لماذا لم تقم كل البروتونات والنيوترونات بتكوين ذرة هيدروجين واحدة وانتهى الأمر؟

إذن الخلق لابد أن يستتبعه إعداد بعناية Fine Tuning وهذه الكلمة Fine Tuning دخلت إلى الفيزياء عن طريق الفيزياء وليس عن طريق الدين .

---

(١) البروفيسور محمد باسل الطائي.. محاضرة الله والكون والإنسان.

فالكون منذ اللحظة الأولى مُعَدٌّ بعناية فائقة، فمثلًا إذا كانت نسبة الكتلة بين البروتون والإلكترون أقل قليلًا مما هي عليه لما استقرت الشمس ولما ظهرت الحياة..، وإذا كان البروتون أثقل مما هو عليه الآن بنسبة ٢ , ٠٪ فقط فإنه سيتحلل فورًا إلى نيوترون وسيعجز أن يُمسك بإلكترونات، وستنهار الذرة قبل أن تتكون، وينهار الكون بأجمعه فور تكونه[(١)].

إن قوانين الفيزياء التي ظهرت في أول ثانية من نشأة الكون هي نفسها التي تحكم عالمنا اليوم، هذه القوانين تم ضبطها بعناية وإلا فإن أي خلل أو أي تغيير في أي من الثوابت الكونية سيفرز كونـا مُجهضًا، ولذا يقول[ستيفن هاوكنج]: " لو كان معدل التمدد بعد ثانية واحدة من الانفجار العظيم أصغر حتى ولو بمقدار جزء واحد من مائة ألف مليون مليون جزء، لانهار الكون قبل أن يصل إلى حجمه الحالي "[(٢)].

وهناك سؤال ربما لم يطرحه أحد على نفسه من قبل ألا هو: ما الذي جعل الزمن يتحرك للأمام في لحظة الخلق الأولى؟ فالزمن طبقًا للنسبية هو أحد الأبعاد الأربعة التي تُحرِّك الكون بكل ما فيه ويُشكل مع المكان النسيج الكوني المعروف بالزمكان، ومن خلال نظرية مكيانيكا الكم اكتشفنا أن تحرك الزمان للأمام هو أحد الاحتمالات وليس واجبًا يفرضه قانون ما... الآن السؤال: ما الذي يدفع الزمن للتحرك للأمام؟ ولماذا لم يتوقف ويتوقف معه المكان ويقتصر الكون على بيضته الأولى..؟

بل إن توقف الزمن لحظة الخلق أقرب فيزيائيًا من تحركه للأمام، فطبقًا لشفرة أوكام Occam's razor فإن أبسط التحليلات لمشكلة معقدة هي الصحيحة، وينبغي اختيار أبسط نظرية تناسب حقائق المعضلة، ونسيج زمكاني في غاية التعقيد يتحرك بسرعة الضوء هو بداهة أبعد عن منطق شفرة أوكام من بيضة كونية مستقرة لحالها.

---

(١) عالم الكونيات الامريكي ماكس تيجمارك Max Tegmark.

space.mit.edu/home/tegmark/multiverse.pdf

(٢) ستيفن هاوكنج.. موجز تاريخ الزمن ص ١٢١.

إننا أمام لحظة خلق فريدة، خَلَقَ اللهُ الكونَ العظيمَ، وأودَعَ في كل جزئية من جزئياته أعاجيبَ الخلق وبديع الصنع، ولم يطلب من الإنسان إلا التسليم أمام الواحد القهار الذي جبر الكون على قوانين ونواميس لا تتخلف ولا تتبدل.

فقد قضت حكمة الله العُظمى أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير..، قضت حكمته العُظمى أن يُختبر الإنسان في التسليم لله بالخلق والأمر، وأن يستقيم لله كما تستقيم له كل نواميس الكون، فالعبد العاصي هو شذوذ في كون يُسبح الله وينحني لآلائه الكبرى.. ومع ذلك فما زال يفشل في هذا الاختبار البسيط الكثير من الخلق.

فسبحان الحي القيوم الذي لا إله إلا هو

التخصصية الوظيفية

تقبع في قلب الخلية الحية نواة الخلية، وهي مُكوِّن معرفي The Know How، والمكون المعرفي هو قاعدة معلوماتية Data Base، يُشفر داخلها كل ما تحتاجه الخلية، ويحمل الجرام الواحد منها معلومات يمكن أن تملأ مليون مليون قرص مضغوط CD، وتتواصل الخلية مع بقية خلايا الجسم بحسب وظيفتها ومكانها، والعمل المطلوب منها بالضبط، وعلى أساس ذلك تتخذ الشكل المناسب لعملها بحيث تقوم بوظيفتها على النحو الأمثل والأكفأ، مثلًا محور الخلية العصبية Axon يحمل نبضة كهربية يقوم بتوصيلها إلى الخلايا التالية له حتى تصل النبضة إلى العضلة فتقوم بوظيفتها، ولذا يحيط بهذا المحور غلاف عازل Myelin Sheath، يقوم بعزل المحور عما حوله لأنه يحمل نبضات كهربية، أيضًا كرات الدم الحمراء تأخذ شكل كروي حتى تسرع حركتها في مجرى الدم، وتقوم بتفريغ نفسها من كل العضيات وتفريغ نفسها حتى من النواة – وهذا يعني أن الحياة لا علاقة لها بالنواة– لتتفرغ فقط لحمل الأوكسجين وبذلك تتسع الكرية الواحدة ل ٢٨٠ مليون جزيئة هيموجلوبين، لو قلَّ عدد الكرات الحمراء إلى النصف فقط يموت الكائن الحي، ولو اتخذت أي شكل بخلاف الشكل الكروي فإن الإنسان يعاني من الأنيميا الحادة مدى الحياة، خلايا الكيراتين تتخذ شكل مُعين ثم تقوم فجأةً بمهمة انتحارية وتقرر أن تموت لتُشكل الشعر والأظافر، أما القرنية التي تُشكل أنقى وأدق عدسة في العالم بالإشتراك مع عدسة العين فإنها لا تحمل أية أوعية دموية لتغذيتها حتى لا تؤثر على الرؤية، وإنما تتغذى من دموع العين، وتحصل على الأوكسجين من الهواء مباشرةً، أما شبكية العين التي تقوم خلاياها بتحويل الرؤية البصرية إلى نبضات عصبية بحيث يُعيد المخ ترجمتها – ولا ندري استنادًا على أي مرجع يُترجِم المخ هذه المعلومات، وما هو مصدر معلوماته الأسبقية التي تتيح له فهم النبضة وترجمتها الترجمة الصحيحة التي تؤدي إلى استيعاب الرؤية البصرية، وكيف يدرك ما حولنا ليستوعبه بمجرد رؤيتنا له؟–، ثم كيف تتحدد قدرات الحواس ويتم تحجيمها بحسب ما يطلبه الكائن الحي، فلو تصورنا مثلًا أن للإنسان حاسة شم مثل الكلب فإنه كان سيعيش أسوأ وأتعس لحظات حياته بمجرد وجود رذاذ من البول على صنبور عربة إطفاء على بعد مئات الياردات عنه، فكل شيء موجود بقَدر ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، أيضًا ما المبرر

لتتجمع ملايين الخلايا لتكوين صمام مخرج الجهاز الهضمي مع أنه ليس قضية حياتية، ولو كان الأمر عفويًا فصمام كهذا لا معنى له، فكل ما سيحصل هو أن الكائن لن يتحكم في خروج الفضلات ولكنه لن يموت، بل إن هذا الصمام يتمتع بميزة من أعجب ما يكون إذ ينقل للمخ إحساس يختلف بحسب المادة الموجودة خلفه، فيعرف الإنسان ما يحتبس بداخله هل هو ريح أم براز، فيقرر التصرف الأنسب بطريقة تليق بكائن خُلق في أحسن تقويم، إن التخصصية في الشكل والوظيفة والهدف والإنتاج آية على روعة الخلق وبديع الصنع، فلا توجد تخصصية بلا تشفير داخل نواة الخلية، ولا يوجد تشفير بلا مُكوِّن معرفي، ولا يوجد مكوِّن معرفي بلا وعي وخلق وقدرة وإرادة أبدعت الإنسان في أحسن تقويم، ثم يأتي هذا الإنسان ويتسائل أين الله، أعطني شاهدًا؟ إن الذي يستطيع أن يبتلع سذاجة الإلحاد، يستطيع بعدها أن يبتلع أي شيء.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت:٢٠]، سبحانك ربنا سِرنا فنظرنا.

الله هو الأول والآخر.. نظرة في فيزياء الكوانتم

﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣].

الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ومدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن.

ثم ختمت الآية بما يفيد إحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة، ومن العالم العلوي والسفلي، ومن الواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

فالآية كلها في شأن إحاطة الرب- سبحانه- بجميع خلقه من كل وجه، وأن العوالم كلها في قبضة يده كخردلة في يد العبد، لا يفوته منها شيء، وإنما أتى بين هذه الصفات بالواو مع أنها جارية على موصوف واحد ؛ لزيادة التقرير والتأكيد[١].

قبل اكتشاف فيزياء الكوانتم كانت هناك فلسفة ذات صيت في أوربا تنادي بأن الكون واجب الوجود.... وبما أن الكون موجود إذن هو موجود وليس هناك احتمال آخر بديل لوجوده... وهذه الفلسفة كانت أكثر إلحادًا من الفلسفة اليونانية القديمة التي كانت ترى أن الله هو المُحرك الأول لا أكثر.

بعد ثورة فيزياء الكوانتم التي قادها [نيلز بور] و[ماكس بورن] و[هايزنبرج] في أوائل القرن العشرين تبين أن العالم تحت الذري يخضع لعدد لا نهائي من الاحتمالات وأن كوننا هو الاحتمال الوحيد الصحيح..

فمثلًا اكتشف العلماء أن النسبة بين الإلكترون والبروتون هي ١ : ١٠ أس٣٧

وهي النسبة الوحيدة التي تسمح بتشكيل الذرة وبالتالي ظهور الكون.

وللذين لا يعرفون لغة الرياضيات فإن ١٠ أس٣٧ هي قيمة تُماثل وضع دولار أمريكي وسط حزمة من الدولارات تمتد ملايين الأمتار، واختيار أي دولار آخر من بين هذه التريليونات تريليونات الدولارات يعني خطأ العملية تمامًا.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية.. محمد خليل هراس.. ص١٢٢.

فاختيار أي دولار يخالف هذا الدولار يقابل اختيار أي ثابت كوني يُخالف ذلك الثابت الكوني المُحدد وبالتالي يعني انهيار الكون قبل أن يبدأ.

وأيضا كلًا من الإلكترون والبروتون يحمل شُحنة كهربية وفقا لخصائصه، وهذه حقيقة ظهرت بعد الثانية الأولى من خلق الكون، وهي حقيقة اختيارية احتمالية وليست واجبة الوجود، وأدنى تغيير في شدة هذه الشُّحنة من شأنه أن يؤدي إلى انطلاق الإلكترونات بعيدًا عن النواة أو وقوعها داخلها، وفي كلتا الحالتين سيؤدي ذلك إلى استحالة وجود الذرة وبالتالي استحالة وجود الكون، ومع ذلك فمنذ الثانية الأولى من خلق الكون قامت البروتونات بجذب الإلكترونات بالقوة المطلوبة بالضبط لتكوين الذرة.

إذن خروج الكون هو خروج اختياري ثم كان على أعلى درجات الإعداد بعناية.

ولذا يرى [ليونارد سوسكايند] أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة ستافورد والمؤسس لنظرية الأوتار الفائقة أن مُعطياتنا عن الثوابت الكونية – مثل النسبة بين الإلكترون والبروتون –، تقف كلها على حافة سكين وكلها مُستقلة عن بعضها البعض، وفي الوقت نفسه تتلاقى لتسمح فقط بإحداث الحياة، وتغيُّرُ أيِّ مُعطى من هذه المعطيات التي نشأت مستقلة لم يكن يسمح لها بالتلاقي فضلًا عن إمكانية إيجاد حياة أو حتى منظومة كونية[(١)].

والآن لو افترضنا أننا نرغب في رؤية الذرات الموجودة داخل رأس دبوس صغير- مثلاً- فإننا بحاجة إلى تكبير رأس الدبوس بحيث يصير بحجم الكرة الأرضية وفي تلك الحالة لن يتجاوز حجم الذرَّة كرة قدم صغيرة.. لماذ الذرات بهذا الحجم المدهش؟

إذا افترضنا أننا نرغب في رؤية النواة داخل الذرَّة فإننا بحاجة لتكبير كُرة القدم السابقة لتصير بحجم ملعب كرة قدم كبير وفي تلك اللحظة فلن يتجاوز حجم نواة الذرة حبة غُبار صغيرة للغاية.. فحجم نواة الذرَّة يساوي جُزء من عشرة بلايين جُزء من حجم الذرَّة.. ومع ذلك توجد كُتلة الذرة كلها في النواة ٥ ,٩٩٪

---

(١) موقع إدج العلمي المُتخصص.

http://www.edge.org/3rd_culture/smolin_susskind04/smolin_susskind.html.

والآن التساؤل الهام: كيف تكون كتلة ملعب عملاق كلها موجودة فقط في حبة غُبار منه والباقي فراغ تـام؟

إن هذا النظام الذري بهذا الشكل وهذا التوازن بين كتلة النواة في مقابل حجمها داخل الذرة هو النظام الوحيد الذي يسمح بتشكيل الكون وبحدوث التفاعلات الفيزيائية.

هذا الأمر لا يُمكن استيعاب حدوثه بالصُّدفة أو الخبط العشوائي إنه تدبيرُ وإحكامُ وعجيبُ صُنْعِه.

كان هناك أحد العلماء يدعى فيكتور ستينجرVictor Stenger، وكان مشغولًا تمامًا بهذه الثوابت الدقيقة والتوازنات العملاقة، فقام ببرمجة أنظمة كمبيوتر، وعمل محاكاة بإدخال تعديلات على بعض الثوابت السابقة ولكنه اعترف في النهاية أنها ثوابت على أقصى حد من الإعداد بعناية[(١)].

وهذه الثوابت توجد مجتمعة فلو نقص أحدها ما كان هناك كون، هذا فضلًا عن أرقامها المنضبطة تمامًا إنه أمرٌ مُعَقدٌ للغاية.

وذات مرة استطاع فيكتور ستينجرVictor Stenger أن يخرج بصيغة لأحد الأكوان مع بعض التعديلات الطفيفة على الثوابت الفيزيائية، واضطر من أجل ذلك لتغيير ثابت طول بلانك فصار أكبر مليارات المرات من حجمه الطبيعي، وظن أنه أخرج صيغة كون جديد مع بعض التضحيات – التضحية بثابت طول بلانك –، لكن بعد التدقيق في تلك الصيغة تبين أن زيادة طول بلانك ستؤدي إلى انتقال ظاهرة التداخل والحيود التي تحدث بين الموجات لتحدث بين الجسميات والأجسام الكبيرة، وبالتالي فإن الأرض المُتشكلة حديثًا سترتطم بالقمر والمريخ في كل لحظة، ويرتطم المشترى بزُحل، ويرتطم عطارد بالمجموعات النيزكية القريبة منه، وتتحول المجموعة الشمسية إلى غابة من الارتطامات العملاقة التي تفتت الكواكب والأفلاك نتيجة ظاهرة التداخل والحيود تلك..

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Victor_J._Stenge.

ولو افترضنا أنه نشأت حياة في هذا الجو القاتل فإن الكائن الحي ستتداخل خلاياه في خلايا كل كائن حي مجاور، وستتداخل أعضاء الكائن الحي في أعضاء كل كائن مُجاور وستتحول الحياة إلى جحيم لا يُطاق..

لقد أثبت لنا Victor Stenger دون قصد أن الكون ليس مُعَدًّا بعناية لنشأته فحسب بل لنشأة حياة مستقرة فيما بعد.

إن الكون خرج من بين احتمالات لا نهاية لها،ولم يكن واجب الوجود بل كان احتماليًا، ولم يكن الله هو المحرك الأول بل كان سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن...، لقد انفتحت أعيننا بفضل ميكانيكا الكم على لمحة من فيوضات نِعم الله علينا...، وعلِمنا أن الله على كل شيء شهيد ومُدبر وحكيم وعليم فسبحان الله ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج:٩].

الجين الأناني

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر:٥٦].

الكِبر هو أول ذنب عُصي الله به، وهو أصل دين الملحد، وهو سوق الشيطان وقِوام بضاعته، وعليه ينصب رايته.. وقلَّ من انتصر على نفسه وتواضع للحق متى ظهر واستعلن.

نذكر هذا الكلام ونحن في معرض الحديث عن الكِبر الذي يمنع صاحبه من التسليم للحق، ويدفعه دفعـًا للإغراق في الأُسطورة، بدلًا من الرضوخ للبيِّنـات.. وإذا توجَّه المرء بنظره إلى القرن التاسع عشر حيث العلوم البيولوجية في مهدها، وحين كانت الخلية في عهد داروين مجرد تكوين هلامي - بقعة سوداء - تحت الميكروسكوب، أو لطخة بروتوبلازمية Protoplasmic Blot على حد تعبير البعض، وكان من السهولة بمكان تمرير صدفوية نشأتها من أجل التأثير على عامة الناس الذين لا يُفكِّرون في مثل هذه الموضوعات.

وبعد أن أظهرت الميكروسكوبات الإلكترونية في خمسينيات القرن الماضي آلاف العُضَيات المتخصصة specialized organelles داخل كل خلية، وبعد ثورة اكتشاف الحمض النووي، صار الحديث عن صدفوية الخلية ضربًا من الجنون.

وملامح النظام الإلهي في الخليّة الحيّة ظاهرةٌ، فالخلية الحية تحتوي على مُركبات مُعَقدة غير قابلة للاختزال، فعلى سبيل المثال: يوجد إنزيم متخصص في فك شفرة الحمض النووي لتخليق البروتين، وهذا يستدعي وجود الإنزيم والحمض النووي معًا، والأمر لا يقبل التطور أو التدرج.[(١)].

ومن المعلوم في علوم البيولوجيا الجزيئية Molecular biology أن لحظة البدء في عمليّة فك التشفير لها علاقة برسالةٍ تأتي إلى ذلك الإنزيم ليقوم بفك الشفرة Decode وهذه الرسالة مُحَمَّلة على الـ RNAالرسول Messenger RNA.. إذن لابد أيضًا ان يتواجد RNA الرسول منذ البدء.

---

(١) http://www.proteinsynthesis.org/protein-synthesis-steps /.

ومن ملامح التنظيم الإلهي أن هذه العمليّة –عمليّة فك الشفرة– بحاجةٍ إلى نظام تبريد، لا نقول: تحدث في مصانع عملاقة، ولكن في نواة خليّة لا يزيد حجمها عن ٦ ميكرو متر – الميكرومتر واحد على مليون من المتر –، وهذه التقنيّة الحيويّة مهمّة حتى لا يحترق شريط الحمض النووي أثناء هذه العمليّة السريعة[١].

إذن هذه عملية مُعقدة غيرُ قابلةٍ للاختزال Irreducible complexity، والتعقيد غير القابل للاختزال: هو نظام مُكوَّن من العديد من الأجزاء المتفاعلة المترابطة مع بعضها بشكلٍ جيد، والتي تسهم في الوظيفة الأساسية للنظام، بحيث إن إزالة أي جزء من هذه الأجزاء سيؤدي إلى توقف النظام عن العمل.. مثال ذلك: تروس الساعة فلابد أن تتواجد التروس معًا وفي وقت واحد وإلا لن تعمل الساعة فهذه منظومة غير قابلة للاختزال.

وبالمثل هذه العمليات المُعقدة المترابطة داخل نواة الخلية إما أن تنشأ مرة واحدة أو لا تنشأ..،فالافتقار لوظيفة واحدة يؤدي إلى توقُّف عملية تخليق البروتين بالكامل، وبالتالي لا يوجد ذلك الكائن الحي[٢].

وكل هذا يجري باستمرار في خلية حجمها ١ على ٥٠ من حجم النقطة في نهاية هذه الجملة.

وللإنسان أن يتساءل قبل كل ذلك: ما مصدر التشفير داخل الحمض النووي؟ فالتشفير عملية واعية غائية عقلانية، تهدف لتخزين المعلومات، لاستخدامها في المستقبل.!

كل هذه الأمور المُعقدة غير القابلة للاختزال تجعل الحديث عن صُدفوية نشأة الخلية مجرد لغو فارغ، ولذا يقول [ويليام ستوكس] William Stokes العالم الدارويني: " لو أحضرنا مليارات الكواكب مثل كوكب الأرض، وامتلأت كل هذه الكواكب عن آخرها بالأحماض الأمينية، وانتظرنا عليها مليارات السنين، فلن نحصل على بروتين واحد". [٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(3) The Origin Of Species Revisited.. W.R.Bird P.305.

إذن إنتاج بروتين واحد طبقا لويليام ستوكس William Stokes يتطلب مليارات الكواكب ممتلئة بالأحماض الأمينية، فما بالنا والخلية الحية يوجد بها آلاف البروتينات المُتخصصة، التي تعمل معًا في منظومة متكاملة، وليس مجرد بروتين واحد[١].

لقد أثبت العلم بوسائله المُتطورة مدى تعقيد الخلية، واحتياجها إلى قانون متكامل ومتوازن، وهذا بطبيعة الحال يقود إلى الإيمان بالله- تعالى - الخالق البارئ المصور .

لكن مَن قال بأن كل عالِم في الطبيعة موضوعي ومنصِف ينقاد لما تدلّ عليه التجارب والبحوث؟ ويتعامل معها بحياديّة؟ بين أيدينا مثالٌ لملحد شهير هو [ريتشارد داوكينز] *Richard Dawkins*، وهو عالم بيولوجي إلا أنَّ قناعاتِه الإلحادية جعلته يتبنّى أمورًا غير منطقيّة فرارًا من أية إلزامات تفرضها عليه الحقائق العلميّة، فاضطر للتأسيس لفلسفة الجين الأناني في كتاب يحمل نفس الاسم SELFISH GENE،وافترض في كتابه هذا أفكارًا غارقة في الأسطورة، والدجل، والشعوذة، من أجل إفراز حل بديل لمعضلة الخلق المباشر، فافترض أُسطورة الجين الأناني الحريص على ذاته، وعلى الانتقال من جيل لآخر[٢].

وكأن داوكينز لا يقبل فكرة الإله، والخلق المباشر، فافترض أسطورة الجين الإله.. وبالفعل هو يتحدث في كتابه عن مركزية الجين في الطبيعة، وكأن الجين بيده مقاليد الأمور، وأنَّ الكائنات الحية مُسخَّرة للجين، وتقوم بنقل الجين للأجيال التالية لا أكثر، وهذا إدخال للأُسطورة في العلم من أجل سحب البساط من تحت ناقدي الداروينية[٣].

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Protein.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/The_Selfish_Gene.

(3) http://science.jrank.org/pages/10160/Meme-Criticism-Memetic-Theory.html.

وللإنسـان أن يتساءل: ما الذي يدفع رجلًا علميًّا بيولوجيًّا مثل داوكينز لهذا التصرف الشاذ علميًّا؟ فهذه مسألة لا توجد نظرية علمية تدعمها، ولا فرضية، ولا حتى أكذوبة تؤيدها، فما الذي يدفع ريتشارد دواكينز نحو هذا النفق المُظلم؟[(١)].

ومن دواعي السفسطة أن يتساءل المرء: إذا كانت الجينـات بهذه المركزية في الطبيعة، ما الذي جعل الكائنات الحية تنتقل من مرحلة التكاثر اللاجنسي Asexual reproduction، الذي تحافظ فيه الجينات على نفسها تمامًا - حيث تنتقل من الُأم إلى الأبناء كما هي - إلى مرحلة التكاثر الجنسي Sexual reproduction، الذي تعجز فيه الجينات أن تُحافظ على نفسها بل تصير تابعة لاختيارات الإنزيمات أثناء عملية التلقيح ولا تنتقل كاملةً أبدًا إلى الأبناء؟[(٢)].

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:٢٣]

بل إن داوكينز لم يكتف بذلك في كتابه، فحاول تبرير وجود العقيدة الدينية عند جميع شعوب الأرض، حتى يخرج من مأزق التسليم بالغريزة الدينية، فافترض داوكينز وجود شيء يُدعى الميمات Memetics، وطبقا لتعريفه: فالميمات هي وحدة التناقل الثقافي بين الأجيال.. أي هناك ميم الدين، وميم العادات، وعن طريق هذه الميمات ينتقل الدين بين الأُمم جميعاً. وبداهةً لا يوجد في تاريخ العلم التجريبي شيء يُدعى ميمات.. فالميمات ليست عُضيات، ولا جسيمات، ولا ذرات... وإنما افتراض نظري مُجرَّد[(٣)].

ولا ندري إلى الآن كيف خمَّن داوكينز وجود مثل هذه الميمات أصلاً؟ وكيف أمكنه ربط الميمات المُعينة بالأوضاع الفكرية المُحددة؟ ثم كيف يتطرق داوكينز المادي إلى أشياء غير مادية لا توجد على الصبغيـات-الجينـات -؟ إننا بحق لا نجد مُبررًا واحدًا يسمح لداوكينز بالترويج لتلك الأساطير باسم العلم.

---

(١) المصدر السابق.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Asexual_reproduction.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/The_Selfish_Gene.

ولعل البرهان العلمي الحاسم في إبطال قضية الميمات، كان الحصول على خريطة الجينوم البشري، التي تم الانتهاء منها في عام ٢٠٠١، فقد تبيَّن مدى خرافة الميمات، والجين الأناني، حيث لم يعد للمسألة سَنَدٌ جينيٌ - صِبغيٌّ - تعتمد عليه، وأصبحت أثرًا بعد عين[١].

بل إنه تم تفنيد تلك الخرافة عمليًّا حتى قبل عمل خريطة الجينوم البشري، على يد أخصائيي علم نفس واجتماع، وعلم أعصاب الدماغ، فقد أثبت العلماء أن دجل داوكينز في كتابه الجين الأناني مجرد سلسلة من الافتراضات اللامنطقية، والتي أدت في الأخير إلى نتيجة مجنونة مُفادها أن البشر عبارة عن آلات نسخ للأفكار أو الميمات.. وكأن الإنسان تحت رحمة هذه الميمات[٢].

بل وللسفسطي الذي في مستوى سفسطة داوكينز أن يتساءل: إذا كان الأمر كله ميمات فلماذا ظهر الملحدون؟

وإذا كانت الميمات ثابتة عبر كل العصور، فما مصدرها؟، أليس هذا دليلًا آخر يمكن أن يستخدمه المتدينون في إثبات غريزة التدين؟

أيضا أليست هذه الميمات حُجة لوجود دليل الفطرة ماديًّا؟

لكن السؤال الواقعي، والمنطقي في القضية: لماذا الملحد يدعم الأسطورة ويرفض العلم؟

أيضًا لماذا يؤسس الملحد لفلسفة الميمات والجين الأناني، ويرفض الخلق المباشر، والتدين الغريزي؟

إن الميمات والجين الأناني ما هي إلا نظريات أسطورية بمقياس العلم يدعمها الملحد ريتشارد داوكنز.. وهكذا عندما يبتعد الإنسان عن الإله يفقد البوصلة، ويضل الاتجاه، ويتخبط في هلاوس من الأساطير ينسب لها المركزية، وشيئًا من القداسة، عسى أن يجد

---

(1) Dawkins' GOD: Genes, Memes, and the Meaning of Life... Alister McGrath.

(2) Benitez-Bribiesca, Luis (2001): Memetics: A dangerous idea. p. 29.

فيها بديلًا يحل مكان الإله ... يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان:٢٠].

الذرَّة آية من آيات الخلق

على عُمق كادريليون جزء من المتر من المادة " الكادريليون وحدة قياس أطوال يُعادل ١٠ أُس -١٥من المتر" يوجد عالم الإلكتروناتelectrons، وهو عالمٌ فسيحٌ جدًّا، يدور فيه الإلكترون حول نواة الذرة بسرعة ١٠٠٠ كيلو متر في الثانية(١).

ويدور الإلكترون في مدارات ثابتة ومنفصلة، ولا تتخلف عن بعضها البعض أبداً، وبالتالي لا يحدث التصادم..!!

إنها عملية خلق واعٍ؛ لأن الإلكترونات متطابقة تماماً، ومع ذلك تدور في مدارات مختلفة، وتتبع مسارات ثابتة دون إخفاقٍ ولا اصطدام.

وهذه السُّرعة الخاصة بالإلكترون - ١٠٠٠ كيلومتر في الثانية -، هي السرعة المثالية التي تُتيح للإلكترون الالتفاف حول النواة دون السقوط فيها.. لأن الإلكترون سالب الشُحنة، بينما بروتونات النواة protons موجبة الشحنة، وهذا يستدعي التجاذب بينهما، لكن هذه السرعة الرهيبة تتيح عدم التجاذب، وبالتالي عدم انهيار الذرة..!!

إن النموذج الذري يخضع لنظام بديع، لا يتخلف ولا يفسد.. مع أن الملليمتر الواحد به تريليونات الإلكترونات(٢).

فسبحان الخالق البارئ المُصور.. ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤].

والنموذج الذري يقتضي أن يكون عدد البروتونات معادلًا لعدد الإلكترونات حتى تستقر الذرة، وبالتالي يستقر الكون كله، كل هذا يجري في عالم غير واعٍ، المليارت منه لا تملأ النقطة في نهاية الجُملة(٣).

---

(1) http://www.britannica.com/EBchecked/topic/183374/electron.

(2) http://www.newton.dep.anl.gov/askasci/phy05/phy05351.htm.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Atom.

وداخل العالَم الذري نجد أن كل شيء يتحرك بتوازن مُتقن، فالبروتونات متشابهة الشحنة المُفترَض فيها أن تتنافر داخل نواة الذرة، ومع ذلك هي تتغلب على هذه المعضلة بالقُوى النووية القوية strong nuclear force فتتماسك ولا تتنافر(١).

ويوجد سبعة أغلفة إلكترونية حول نواة الذرة، ولكل غلاف عدد مُحدد من الإلكترونات التي لا تتغير أبداً.. وهذا النظام ينطبق على كل الذرات في الكون، فالكون مبني بخُطة واحدة، ومن خامة واحدة.

كل هذه الحسابات الدقيقة للتوازن الذري تجري كلَّ لحظةٍ في كل جزء من مليارات الأجزاء من جسدك، ومن الطاولة أمامك، ومن شاشة الحاسوب التي تُطالِع من خلالها الآن، ومن عقلك الذي تستوعب به هذه الكلمات، ومن بصرك، ومن لسانك، وجميع أجزاء الكون تكشف لنا عن تدبير مالك الملك عظيم الخلق صاحب الحِكمة والإرادة المطلقة الذي لا يترك ولو ذرة واحدة عاطلة في الكون، بل الكل(الكون) يدور ويُسبّح بحمده آناء الليل وأطراف النهار: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء:٤٤].

ومن العجيب أنَّ ما نراه من تنوّع الألوان والمواد والعناصر، وبل كل طاقة، وتفاعل يجري في الكون هو مُجرد تغير في مستوى الإلكترون، وفي سريانه، وفي شكل الذرة وارتباطها بغيرها من الذرات، لتشكيل جُزيئات ومُركَّبات، من خلال الارتباطات الأيونية Ionic bonds أو الكيميائية Chemical bonds أو التساهمية Covalent bonds، تُجرَي خلالها أنواع من المُقايضة على الإلكترونات بين الذرات المتعاقدة، أو تتقاسمها في أغلفتها الخارجية، من أجل القَبول بالترابط مع الذرات الأُخرى(٢).

وحتى اليوم يواجِه العلم هذه الترابطات بتعميمية شديدة؛ لأنه لم يعرف بعد: لماذا تسلك الذرات هذا السلوك العقلاني الرشيد؟

---

(1) http://aether.lbl.gov/elements/stellar/strong/strong.html.

(2) http://www.ndt -ed.org /Education Resources /Community College /Materials /Structure/ bonds.htm.

ولماذا تتقيد الذرات بهذا المبدأ التعاقدي الصارم لمقايضة الإلكترونات، أو تقاسمها؟

ولماذا تقبل الذرة هذا التعاقد، وترفض تعاقدًا آخر؟

بل ويتحدث العلم عن مُعجزة الرفض، حيث ترفض الذرة أن تتعاقد مع ذرّةٍ ما، في حين تقبل التعاقد مع أُخرى[١].

ولولا هذا الرفض لأصبحت الحياة مستحيلة، لأن الذرة لو قَبِلت كل تعاقد فإن مادة أصابعك ستتفاعل مع لوحة المفاتيح وستلتصق بها، وسيظهر مُركبٌ جديد منهما، ومادة الماء ستتفاعل مع الكوب ويظهر جُزيء جديد، ومادة مكتبك ستتفاعل مع السيراميك وتنشأ مادة جديدة، وهكذا إلى ما لا نهاية، وهذا يعني استحالة الحياة، فرفض التعاقد يُعادل في إعجازه قَبول التعاقد.

وإذا جال الإنسان بناظره إلى صيغة العقد بين الذرات، لتكوين المُركَّبات والجُزيئات، سيكتشف أنَّ التعاقد يكون إلى أجَلٍ مُحدد، فمثلاً: التعاقد بين الهيدروجين والأوكسجين لتكوين جُزيء الماء، هو تعاقد هيدروجيني Hydrogen Bonding، حيث يتفكك هذا التعاقد ثم يترابط مُجددًا مليارات المرات في الثانية الواحدة، مما يُتيح الخاصية السائلة العجيبة للماء، فعُمر التعاقد بين الأوكسجين والهيدروجين يجب أن يستمر جزء من مائة بليون جزء من الثانية، ثم ينحل ثم يعود للتعاقد فوراً، وهذا يجعل من الماء سائلاً[٢].

ومن المدهش أنَّ صيغة هذا الترابط الهيدروجيني سريع التحلل تُحقق معجزة أُخرى في البحار والمحيطات، حيث تتيح هذه الصيغة من الترابط للماء أنْ يُصبح أكثر لزوجة في الحالة السائلة، فإذا تحوَّل إلى الحالة الصلبة، قلَّت لزوجته، وطفا لأعلى وأتاح لملايين الأحياء بأسفله أن تعيش في أمان.

إن قوانين الفيزياء، وقوانين الكيمياء، وقوانين المادة التي تحكم هذا النموذج الذرّي العجيب، الغاية في الإتقان تشهد بالتوازن المُعجِز داخل هذا العالم الذي يفتقد إلى الوعي، فلا قوة إلا قوة الله في الحقيقة ولا حِكمة إلا حِكمته وكل إرادة منه سبحانه، والعلم لن يخترع

---

(1) http://chemed.chem.purdue.edu/genchem/topicreview/bp/ch8/valence.html.

(2) http://www1.lsbu.ac.uk/water/hbond.html.

قُوى كونية جديدة ولن يُضيف توازنات مُختلفة عما أودعه الله في أول ذرة في أول لحظة من خلق الكون، وكل ما في وسع العلم التجريبي أنْ يفعله هو أن يُطلق على هذه التوازنات مُسمّيـات وأن يُبيِّن إعجاز التوازن فيها.

فمَن يستحق الخضوع حقًّا هو خالق تلك المنظومة العملاقة المتوازنة، سبحانه القوي العزيز الذي أمرنا أنْ نسيرَ في الأرض فننظرَ كيف بدأ الخلق: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠].

في البدء كان التمثيل الضوئي

ظاهرة التمثيل الضوئي– البنـاء الضوئي – photosynthesis في النبات، كانت أول ظاهرة حيوية تنشـأ على الأرض – طبقـًا للفلسفة الداروينيـة –[(١)].

وطالما أنها أولُ الظواهر الحيوية بزوغـاً، فالمُفترَض أنْ تكون ظاهرة بسيطة، ومُفككـة إلى أقصى حد، ويُمكن إعادة تجربتها معمليًّا بمواد أوليـة مرات عديدة، لكن هذه الظاهرة ما زال قسم كبيـر منها إلى اليوم عصِيًّا على الفهم العلمي، وفي أعلى درجـات التعقيد..!![(٢)].

وإذا نظرنا إلى طحلب السيانو باكتريا cyanobacteria أول كائن حي على الإطلاق – وفقًا لأدبيات التطور –، سنكتشف أن ظاهرة التمثيل الضوئي ارتبطت به عبر حُبيبـات اليخضـور – الكلوروفيـل Chlorophyll– التي تملأ جسده[(٣)].

وحبيبة اليخضـور الموجودة في السيانو باكتريا، هي نفسها حبيبة اليخضور التي توجد في جميع أشجار ونباتات العالم إلى الآن، وتعمل بنفس القدر من الكفاءة والجاهزية منذ البدء.![(٤)].

وداخل هذه الحُبيبة التي يبلغ حجمها واحد بالألف من المليمتر، يوجد مائة مكوِّن عضوي يشمل الإنزيمات والريبوسومات ribosomes، والمواد الكيميائية الكفيلة بإتمام عملية البناء الضوئي، حيث تجري سلسلة طويلة من التفاعلات الكيميائية في زمن قياسي خلال جزء من الألف من الثانية [(٥)].

وظاهرٌ جليٌّ جدًّا أنَّ طحلبَ السيانو باكتريا يَعرِفُ طريقة التمثيل الضوئي بمثاليةٍ تامة، وبمنتهى الكفاءة، ويَعرِف كيف يتكاثر، والطريقة المُثلى للتغذية، ومدى حاجته للمزيد من

---

(1) http://www2.estrellamountain.edu/faculty/farabee/BIOBK/biobookps.html.

(2) http://www2.estrellamountain.edu/faculty/farabee/BIOBK/biobookps.html.

(3) http://www.ucmp.berkeley.edu/bacteria/cyanolh.html.

(4) http://mmbr.asm.org/content/62/3/667.full.

(5) http://biology.clc.uc.edu/courses/bio104/photosyn.htm.

ثاني أوكسيد الكربون الموجود بالجو، وجميع المعلومات التي يحتاجها مُسجَّلة ومُشفَّرة في شريط الـDNA الخاص به، ويقوم بتعبئة المواليد الجُدد بالجينات بشكل مثالي[١].

والحق أن افتراض هذا التعقيد في أول كائن حي يسكن الأرض، ثم افتراض عامل المصادفة في نشأته، هو ضرب من الخيال العلمي لا قِبل للاحتمالات الرياضية به؛ لأنَّ السيانوباكتريا يشتمل على نصف مليون قاعدة نيتروجينية nitrogen base تقريباً[٢].

وأي تبديل لقاعدة نيتروجينية مكان قاعدة أُخرى، أو اختفاء إحدى القواعد، أو ظهور قاعدة إضافية، هذا يعني فشل منظومة التمثيل الضوئي في الغالب، وبالتالي موت الكائن، وعليه فالمطلوب نصف مليون قاعدة في المكان الصحيح، وبحساب الاحتمالات فاحتمال ظهور طحلب واحد من السيانوباكتريا هو ١٠ أُس ٢٥٠,٠٠٠ –لوجود نصف مليون قاعدة نيتروجينية بترتيب ثابت –، في حين أنَّ عدد ذرات الكون كُله ١٠ أُس ٨٠، أي أننا نحتاج إلى ملء الكون كله مليارات مليارات مليارات المرات من الكائنات المُشوهة الميتة، غير الصحيحة في ترتيب القواعد النيتروجينية، من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم من السيانوباكتريا.

وعلينا قبل إجراء هذا الاحتمال الخيالي أنْ نفترض أننا تجاهلنا مُعضلة الحياة – لأنَّ الحياة ليست مجرد مصفوفة من القواعد النيتروجينية المتلاصقة –، وأنْ نفترض أيضًا أننا تجاهلنا معضلة التحول الحيوي morphogenesis – حيث إن مصفوفة القواعد النيتروجينية لا تعني وظيفة بحدّ ذاتها، فكتابة مواصفات الطول مهما كانت دقيقة، لا تتحول إلى صفة الطول، وهذا ما يُعرف بمعضلة التحول الحيوي –.

والخلاصة كما ذكرنا آنفـًا: المصادفة في نشأة السيانو باكتريا هي الخيال العلمي، لكن

✍السؤال المطروح هنا:

---

(1) Cyanophyceae. Access Science. Retrieved 21 April 2011.

(2) Journal of Clinical Biochemistry and Nutrition 51 (3): 227–234.

كيف قام هذا الكائن الأول بوضع هذه المصفوفة من القواعد النيتروجينية بهذه الصيغة التي أنتجت حياة؟

ثم كيف قام بتشفير المعلومات داخل جسده – في شريط ال DNA –؟

ثم ما أدراه بآلية التشفير؟

وكيف تسنَّى له استخدام منظومة مُعقدة كاليخضور منذ البدء؟

وقبل ذلك كيف قام بتخصيص إنزيمات وريبوسومات ومواد كيميائية مستقلة ليستخدمها اليخضور فيما بعد؟

حيث يوجد قرابة ١٠٠ عنصر ضروري لعملية التمثيل الضوئي، ولن يُفيد التمثيل الضوئي في حال فُقِد واحد منها..!!

ومِن المستحيل أنْ تنشأ جميع العناصر دُفعةً واحدة.. ولا معنى لها إذا ظهرت فرادى...!!

مَن الذي وضع الآلية لمثل هذا التخطيط الذي لا يُضاهَى في منطقة مجهرية صغيرة جدًّا؟

وتبعًا لذلك لن يكون هناك سيانو باكتريا بدون شريط حمض نووي DNA، ولن يظهر شريط الحمض النووي بدون معرفة ما يريد السيانو باكتريا المالك للحمض النووي..!

إذن اللعبة الداروينية أعلنت سخافتها عند أول كائن افترضت ظهوره.

وسُبحان الله من عجائب الأمور أنَّ حُبَيبة اليخضور تلك التي يبلغ حجمُها واحدا بالألف من الملليمتر، ويبلغ جدارُها واحدا بالمائة مليون من المتر تُمثل رئة العالم أجمع، حيث تحصل على ثاني أوكسيد الكربون من الجو، وتطرح الأوكسجين كمُنتج ثانوي، ولا سبيل للأوكسجين إلا عبر حُبيبة اليخضور[١].

---

(١) Charles Henrickson (2005). Chemistry. Cliffs Notes

ويطرح العالم سنويًّا قرابة ١٥٠ بليون طن ثاني أوكسيد كربون، عبر تنفس الكائنات الحية، ومن الوقود الذي يستخدمه البشر في المصانع والسيارات، والمطلوب من حُبَيبات اليخضور المجهرية تحمُّل كل هذا العِبء، وإنتاج الغذاء أيضًا[1].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]

---

(1)http://www.cbsnews.com/news/carbon-dioxide-emissions-rise-to-2 million-pounds-per-second.

ما قبل الانفجار الكبير.. السُّؤال المحرَّم في العلم

في عام ١٩٢٧ وضع عالِم الفيزياء الألماني [فيرنر هايزنبرج] Werner Heisenberg مبدأ عدم اليقين أو مبدأ الريبة uncertainty principle، وهو مبدأ فيزيائي من المبادئ التي تحكم الكون، ويُعَد أحد أهم أُسس الفيزياء الحديثة[١].

يَنُص مبدأ عدم اليقين على أنه: "يستحيل تحديد موقع وسُرعة الإلكترون electron في وقتٍ واحد "، فنحن ممنوعون من معرفة موقع وسُرعة الجسيم في آنٍ واحد، وليس لنا أنْ نختار إلا نِصف الحقيقة، إمـا السُّرعة أو الموقع، أما الحقيقة الكاملة فنحن ممنوعون من معرفتهـا[٢].

يُعَدُّ مبدأ عدم اليقين قانونًا صارمًا من قوانين الطبيعة، ولا يرتبط بأي شكل من الأشكال ببعض القصور الموجود في أجهزتنا، أو بقدراتنا على الرصد، بل هو قانون كوني، وطِبقًا للقانون لا يمكن تحديد خاصيتين مُقاسَتين من خواص جملة كمومية quanta، إلا ضِمن حدود مُعينة من الدِقة، أي أن تحديد أحد الخاصيّتين يستتبع عدم تأكد كبير في قياس الخاصية الأخرى، وبالتالي هو مبدأ يُعلِّمنا أنه ليس في وسع الإنسان إلا المعرفة الجُزئية، أما المعرفة الكُلية فهذه حكمة لم يُسمح لنا أن نطَّلِع عليهـا.

ولذا فهذا المبدأ من أعظم المبادئ أثرًا في تاريخ العلم الحديث، حيث إنه يضع حدًا لقُدرة الإنسان على قياس الأشياء، وكان لهذا المبدأ تأثيرٌ فلسفيٌّ عميقُ الأثر على العقل العِلمي، يقول الفيزيائي النمساوي [شرودينجر] Schrödinger " لقد تم الحصول على صورة معتدلة لهذا العالم، بتكاليف باهظة، ولم يحدث هذا إلا بعد أن انتزعنا أنفسنا خارج الصورة، وتراجعنا إلى موقع المراقبين الذين لا مصلحة لهم"[٣].

---

(1) http://hyperphysics.phy-astr.gsu.edu/hbase/uncer.html.

(2) http://www.pbs.org/wgbh/aso/databank/entries/dp27un.html.

(٣) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية.. تأليف عالم الفيزياء الروسي "ليونيد بونوماريف".. ص٢٠٣.

وبالتالي فالفيزياء التجريبية أكَّدت لنا أنه بالتجربة توجد حُدود مُحرَّمة على العلم، كما أثبتت الرياضيـات نفسَ الأمر فيما يُعرف بمبرهنة جودل Gödel Incompleteness Theorem، وتنُص مبرهنة جودل على أنه: "ما من نظام رياضي متناسق إلا ويحوى عبارة رياضية واحدة على الأقل صحيحة، ولكن لا يمكن برهنة صِحتها بدءًا من مُسلمات النظام الرياضي"[١].

وعلى هذا، فحَسَب مُبرهنة جودل، لا يوجد نظامٌ رياضي كامل إذا كان متناسقًا، وقد أربكت مبرهنة جودل مَن يجعلون الحقيقة حِكرًا على ما يُقاس في المعمل أو ما يُستنتج رياضيًّا، فالتجريد الرياضي مع أنه أكثر العلوم البشرية إتقانًا ونظامًا، لم يَعُدْ نظاما مُغلقا، ولم يبق في الإمكان البرهنة عليه من داخله.

إذن العلم لا يقبل أن يكون الحَكمَ الأخيرَ على القضية الكُلية في الوجود؛ لأنه بذلك يكون مثل لابس ثوبي زور، وكالمُتلبس بما لم يُعط، والذي يَطلُب من العلم أن يُجيب عن الأسئلة الكُلية في الوجود، يكون قد قرَّر مُسبقًا أن يقف في صدام مع العقل والعلم معًا.

وعلى ضوء ما سبق ذِكره، سننتقل إلى النقاش حول أكبر لغز يجول بأذهان العُلماء المعاصرين وهو: ماذا كان قبل الانفجـار الكبير، الذي نشأ منه الكون Big Bang؟

في البداية، هذا سؤال غير علمي إطلاقًا، ولا يقع جوابه في إطار العلم التجريبي، فالعلم التجريبي يخضع لحدود الزمان والمكان، وما قبل الانفجار الكبير يقع خارج حدود الزمان والمكان، ولذا هو سؤال غير علمي، ولم ولن يدخل دائرة العلم التجريبي.

ولكن مَن يتأمل في السؤال يجد أنه سؤال عقلي مائة بالمائة، بل وفي قمة العقلية، بل إن العقل يُلِحُّ في البحث عن إجابة، وهنا يكمن الفارق الجوهري بين حدود العِلم وحدود العقل، فهذا سؤال مرفوض علميًّا، يقبع خارج إطار العلم التجريبي المادي، ومع ذلك هو سؤال صحيح عقليـًّا.

---

(١) http://plato.stanford.edu/entries/goedel-incompleteness /.

وهنا يفترق العلم والعقل منذ اللحظة الأُولى لنشأة الكون، ويُقرِّر العلم حدوده التي يرتضي بها مُرغمًا.

بتعبير آخر، العلم ذاته هو الذي يُقِّر بأن ما قبل الانفجـار الكبير يُعد حِجـرًا محجـورًا، لا يجوز للعلم أن يُعطِي فيه رأيًا ولو جدليًّا؛ لأنه حين يفعل ذلك يكون قد فقَد أهم صفاته التي تُميّزه، فالعلم في صيغته النهائية هو: "ملاحظة الظواهر بُغية تفسيرها"، وبالتالي فالعلم مُقيـَّد بحدود الزمان والمكان والمادة والطاقة، وما قبل الانفجـار الكبير لا زمان ولا مكان ولا مادة ولا طاقة، وكل الطاقة ظهرت فجأة في لحظة الانفجـار الكبير[١].

وهنا يجب أن يجف القلم، ويتوقف العلم التجريبي مُعترفـًا بقصورِه، فالتفكير في: ماذا كان قبل الانفجار الكبير؟ يؤدي بداهةً إلى عالم جاء من العدم، وهو ما نـادت به الكُتب الدينيـة.

ففكرة بداية الكون في الزمان، هي فكرة تُقلِق أي ملحد بسبب لوازمها اللاهوتية[٢].

ولذا كان الفيزيائي الملحد [ستيفن واينبرج] Steven Weinberg يتمنى نظرية الكون الثابت الأزلي، لأنها أكثر جاذبية، وأبعد عمَّـا نادت به الأديان[٣].

لكن أُمنيات ستيفن واينبرج اصطدمت أول ما اصطدمت بحائط العلم نفسه، ولم يعد لها مكان داخل العلم المادي، يقول الفيزيائي البريطاني [دينيس شياما] DENNIS SCAIMA "لم أُدافع عن نظرية الكون المُستقر لكونها صحيحة، بل لرغبتي في كونها صحيحة، ولكن بعد أن تراكمت الأدلة فقد تبين لنا أن اللعبة قد انتهت"[٤].

---

(١) أليكس فلبينكو alex filippenko عالم الفيزياء الفلكية بجامعة كاليفورنيا.. video source.

(٢) الخالق والفلكيون..جاسترو.. ص٢٩.

(٣) عالم داخل العالم.. نيل تورروك.. ص ٢٢٦.

(4) Introduction..The Unity of the Universe. N.Y., Doubleday ..Dennis William Sciama..introduction.

فاللعبة قد انتهت فعلاً، وبذلك يعترف[أنتوني فلو] Antony Garrard Newton Flew فيلسوف الإلحاد في القرن العشرين قائلًا: "يقولون إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية، وأنا سأُدلي باعترافي.. إن نموذج الانفجار الكبير شيء محرج جدًّا بالنسبة للملحدين، ذلك لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية".[١].

وكلما توسعت مداركنا، كلما علِمنا أننا يستحيل أن نكون أسياد مصائرنا، ومُعطياتنا تؤكد لنا دومًا أننا لن نعلم إلا ما يشاء الله لنا فقط أنْ نعلمَه، ولن نتجاوز ذلك سواء أشئنا أم أبينا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

---

(١) Henry Margentau, Roy A. Vargesse. Cosmos, Bios, Theos. La Salle Il: Open Court Publishing, 1992, 241.

نظام التشفير داخل نواة الخلية، هو الخلق المباشر

مع دخول عام ١٩٥٥ كان العالَم على موعِد مع أعظم الكُشوف التي غيَّرت مجرى العلم، فقد قام العالمان [جيمس واطسون] James Watson و[فرانسيس كريك] Francis Crick، باكتشاف بنية الحمض النووي DNA داخل نواة الخلية، وقبل ذلك التاريخ كان يُنظر إلى الخلية على أنها كُتلة بلازمية هُلامية Protoplasmic mass لا أكثر(١).

وقد تبيَّن أن جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي ليقوم بوظائفه الحيوية، توجد مُشفَّرة في نواة الخلية داخل ذلك الشريط النووي DNA، بنظام تشفير رباعي C G T A، وعندما يحتاج الكائن الحي إلى بروتين ما، للقيام بوظيفة حيوية، تبدأ الخلية في فك التشفير في الجزء المطلوب من شريط الحمض النووي DNA، لإنتاج البروتين المحدَد الذي سيقوم بتلك الوظيفة الحيوية(٢).

ويوجد داخل نواة كل خلية في الإنسان ثلاثة مليارات نيوكليوتيد nucleotide - النيوكليوتيدة هي الوحدة الأساسية لبناء شريط الحمض النووي DNA-، أي ثلاثة مليارات حرف بنظام التشفير الرباعي C G T A،وتنضغط كل هذه القاعدة المعلوماتية العملاقة في مساحة ١ على ١٠٠٠ من الملليمتر، مع أننا لو قُمنا بنسخها على الورق، فإنها تملأ ١٠٠٠ مجلد بواقع ٥٠٠ صفحة لكل مجلد(٣).

تُتيح المعلومات المُسجلة داخل شريط الحمض النووي DNA، كل البروتينات التي يحتاجها الإنسان، ويتحدد من خلالها كل خصائصه، مثل معلومات الطول والملامح، ولون العين، وملمس الشعر، وشكل البشرة، وشبكة الخلايا العصبية، وبلازما الدم، وكل معلومة داخل جسد الإنسان يحتاجها طيلة عمره، كل هذه المعلومات داخل شريط مُلتف على نفسه

---

(1) http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/medicine/laureates/1962/watson-bio.html.

(2) http://www.sciencedaily.com/articles/p/protein_biosynthesis.htm

(3) Wall Street Journal" article: Storing Digital Data in DNA.. jan. 2013".

١٠٠ ألف لفة، ولو قُمنا بفرد هذا الشريط فإن طوله سيتجاوز المترين، وسُمكه النانو مترين -النانو متر ١٠ أُس -٩ من المتر-، ولو افترضنا أن سُمك الشريط صار مثل شعرة الرأس فإن طوله سيتجاوز ١٠٠ ألف كيلو متر، ويتم طي هذا الشريط بحيث يقبع في نواة الخلية، ولا ننسى أن خمسين خلية كاملة لن تملأ هذه النقطة في نهاية الجُملة.

وأي عطب - تشوه -في نيوكليوتيدة واحدة من الثلاثة مليارات نيوكليوتيدة، أو تبدُّل واحدة مكان أخرى، يؤدي إلى خلل في وظيفة حيوية من وظائف الجسم[(١)].

وأشهر مثال على تشوُّه الجسم كله بنيوكلوتيدة واحدة، هو الجين المسئول عن سرطان الثدي، حيث يوجد بهذا الجين ٨ آلاف نيوكليوتيدة، وفي واحدة منها إذا وُجدت G بدلا من T يحدث السرطان بنسبة ٨٥٪، ويجري فحص جين السرطان في معامل الأبحاث المُتخصصة للبحث عن هذه القاعدة النيتروجينية G في هذا المكان[(٢)].

وشركة ميرياد لأبحاث الجينات Myriad Genetics، هي التي اكتشفت الحرف G في هذا المكان، وبالتالي هي تملك براءة اختراع، وتقوم حصريًّا بتحليل سرطان الثدي BRCA1، مقابل ١٤٠٠ دولار، وتربح من ذلك أموالًا طائلة، لمجرد رصد هذا الحرف[(٣)].

ولكن من عظيم رحمة الله، أنه حتى في الحالة النادرة التي يتبدل فيها حرف مكان آخر، تظل هذه مشكلة كامنة لا يُظهرها إلا نمطُ حياةٍ غير سوي، مثل تعاطي الهرمونات الأُنثوية بكثافة - حبوب منع الحمل-، أو إهمال الرضاعة الطبيعية، أو عدم الإنجاب، فهذه القاعدة النيتروجينية كأنها تحشو مُسدس عدوك دوماً، لكن مَن يضغط على الزناد هو نمط حياتك أنت.

---

(1) http://www.geneinfinity.org/sp/sp_nucdatabases.html.

(2) http://ghr.nlm.nih.gov/condition/breast-cancer

(3) https://www.myriad.com /

مما سبق يتضح أن الجسم يحتاج إلى ثلاثة مليارات قاعدة نيتروجينية في كل خلية، بترتيب وتناسق غاية في الدقة، وهذا الأمر يشمل ١٠٠ تريليون خلية، هي عدد الخلايا في جسم الإنسان، هل يُعقل أن هذا الترتيب صُدفوي أو عشوائي؟

ثم كيف للصدفة أن تُنشئ أنظمة تشفير وتُحدد المطلوب مُستقبلًا وبدقة متناهية؟

فالتشفير عملية في غاية الذكاء، والإعداد للمستقبل، والضبط بعناية، وتشمل عملية التشفير تخزين المعلومات، ونقلها وحفظها، واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة، وليس مجرد التشفير.

هذا التشفير يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن ربنا وحده الذي أعطى كل شيء خلْقَه، وصورته وهيئته، بمنتهى الدقة والكفاءة.. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠].

بل إن عملية التشفير تفترض معضلة أكبر ولُغزًا أعمق، فالقاعدة المعلوماتية كالكلمات المطبوعة على ورق، كالشِفرات المضغوطة على أُسطوانة CD، تحمل أدق تفاصيل الكائن الحي، لكنها تظل مجرد شَفراتٍ ومعلومات..، كيف تنتقل هذه الشفرات إلى تشكيل الكائن على هيئته الحقيقية؟

كيف تتحول القاعدة المعلوماتية إلى وجود حقيقي؟

كيف تتحول معلومات نشرح فيها هيئة إنسان، مهما بلغت تفاصيلها ودقتها، إلى إنسان حقيقي (من لحم ودم)!؟

ويبقى التساؤل الأهم: مَن الذي وضع الشَّفرة encoding قَبل فك التشفير decoding؟

ومن نافلة القول أنَّ الحمض النووي داخل نواة الخلية يعمل بمساعدة آلاف الإنزيمات enzymes، والتي هي أيضا بروتينات تتواجد معلوماتها مُشفرة داخل ذلك الحمض النووي، ولو ظهر الحمض النووي بدون إنزيماته فلن يعمل، ولن تُنسخ منه معلومة واحدة، ولو ظهرت الإنزيمات وحدها فلا معنى لها.

ولمزيدٍ من التفصيل في هذا الشأن نقول: إنَّ أيَّ وظيفة حيوية يمارسها الكائن الحي تتطلبُ تشفيرَ معلومات تلك الوظيفة داخل شريط الحمض النووي، وأيضًا تشفيرَ الإنزيمات التي ستقوم بنسخ تلك المعلومات من الشريط، وأيضًا تشفيرَ الإنزيمات التي ستقوم بنقل تلك المعلومات إلى مكان تخليق البروتين - الذي سيقوم بالوظيفة الحيوية-، وأيضًا تشفيرَ الإنزيمات التي ستقوم بطي الشريط بعد الحصول على المعلومات المطلوبة، وأيضًا تشفيرَ الإنزيمات التي ستقوم بتأمين رحلة وصول البروتين إلى مكان عمله المطلوب، وفي النهاية يجب أن تخرج كلُّ تلك الإنزيمات المشفرة المتخصصة في الوقت المُحدد، وفي المكان المحدد، عبر إنزيمات أخرى تحدد تلك المهام[1].

إنه نظامٌ على أعلى درجـات التعقيد، والدقة، والضبط بعناية، لا بد أن ينشـأ متكاملًا وفي لحظة واحدة، لا مجال فيها للصدفة أو التدرج..، وهذا النظام هِبة الخالق الذي أمرنا أنْ ننظرَ إلى عجيب صُنعِه، وأنْ نتدبرَ كيف بدأ الخلق.. ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠].

---

(1) http://www.proteinsynthesis.org/protein-synthesis-steps /.

الفَصْلُ السَّابِعُ

أصول الاعتقاد

قواعد الرد على الإلحاد وثبوت النبوات

(القاعدة الأولى):

النزاع بين الرسل وأقوامهم إنما كان في توحيد الألوهية "إفراد الله بالعبادة "، لا في توحيد الربوبية "إفراد الله بالخلق " ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك.

الشرح: يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: «إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين: مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الأولياء فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان، أو غير ذلك فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»[(١)].

وهذا القاعدة هامة جدًّا في الرد على شبهة تعدد الآلهة قديمًا واختلاف الآلهة وظن الملحد أن هؤلاء يتخذون المنحوتات والآصنام آلهة من دون الله.

فلا يكاد يوجد نزاع بين البشر أن الله الخالق المدبر الرزاق الواحد الأحد هو الذي يحاول أهل الأديان جميعًا إخلاص العبادة له، وما التماثيل والمعبودات والمنحوتات والآلهة والأصنام - يوجد حاليا أربعة آلاف من الآلهة في الهند - ليست كلها إلا وسائل تقربهم إلى الله زُلفى، ومع أنهم كفروا باعتقادهم هذا إلا أنها تؤكد على أن أصل الأديان والفِطر واحد.

ولذا يعترف [ول ديورانت] صاحب قصة الحضارة بهذه القاعدة قائلا.." . في التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند أن: النتيجة العامة التي انتهت إليها اللجنة من

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/ ٣٥٩.

البحث في أربعة آلاف من الآلهة في الهند هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى"[١].

(**القاعدة الثانية**):

الفطرة في أجلى تعريفاتها: (هي خِلقة مُقتضية للتوحيد)

الشرح: السعي للتوحيد وإفراد الله بالخلق هو إلزام ذاتي وهذا ذكرناه في القاعدة السابقة لكن ما يزيد عليه في هذه القاعدة أنَّ النفس الإنسانية تميل إلى إفراد الله بالعبادة لا الخلق وحده، فحتى النصارى المُثلثة يرون أنَّ الأقانيم الثلاثة صورة للإله الواحد ومع ما في الأمر من تضارب وتخبط إلا أنهم اختاروا هذا الطريق الوعر " ثلاثة في واحد"؛ لأنه أقرب للفطرة ولا يصادمها، وإلا فالقول بالأقانيم الثلاثة في ثلاثة آلهة أيسر وأسهل، إلا أنه يصدم الذوق التوحيدي الوجودي " الفطرة المقتضية للتوحيد ".

(**القاعدة الثالثة**):

مَن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقًا في كل ما يخبر به عن الله[٢].

الشرح: هذه القاعدة مفيدة جدًّا في توقيف الحوار مع الملحدين حول فروع الشريعة؛ لأنه حوار لا ينتهي، ولو سلَّم الملحد بصدق النبي لتوقفت كل الحوارات الجانبية فمَن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقًا في كل ما يخبر به عن الله، فيجب أن يبدأ الحوار مع الملحد بإثبات النبوة في أصلها أولاً.!

(**القاعدة الرابعة**):

ما من طريق صحيح يُثبت نبوة موسى أو عيسى أو أيَّ نبيٍ كان من الأنبياء إلا ويُثبت نبوة محمد بطريق الأَوْلى[٣].

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، مجلد ٣، ص٢٠٩.

(٢) الجواب الصحيح، مجلد ٢، ص٣٤.

(٣) الجواب الصحيح، مجلد ٢، ص٢٢.

الشرح: لا يمكن التصديق بنبوة نبي من الأنبياء مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذه القاعدة هامة في الرد على أهل الملل، إلا أنها أيضًا تؤكد للملحد أن طريق الأنبياء واحد وأن ظاهرة النبوة ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام واستمرار وبالكيفية نفسها وهذا يُعد شاهدا علميًّا يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها.

وإذا تفاضل الأنبياء في الكتب والأُمم والشرائع والمعجزات، فلن يخفى إلا على مفرط في الجهل والظلم أن نبينا أعلى الخلق قدمًا بقرآنه وأمته وشريعته الكاملة ومعجزاته.. ولو أنَّ حُكمَ أحد الشيئين حكمُ مثلِهِ فكيف بما هو أولى منه؟، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(القاعدة الخامسة):

إن الإقرار بوجود ظاهرة ما لا يلغي الاحتياج إلى تفسيرها

الشرح: تصور إنسانًا حُكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، وقد تراص عشرة جنود ماهرين أمامه في طابور لإطلاق النار، وأطلق كل منهم طلقته، لكنهم لم يصيبوه. هل يكفي أن نقول: مِن الطبيعي أنهم لم يُصيبوه بدليل أنه لم يمت، أم لابد أن نبحث عن أسباب فشل هؤلاء الجنود في إصابة الرجل؟

إن الإقرار بوجود ظاهرة ما لا يلغي الاحتياج إلى تفسيرها.

وهذه المغالطة يستخدمها الملحدون كثيرًا في حواراتهم كحل أخير للهروب من حجة العناية وحجة الخلق وحجة التصميم وحجة الإيجاد وحجة السببية وغيرها من الحجج القاطعة، وهذه المُغالطة يمكن أن نُسميها مغالطة الجنود الفشلة، وتحدث عنها بإيجاز د. عمرو شريف في أحد كتبه.. والخلاصة فالإقرار بوجود ظاهرة ما لا يلغي الاحتياج إلى تفسيرها.

(القاعدة السادسة):

الربوبية هم طائفة عصرانية من المُعَطلة القدامي

الشرح: الربوبية هم طائفة عصرانية من المُعَطلة القدامى، يثبتون الخلق لله ثم ينزعون عنه بعد ذلك كل شيء.. يوجدونه في الخلق ويصرفونه بعد ذلك عن كل شيء ويصرفون عنه أيضًا كل شيء.. هذه هي بداية الربوبية ونهايتها وخلاصتها.

(القاعدة السابعة):

ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة فمُدَّعِي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمُبشَّرين قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن[١].

الشرح: قد يُعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل تدل على صدقه ويُعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترن بخبره يعلم بها صدقه.. وكذلك أمور الكاذب وأحواله لا تدل إلا على كذبه وإذا كان المرء كاذبًا لابد أن يظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه ما يناسب ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كثير من الناس يعلم صدقَ المُخبر بلا آيةٍ البتة،..وموسى ابن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم: إن الله أرسلني. علموا صدقه قبل أنْ يُظهرَ لهم الآيات، وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل، قال: هذا هو الناموس الذي يأتي موسى. وكذلك النجاشي وأبو بكر علموا صدقه علمًا ضروريًّا لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علمًا ضروريًّا بأنه صادق.. وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَن هو أصدق الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني»[٢].

(القاعدة الثامنة):

---

(١) ثبوات النبوات عقلًا ونقلًا، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد يسري سلامة، دار ابن الجوزي، ص٥٧٣.

(٢) المصدر السابق.

الإلحاد يُحرر أتباعه من أية أعباء أخلاقية - بإطلاقها -

الشرح: تقييم السلوك الإلحادي على أساس قيمي أخلاقي هو تقييم خاطئ من منظور إلحادي.. لأن القيمة الأخلاقية داخل النموذج الإلحادي لابد أن تعطي الحد الأدني من القيمة الربحية، وإلا فإنها تفقد قدرتها على الدفاع عن نفسها وتوكيد حجيتها وأي طرح خارج هذا الإطار هو طرح ميتافيزيقي.

ولذا تقبع أخلاق الملحد بين المالا نهايتين ويستحيل ضبطها بضابط.

فالملحد يمكن أن يتبنى نموذجًا أخلاقيًّا يحيا به؛ لأنه بداهةً لن يستطيع أن يكون حيوانًا كاملًا حتى ولو أراد ذلك من كل قلبه، وحين يتبنى هذا النموذج فإنه سيتبنى نموذجًا أخلاقيًّا خاليًا من الأعباء الأخلاقية - بإطلاقها -، أي سيكون على خلق ما لم يصبح هذا الخلق حجر عثرة في وجه شهواته أو نزواته أو طموحاته، ولذا في النموذج الغربي -الإلحادي جزئيًّا- تتم باستمرار عمليات الإزاحة للقيم الأخلاقية باضطراد متواصل ودون عودة عن المكتسبات، ولذا تظهر جماعة النامبلا NAMBLA وتطالب بالسماح بممارسة الشذوذ الجنسي بين الرجال والأطفال؛ لأنه عمليًّا لا مانع علمي، وهكذا يومًا ما سيكسب هؤلاء قضيتهم؛ لأنها قضية محايدة تمامًا بمنظور إلحادي يقبع بين المالا نهايتين.

(**القاعدة التاسعة**):

ما من طريق صحيحة يحتج بها الملحد على شبهاته حول الإسلام إلا وجاءت المعجزات في طريق أصح منه

فإذا استقامت شُبهة في عقل ملحد كان الأولى أن تستقيم عشرات المعجزات التي تثبت أنَّ نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات النبوة.

الشرح: التسليم بصحة الطريق الذي أثبت وجود الشبهات في عقل الملحد يدفع بطريق الأوْلى للتسليم بصحة الطريق الذي أثبت وقوع المعجزات على يد سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ولنضرب على ذلك أمثلة:-

(١) ثبت في البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن الماء نبع من بين أصابعه الشريفة حتى توضأ منه زهاء ثلاثمائة رجل.. هذا حديث في أعلى درجات الصحة فالذي يأتي

ويتحدث عن شبهات حول تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لن يأتي بحديث أعلى درجة ومقامًا من هذا الحديث، فالتسليم بالمعجزة أوْلى مقامًا وأقرب عقلًا وساعتها لن تستقيم شبهة في العقل.

(٢) ردّ عين قتادة بعد تدليها على وجنته فردها - صلى الله عليه وسلم- بيده الشريفة فبرئت على الفور وكانت أحسن من قبل.. والصحابي الذي كُسِرَت ساقه فبرئت بمسح النبي صلى الله عليه وسلم عليها.. وبصقه-صلى الله عليه وسلم- في عين علي رضي الله عنه فبرئت في الحال والأحاديث كلها في الصحيحين.

(٣) حديث أم حرام بنت ملحان في البخاري ومسلم حين أخبرها- صلى الله عليه وسلم- أنها ستركب البحر لتغزو في سبيل الله فركبت البحر في زمن معاوية...، وحديث الرجل الذي ارتد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال -صلى الله عليه وسلم:" إن الأرض لا تقبله". فمات الرجل فكلما دفنه الناس لفظته الأرض ولم تقبله.

(٤) تكثير القليل من الطعام بين يديه- صلى الله عليه وسلم- حتى كان يأكل منه الجيش، وتبقى منه بقية والأحاديث في ذلك في الصحيحين وغيرهما، و أشهرها حديث جابر بن عبد الله في غزوة الخندق.

(٥) حديث عبد الله بن مسعود: «كنت أمشي في مكة فأرى حجرًا أعرفه ما مرَّ عليه- رسول الله صلى الله عليه وسلم- مرة إلا وسمعته بأذني يقول السلام عليك يا رسول الله»..، وهذا الحجر العجيب قال عنه رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن**»[١].

---

(١) الحديث رواه مسلم عن طريق جابر بن سمرة.

(٦) أما إخباره صلى الله عليه وسلم بالمُغيبات فأكثر من أن يُحصى ومنه ما رواه مسلم والبخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: «نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المُصلى فصفَّ بهم، وكبر أربع تكبيرات».

ومنه إخباره عن عير قريش ضمن تحدي أهل مكة له لإثبات معجزة الإسراء والمعراج، ومنه إخباره بقتل أُمية بن خلف، وإخباره برسالة حاطب بن أبي بلتعة، وإخباره بأن الحسن بن علي سيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.. وكلها أحاديث في أعلى درجات الصحة.

(٧) أما إجابة الدعاء في الحال فالأحاديث في الباب كثيرة ومنها الرجل الذي رفض الأكل بيده اليمنى محتجًا أنه لا يستطيع، فقال-صلى الله عليه وسلم-: «**لا استطعت**». فما رفعه إلى فيه والحديث رواه مسلم. وحديث نزول المطر في تبوك وغيره.

بل إن أحاديث تسبيح الحصى بين يديه الكريمتين وحنين الجذع وعصمته من الناس – كما في غزوة ذات الرقاع –، وشرب ١٤٠٠ من بئر لا ماءَ فيه في أعلى درجات الصحة من كل شبهات الملحدين مجتمعة.

وعليه فالذي يستقيم له طريق شبهة ما، فمن طريق الأوْلى أن تستقيم له المعجزات السابقة مجتمعة، والتي تقطع بأن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات النبوة.

(القاعدة العاشرة): وهي مكلمة للقاعدة السابقة وتتمة لها

ما من شبهة يسوقها الملحد من القرآن إلا وكان التسليم بمعجزات القرآن من باب الأوْلى، فإذا استقامت شُبهة في عقل ملحد كان الأولى أن تستقيم عشرات المعجزات والتحديات في القرآن الكريم التي تثبت أن نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- في أعلى درجات النبوة.

الشرح: ما من ملحد يستدل على شبهة في القرآن الكريم إلا ويلزمه التسليم بمعجزات القرآن التي تثبت أنه من لدن حكيم خبير.

(١) أخبر القرآن أنَّ الله سيرُدُّ رسوله إلى معادٍ أي: مكة ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥] بعد أن خرج منها مهاجرا بدينه إلى المدينة، وقد تم.

(٢) وأخبره أنه سيدخل المسجد الحرام وصحابته محلقين رؤوسهم ومقصرين، وقد تم ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

(٣) وأخبره أنه بعد دخول المسجد الحرام سيكون فتحٌ آخرُ وهو فتحُ خيبرَ وقد تم ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

(٤) وأخبره أنه سوف يغني قريشًا،وقد تم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [التوبة:٢٨].

(٥) وأخبره أن أبا لهب سيموت على الكفر، وقد تم.

(٦) وأخبره أن الوليد بن المغيرة سيموت على الكفر وسيصلى سقر، وقد كان ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، وأخبر أنه رُزق ببنين كثير ويطمع في الزيادة لكن كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا، وقد كان ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر:١٦].

(٧) وأخبره أن الروم ستهزم الفرس في بضع سنين ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٢-٦] مع أن هذا كان مستحيلًا بحساب موازين القوى في تلك الفترة، وقد تم.

وعليه فإذا استقامت شبهة لملحد في القرآن الكريم فالتسليم لتلك المعجزات يثبت بطريق الأوْلى صحة الرسالة الخاتمة، وإذا وصل الملحد لهذه المرحلة فتأويل الشبهات أو الصبر عليها حتى فهمها أوْلى عقلًا ومنطقًا، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : «مَن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقًا في كل ما يخبر به عن الله»[١].

(القاعدة الحادية عشر):

الإلحاد في الأصل ليس عدم وجود الله ولكنه اعتراض على وجوده

الشرح: الإلحاد في الأصل لا يحدث بسبب نقص الأدلة وإنما بسبب اعتراضات - معضلة الشر - ورفض استيعاب الحكمة الإلهية وليس عدم وجود الحكمة الإلهية.

ويمكنك أن تصنف جميع أطروحات الملاحدة في هذا الاتجاه فجميع أطروحات الملاحدة من النوع السالب weak atheism فهذا هو أصل الإلحاد ولذا يقول الله- تعالي- في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨].

فليس عندهم من علم مستقل يؤسس لكفر، فقط يقولون كما قال الأولون: "الدين أساطير الأولين".. وينتهي الحوار على ذلك

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف:١٧].

(القاعدة الثانية عشر): وهي مكملة للقاعدة السابقة

لايوجد ربوبي واحد أو ملحد واحد عنده دليل مستقل على ربوبيته أو إلحاده فقط اتباع الظن

الشرح: هذا هو أصل الإلحاد والربوبية ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن

(١) الجواب الصحيح، ٢/ ٣٤.

يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣٤-٣٦]

(**القاعدة** الثالثة عشر

The most fatal burns are painless

قاعدة طبية تعلمناها قديمًا.

كلما ازدادت شدة الحرق كلما قلَّ ألمه..

والحرق الذي يؤدي إلى الوفاة غير مؤلم بالمرة(*).

الشرح: هذه القاعدة هامة للغاية عند النقاش حول معضلة الشر...، فظاهريـًّا في مسألة الشر على وجه الخصوص تسير الأمور ليس على ظاهرهـا أو كما يتبدى للوهلة الأولى..، ثم إن إسقاطات الملحـد عادة تكون تحيزية إلى حد كبير، فلماذا يعترض على موت طفل صغير مثلًا ولا يعترض على موت شيخ كبير؟ ما الفرق بيولوجيـًّا؟ هذا استوفى أجله البيولوجي وكذلك الشيخ الكبير..!!

(**القاعدة الرابعة عشر**):

Appendix is the tonsil of GIT[1]

الزائدة الدودية بالنسبة للجهاز الهضمي كاللوزتين بالنسبة للجهاز التنفسي.

الشرح: الزائدة الدودية بالنسبة للجهاز الهضمي كاللوزتين بالنسبة للجهاز التنفسي.. هذه قواعد طبية حديثة.. ثم يأتي ملحد نزق الأخلاق يتحدث عن أعضاء أثرية أو بلا فائدة..

(*) للحرق ثلاث درجات والدرجة الأولى التي تقريبا جرَّبناها جميعا هي أشد الأنواع إيلاما.. وإذا وصل الحرق للأنسجـة في المرحلتين الثانية والثالثة تكون قد توقفت أعصـاب نقل الإحسـاس عن العمل نظرا لتأثرها بالحرق... وفي المرحلة الثالثة التي تكاد تكون قاتلة ينتهي عمل عصب الإحساس تماما.. ولذا فالحرق المؤلم هي حرق الجلد فحسب ولذا يقول تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٥٦]. أعاذنا الله من نار الدنيـا والآخرة.

(1) Surgical anatomy Dr.elmatary MD Ain shams University p.187

مشكلة الملحد في هذه القضايا أنه يضع إلحاده في مواجهة العلم فكلما توسعت مكتشفات العلم ضاق الخناق على الملحد وظهرت فوائد تلك الأعضاء فالزمن لا يحمل إلا النكد للملحد.

(القاعدة الخامسة عشر):

ما أبعد أحكامَهُ سبحانه وتعالى عن الفحص، وطُرقه عن الاستقصاء

الشرح: هذه القاعدة هامة للغاية في بيان أن أصل مقاصد حِكمة الله غائبة عن عامة البشر، ولا تتجلى إلا لقليل: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٠-٨٢]

فهُنـا جَلى الله الحِكمة لسيدنا موسى في بعض الأفعال التي تُعد ظاهريًّا شيئًا مُنكرًا، وغير مُستسـاغ.

وكم من الصِّعـاب التي واجهناهـا بادئ الأمر بكثير من التشاؤم، وخيبـة الأمل، وبعد زمن وجدناها مفاتيحَ لخيرٍ عظيم.

ولا يجوز لملحد أن يحتجَّ في باب الحِكمة الإلهية بشيء؛ لأن الملحد بداهةً ليس كُلي العلم، ولا يعرف ما في غدٍ حتى يُقرر ويعطي نظرة شمولية لمسألة لم يستوعبها.

أصل الإلحاد

الإلحاد منهج كهنوتي لأنه دين متكامل يعطي رؤية فلسفية متكاملة للوجود والحياة، لكن في رؤيته تلك يعتمد على أفكار ميتافيزيقية ربما يفوق فيها الوثنيات مجتمعة فهو يقول بأزلية المادة مع أن العلم أثبت خلاف ذلك، ولا يوجد دليل واحد على مقولته تلك، وينكر برهان السببية الذي هو أعلى من القانون وعليه تسير كل قوانين الدنيا، ويؤمن بنسبية الأخلاق ومع ذلك يُخرج شبهات أخلاقية من الاديان- لا أدري كيف-، ويُسلم بمطلقية الداروينية على الرغم من عدم وجود macro-evolution واحدة ثابتة علميًّا، الأمر كهنوتي يحتاج لبعض المباخر والمجامر في كنيسة إلحاد ينتظم في قداسها شمامسة ملحدين صغار!

فالإلحاد يقوم على الدعاوى الميتافيزيقية كالدين تمامًا.. هذه بداية الإلحاد الحقيقية ونهايته.. وكذلك الدين

لكن ثمة فارق جوهري بين الطائفتين...، فالإلحاد لا يملك مستند ومُنتهى خبره الحِس، بينما يزعم الدين أنه يملك ذلك المستند.

فمشكلة الإلحاد الأولى والأخيرة أنه لا يملك دليلًا مستقلًا قائمًا بذاته، وإنما يستمد قوته باستمرار من خلال نفي أدلة الآخر، وعندما يقوم بالنفي لا يعتمد أدلة مستقلة خاصة به، وإنما أيضًا يتطفل على الآخر سواءًا كان هذا الآخر نظرية علمية أو سفسطة يونانية أو مضاربة دين بدين آخر أو الخروج بلا أدرية وقتية..

كلُّ هذه الأمور تُثبت أنَّ الإلحاد مجرد لعبة عقلية تتم على مستوى القشرة الخارجية للمخ، وليس بدهية مُركبة في البشر..

فاللاأدرية الإلحادية ليست موقف مُريح في حياة البشر.. بل هي مرحلة طارئة.. موقف عارض ومرحلي هكذا يمكن تفهمها.. وسرعان ما يستقر الإنسان على ثوابت.. ولو كانت اللاأدرية غاية وجودية لما حدث أي تقدم يُذكر في حياة البشر، فلو كان الشك وعدم الفهم والنفي الكُلي حالة مُريحة ومُمتعة ما حصل تقدم في حياة البشر، وبما أنه يوجد تقدم في حياة البشر إذن البديهة المُركبة في البشر هي الوصول للحقائق والاستقرار عليها، إذن النسبية

والتذبذب واللاأدرية الإلحادية مُخالفة لما فُطرنا عليها...، فما معنى أن يعيش الإنسان ويموت تحت هذا المُسمى بين الإلحاد واللاأدرية؟

ولذا يظل الإلحاد كما هو منذ البدء مجرد فلسفة طفيلية في التاريخ البشري، وكما يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: "لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد". وكما يؤكد ذلك [ول ديورانت] في موسوعته العملاقة قصة الحضارة حين يقول: " ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعًا اعتقادًا سليمًا "(١).

فلا توجد قرية ولا نجع ولا حارة ولا حضارة ولا أُمة بغير دين، هذا الكلام ثابت عبر الزمان والمكان.. ولذا تقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة [كارين أرمسترونج] - التي تركت الدير والرهبنة وكفرت بالمسيحية - في كتابها الأخير مسعى البشرية الأزلي الله لماذا؟...؛ بأن الإنسان ليس homo sapiens sapiens وإنما هو homo religiosus فالإنسان ليس حيوانًا عاقلًا وإنما إنسان ديني.

فالإلحاد فلسفة طفيلية وقتية ليس لخطأ أدلته فما أكثر الوثنيات الخاطئة، ولكن لعدم وجود أدلة أصلاً.

ولذا يمكن تصنيف الإلحاد تحت بند الحقد على الدين أو ترك الدين لا أكثر... من خلال لعبة عقلية تجري على مستوى الcortex وسفسطة إنكارية سالبة.

---

(١) ولد يورانت كتاب قصة الحضارة، م١، ص٩٩.

الإلحاد هو مصدر الوثنية عبر كل العصور

يعني الإلحاد في صورته النهائية التجرُّد من كل مُقدَّس، والتخلُّص من كل قيمة تتجاوز العالم المادي، بينما تقوم الوثنية على تأليه الماديات، وتقديس حتى الجمادات، وظاهريًّا من المُحال بمكان أن يجتمع الإلحاد والوثنية، لكننا سنكتشف في هذا المقال أن الإلحاد هو أصل جانب كبير من الوثنيات على الأرض.

يرى علماء تاريخ الأديان أمثال [لانج] Lange وباسكال Pascal و[شميث] Schmitt و[بروس] Bruce و[كوبرز] Coopers وغيرهم، أن التوحيد وعبادة الله الواحد كانت سابقةً على التعدد وصناعة الآلهة الوثنية.[(١)]

لكن لماذا ترتدُّ البشرية في كل مرة، وتعود لتعدد الآلهة الوثني اللاعقلاني؟ يكون التبرير المستمر لهذه القضية أن هذا من باب تحريفات السحرة والكُهان على الدين الحق -دين التوحيد-.. لكن يظل السؤال قائمًا ما الذي يدفع السحرة والكهان لهذا الأمر؟

في البداية لا خلاف على رِبحية الوثنية من الناحية المادية، فالوثنية توفِّر غطاءًا سخيًّا يُبرر المُتع الدُّنيوية والجنسية المُحرَّمة بلا مُقابل أو رادع أُخروي، فالوثنية هي التفلت المُستمر من تكاليف شرائع الأنبياء، ولذا كانت الوثنية عبر الزمان مرتع الشيطان في إغواء ابن آدم، كما في الحديث القُدسي: «**إني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[(٢)].

لكن هل كان شيطان الجنِّ هو اللاعب الوحيد في الساحة؟ أم أن ظهور شياطين الإنس من الملاحدة كان له دورٌ أسرع في نشر الوثنية والإغواء بها وتفشِّيها بين الأُمم والحضارات والثقافات؟!!

إن أبسط دراسة أكاديمية للجمعيات السرِّية حول العالم، تُقدم أدلة دامغة على دور الإلحاد في نشر الوثنية، يقول المفكر الشهير[مايكل هوارد] Michael Howard " إن

---

(١) andrew lang: the making of religion..New York 1968.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: ٥١٠٩.

أتبـاع الجمعيات السرية يُعانون من حالة مرضية، تم تشخيصهـا على أنها بُغض الدين، ويكفي أن آدم وايسهاوت Adam Weishaupt أبو الحركات الماسونية كان مريضًا بهذا المرض "[(١)].

و يمكن ملاحظة هذه النتيجة من متابعة الحركات الوثنية المعاصرة، فعبدة الشيطان هم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا بالشيطان، فالشيطان هو رمز للشهوة وليس معبودًا لذاته.

يقول [بيتر جيلمور] Peter Gilmore الرئيس الحالي لكنيسة الشيطان بأمريكـا ": نحن لا نؤمن بأي قوة خارقة للطبيعة.. لا نؤمن بالإله بل ولا نؤمن بالشيطان نفسه... ؛ فالشيطان هو مجرد رمز للشهوة الإنسانية... والشيطان ليس كينونة موجودة أصلا لتُعبـد"[(٢)].

وهذا أمرٌ بَدَهِيٌّ فأنتون ليفي Anton LaVey مؤسس مذهب عبادة الشيطان، والذي أسس كنيسة الشيطان بسان فرانسيسكو *San Francisco* كان ملحداً، فالإلحـاد هو مصدر عبادة الشيطان، وعبدة الشيطان هم الملاحدة[(٣)].

إن الوثنية بكافة طقوسها، وعبادة الشيطان، وتعدد الآلهة بكافة شركياته، مسوِّغ رائع للانغماس في الشهوات والفجور والجرائم.. تصوَّر شخصا حاقدا على الأديـان، وهاربا من تكاليف الشريعة، وباحثا عن الشهوة بأي ثمن، إن هذا الشخص من البَدَهِي أن يَنضوي تحت أي لواء يُحقق رغباته فيصير وثنيًّا، أو ينضم لجماعة مُنظمة ويصير من عبدة الشيطان، فعبادة الشيطان هي مذهب إلحادي مائة بالمائة.

---

(1) Michael Howard,Occult Societies, 1st ed., London: Rider, 1989, p. 63.

(2) http://www.churchofsatan.com/Pages/Feared.html

LaVeyan Satanists are atheists and agnostics.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Satanism.

وإذا نظرنا إلى تجمع وثني آخر وهو جمعية الفجر الذهبي الوثنية بأوربا Order of the Golden Dawn، وهي جمعية سـرية تؤمن بطقوس وثنيـة وسحريـة شاذة، وأيقونة موقعها الرسمي عبارة عن معبد وثني(١).

ولا يؤمن أتباع تلك الجمعية بهذه الوثنيات، ولا يُلقون لها بالاً، لكنه نوع من التفريغ الروحي ولون من الاستدارة على الأديان حتى لا يتصفوا بالإلحاد.

وقد أسس تلك الجمعية [إليستر كرولي] Aleister Crowley وهو المؤسس للعديد من المحافل الماسونية عبر العالم، وهو فيلسوف شهير وصاحب المقولة الإلحادية " افعل ما تُحب هذا هو أصل القوانين"(٢).

وهذه المقولة تحليل إلحادي مادي لحياة الإنسان وغائيته في غياب المرجعية الدينية، وفي غياب التعويل على أية قيمةٍ أو مبدأ.

و إليستر كرولي هو جد [جورج بوش] *George* W. *Bush* من أُمه وهو ملحد شاذ جنسيًّا، وقد وَجد في الجمعيات الوثنية ضالته في الدعوة للإباحية الجنسية إلى أقصى درجة، والنقمة على الأديان(٣).

وتمتلئ جنبات العالم بالكثير من الجمعيات التي ظاهرها وثنية بينما هي إلحادية حتى النخاع، فهناك الرابطة الأخوية السوداء، أو الجمجمة والعظمتين Skull and Bones، وهي جمعية وثنية شهيرة تتبَع جماعة المستنيرين الإلحـادية Illuminati التي أسسهـا الملحد الشهير[آدم وايسهاوت] Adam Weishaupt، الذي تحدثنا عنه قبل قليل، وكان آدم وايسهاوت قِسًّا للجزويت *Jesuit* ثم ألحد وقام بتأسيس الجماعة للقضاء على الدين في أوربـا(٤).

---

(1) http://www.hermeticgoldendawn.org /.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Aleister_Crowley.

(٣) المصدر السابق.

(4) http://www.bibliotecapleyades.net/ esp_sociopol _illuminati .htm.

وهُناك النادي البوهيمي فخر الأندية الوثنية الإلحادية، وأشهرها على الإطلاق، ويشتهر بأنه نادي العراة، أعضاؤه ملاحدة يقومون باحتساء الخمور من الصباح حتى المساء، ثم يقومون بطقوس وثنية خاصة، وتأتي شهرته من ارتباطه بشخصيات سياسية واقتصادية مرموقة في المجتمع الغربي[١].

ونستخلص مما سبق أن المشكلة هي عبث الملحدين الأزلي بالأديان، وهو عبث غير ظاهر في الغالب خوفًا من بطش الشعوب ونقمتها، فيتظاهرون بالوثنية أملًا في انحراف الشعوب عن عقائد الأنبياء، فالإلحـاد هو الشر المتربص بالعـالم، وهو مصدر رئيس من مصادر الكُفريـات والوثنيات والفلسفات الهابطة، التي انتشرت وما زالت تنتشر في أرجاء المعمورة.

---

(١) أعضاء النادي البوهيمي طبقًا للموقع الرسمي، يحتسون الشراب ثم يقومون بطقوس وثنية خاصة. they drink heavily from morning through the night, bask in their freedom to urinate on the redwoods, and perform pagan rituals

http://www.sonomacountyfreepress.com/bohos/bohofact.html

أصل الحروب

الحرب في الإسلام والإلحاد.

معركة الدين ليست مع أعراق أو أجناس.

معركة الدين لا علاقة لها بإبادة أو تطهير عِرقي.

معركة الدين لم تقم يومًا ما من أجل لون البشرة، وما تبع ذلك من تفريغ قارات بأكملها -كما حدث عند تفريغ الأمريكتين من الهنود الحمر-.

معركة الدين ليست بسبب جنس مختار favoured race، ولا مقاس جمجمة محدد -كما تقرر النازية والقوميات الأوربية في الحربين العالميتين-.

معركة الدين الحقيقية مع الباطل، أينما وُجد، وفي أي مكانٍ قامت له دولة.

وهذا واجب الدين، بل لن يكون دين سماوي بدون مسئولية عُظمى كهذه تُلقى على عاتقه.

وقد ربّى الدين أتباعه على التطلّع إلى الأجر الأُخروي، دون النظر إلى المنافع المادية العاجلة التي تحصل للمرء كغنائم ونحو ذلك، وهذا يتضح جليًّا في قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «**ما من غازيةٍ تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثيّ أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث ،، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم**»[1].

هذا في الوقت الذي تُعتبر فيه المنافع المادية غاية في الحروب الإلحادية التي جرت عبر التاريخ، ومن هُنا ظهرت الداروينية الاجتماعية Social Darwinism، وهي أشهر مدرسة لإباحة القتل الجماعي في أوربا في القرن العشرين، باسم التطور والبقاء للأصلح، والإلحاد الحتمي المادي، الذي لا يرحم.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، حديث رقم ٣٥٢٨.

وكلمة داروينية اجتماعية Social Darwinism، تعني في أحد اصطلاحاتها" الأقوى يُسيطر ثقافيًّا وفكريًّا وبيولوجيًّا، والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت"[(١)].

وإن أية محاولة لمعاندة هذه المدرسة –لدى أتباعها– هي محاولة فاشلة؛ لأنها تأتي ضد التطور وضد قوانين الحتمية المادية التي تسري على الوجود.

يقول الدارويني [جيمس هِلْ] James J. Hill: "إن الثروات تُحدَّد تبعًا لقانون البقاء للأقوى" [(٢)].

وانظر إلى تايل Tille كيف يُنكر كل القيم الإنسانية التي استقرّت في الوجدان البشري، ويضرب بها عرض الحائط، فلا معنى للتسامح أو التعاطف مع الفقراء، بل إن الإحسان لا وجود له في قاموسه الإلحادي، لأنه يتعارض –ببساطة– مع مفهوم الدارونية، يقول: " من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودي الإنتاج.. مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الدروينية؛ لأنه يتعارض أساسًا مع الانتخاب الطبيعي natural selection وهو جوهر الداروينية". [(٣)].

وطبقًا لهربرت سبنسر *Herbert Spencer* فإن " فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بدهيات الانتخاب الطبيعي، إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم، تأتي ضد قانون صارم من قوانين الطبيعة، ألا وهو قانون البقاء للأصلح"!![(٤)].

ولولا بقيّةٌ من قشرة الحضارة الزائفة، لقالوها وبكل وضوح:

ما الفرق بين الإنسان والبكتريا.؟

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Social_Darwinism.

(2) Martin, James J. Hill pp 41 15.

(3) Williams, Raymond. 2000. Social Darwinism. In Herbert Spencer's Critical Assessment. John Offer.

(4) Social Status, p.41 415.

ما الفرق بين قتل ملايين البكتريا بمجرد غسل اليدين وبين إبادة حضارة بشرية بأكملها؟

لماذا البحث عن غائية للإنسان؟

هذا هو الإلحاد، وهذا هو أصل معركته وشعارها ودثارها، وفي هذا السبيل قامت حربان عالميتان أُبيد فيهما قرابة ١٢٠ مليون نسمة، وكانت حروب من الدموية بحيث أرجعت كلًا من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، فالحربان العالميتان اللتان أبادتا حوالي ٥٪ من سكان العالم كانتا نزاعا إلحاديا إلحاديا.

فالإلحاد حرَّر أتباعه من أية أعباء أخلاقية، فالحروب العالمية كانت دائمًا نتاج المجتمعات الأرستوقراطية الملحدة، والإلحاد هو الذي زوّد الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين باسم العرقية المادية، والبيولوجية الداروينية، فظهرت اليد الخفية عند [آدم سميث]، والمنفعة عند [بنتام]، ووسائل الإنتاج عند [ماركس]، والجنس عند [فرويد]، وإرادة القوة عند [نيتشه]، وقانون البقاء عند [داروين]، والطفرة الحيوية عند [برجسون]، والروح المطلقة عند [هيجل]، وظهرت مصطلحات إلحادية مثل: روح العصر، وعبء الرجل الأبيض، والعبء الحضاري[١].

وقد اعتبر الليبرالي الشهير - رئيس الولايات المتحدة السابق - جون كوينسي آدمز *John Quincy Adams* أن حرب البيض ضد الهنود الحمر هو قانون الطبيعة، ولهذا القانون تطبيقاته الواسعة جدًّا"[٢].

فاستئصال طبقة كاملة من الناس ما كان ليحدث لولا الحداثة، وقد اعتبر الليبراليون الأوائل أن إبادة الهنود الحمر نوع من الدفاع الشرعي، ونتيجةً لذلك: تقلّص عدد الهنود الحمر من ١٠ مليون الى ٢٠٠ الف نسمة خلال سنوات قليلة ولذا يقول [سيمون بوليفار] *Simón Bolívar* محرر أمريكا اللاتينية: "يبدو أن الولايات المتحدة تسعى لتعذيب وتقييد

---

(١) العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة د. عبد الوهاب المسيري دار الشروق طبعة ٢٠٠٢ المجلد الأول ص٢٤٠.

(2) Robert Remini, John Quincy Adams 2002.

القارة باسم الحرية"[١]. وليست إبادة الملايين في أرخبيل الكولاج The Gulag *Archipelago* على يد لينين وستالين، إلا من خلال مبرّر إلحادي شيوعي، وليست إبادة ٢٢٪ من سكان كمبوديا إلا بمبرر إلحادي على يد [بول بوت]، وليست إقامة الحرب العالمية الثانية كلها إلا بمبرر قومي مادي ألماني على يد [أدولف هتلر]، وليست الثورة الثقافية في الصين التي راح ضحيتها ٢٢ مليون نسمة إلا بمبرر إلحاد ماوي Mao zedong، فالحرب في الإلحاد غاية في ذاتها، والمكاسب المادية وتفريغ القارات من البشر، وتطهير الأعراق ليست كلها إلا إفرازات داروينية اجتماعية.

اقرءوا إن شئتم ما كتبه [تشارلز داروين] في كتابه "أصل الإنسان": "وإذا ثبت مع الوقت أنه توجد خصوبة كاملة بعد التهجين بين الأعراق الإنسانية المختلفة فإن هذا الأمر ليس من شأنه أن يعوقنا عن تصنيف الأعراق البشرية على أنها أنواع متباينة لكائنات حية مختلفة، يتم استبدالها في شتى أنحاء العالم".[٢].

يقول [ريتشارد فيكارت] Richard Weikart: "لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب ميزان الأخلاق رأسًا على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه، لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم، بأن أبشع الجرائم العالمية، كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة"[٣].

لكن الإنسان له روح خاصة مستقلة عن جميع المخلوقات؛ فهو ليس مُفصَّلًا على طراز داروين، ولم يوجد من أجل الصراع، إنما وُجد لعبادة الله من إقامة الحق أيـا كان مَن اتبع الحق سواء كان أبيض أو أسود، أما العقل الإلحادي المادي فقد قام بتفكيك البـشر بصـرامة بالغة ليس فيها موطنٌ للمشاعر الإنسانيّة، والقِيَم الروحيّة.

---

(١) ناعوم تشومسكي الايديولوجية والاقتصاد ص٦.

(٢) نشأة الإنسان The descent of man.. تشارلس داروين.. ترجمة مجدي محمود المليجي.. المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥.. ص ٤٠٤.

(3) Richard Weikart.. From Darwin to Hitler... p.215.

أصل الأخلاق

الأخلاق مُطلقة... وليست نسبية...

فالأخلاق موضوعية لا ذاتية فهي لا تعتمد على رغبات البشر أو نزواتهم، فالخير خير عند الصالح والطالح، والشر شر عند الصالح والطالح، فالأخلاق تعتمد على شيء خارج الذهن البشري، تعتمد على إرادة الله التي يريدها لهذا العالم، فالأخلاق لها غرضية كونية فيها الاستقلال عن أفكار البشر ورغباتهم، والقيم الأخلاقية يعتنقها كل إنسان بوعي أو بغير وعي.

والأخلاق لا يوجد فيها تطور... والإنسان هو العنصر الثابت في تاريخ العالم

لقد دخل الإنسان التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل.

إن الأخلاق لها موجات صعود وهبوط ولكن لا تطور فيها على الإطلاق، فمن وجهة نظر الأخلاق فإن العصر الحجري الحديث يعتبر انتكاسه في القيم الأخلاقية عن العصر الحجري القديم فالأخلاق في استقلال عن الزمن.

كانت أمريكا عند اكتشافها متخلفة من خمسة إلى ستة آلاف سنة ولم تكن قد لحقت بالعصر الحديدي بعد، لكن بالمقياس الأخلاقي كانت أرقى من العصر الحديث، ورسوم معبد بونامباك للهنود الحمر التي تبين معضلة الأخلاق، هذه الرسوم تجد مكانها داخل أعظم متاحف العالم.. وفن النحت لحضارة المايا يمثل مدرسة أخلاقية كاملة.. وهذه حقائق لا جدال فيها.

إن الأسبان الغزاة كانوا أحط أخلاقيًّا من قبائل الهنود الحمر.

والفلسفة الأخلاقية بعد أفلاطون لم تُحقق أي تقدم على الإطلاق.

وكتابات شيشرون في الأخلاق لا تزال صالحة إلى اليوم.

وأفكار أرسطو الأخلاقية ومسرحيات سوفوكليس المأساوية يمكن وضعها في أي عصر من العصور لتناسبه.

وقد ألف يوربيدوس Euripides مسرحة نساء تروجان الأخلاقية في أزمان ما قبل التاريخ وأكملها سارتر بعد الآف السنين دون فجوة زمنية تُذكر.

إن أخلاق الأقيانوسة – وهي أكثر مناطق العالم تخلفًا – لا تختلف عن أخلاق أي منطقة متحضرة بالعالم، وفنون الأقيانوسة التي تسرد وقائع أخلاقية تجد مكانها في المتاحف الأوربية والأمريكية ولا ثمة فجوة حضارية بينها وبين مثيلاتها الغربية.

إن القاعدة التي لا خلاف عليها أن الأخلاق لم تخط خطوة واحدة إلى الأمام منذ العصر الحجري القديم، فجميع معلمي البشرية سواءً كانوا أنبياء أو مصلحين جميعهم علموا البشرية الأخلاق نفسها، وعندما نسرد تاريخ الأمم عبر كل العصور نجد الاختلاف في السلوكيات الرسمية فحسب أما في قواعد الأخلاق وفي القيم الأخلاقية فلا نجد توافقًا بل تطابقًا مُطلقًا، وهذه القاعدة تُسمى عند الفلاسفة قاعدة الالتزام المطلق، كما عرّفها كانط في كتابه أسس ميتافيزيقيًّا الأخلاق..!!

فالأخلاق لا تطور فيها[(١)].

(١) بعض الفقرات مقتبسة من كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش.

إثبات وجود الله!

إثبات وجود الله ونفي وجوده هو من باب الجدال بالباطل لا أكثر.. ﴿ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ [الكهف:٥٦].

المسألة كلها جدال بالباطل لا أكثر.. إذ كيف يقوم الدليل على أصل الدليل وعلى خالق الدليل والذي وهب أذهاننا استيعاب الدليل..

كل شيء يصدح بالخلق المباشر وعجيب الصنعة.. مثلًا جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي توجد مشفرة في نواة الخلية داخل شريط ال DNA في الكائن الحي بنظام التشفير الرباعي A T G C هذا التشفير لو قُمنا بنسخه على الورق فإنه يملأ ١٠٠٠ مجلد بواقع ٥٠٠ صفحة لكل مجلد.

نظام التشفير الرباعي هذا موجود في أدق الكائنات على وجه الأرض وأكثرها تعقيدًا... أيضًا نظام التشفير الرباعي A T G C ظهر مع أول الكائنات على وجه الأرض – السيانو باكتريا – ويظل نظامًا حكريًّا لكل الكائنات بلا استثناء... فيروسات بكتريا ثدييات نباتات زواحف أسماك حشرات بريونات.... نظام حكري عجيب للغاية واحد في كل الكائنات يدل على وحدة الخالق.

نعم نظام واحد وطريقة واحدة وخطة واحدة تشمل كل الكائنات على وجه الأرض تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك على وحدة الخالق ووحدة طريق.. إذ لو كانت الأمور صدفوية أو عبثية لظهرت أنظمة وخطط وطرق بعدد الكائنات على وجه الأرض..

ثم أصلًا ما معنى تشفير؟

ولماذا يتيح التشفير هذه القاعدة المعلوماتية العملاقة التي يتواجد بها كل ما يحتاجه الكائن الحي – أيًّا كان نوعه –ويتحدد من خلالها كل خصائص الكائن ووظائف أعضاؤه وكل ما يحتاج إليه طيلة عمره؟

نظام تشفير يقوم على ترتيب ملايين القواعد النيتروجينية بتناسق غاية في الدقة، فهل يُعقل أن هذا الترتيب صُدفوي أو عشوائي.....؟.

ثم كيف للصدفة أن تُنشئ أنظمة تشفير وتُحدد المطلوب مُستقبلًا وبدقة متناهية؟

فالتشفير عملية في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية..!!!!!!

وتشمل عملية التشفير تخزين المعلومات ونقلها وحفظها واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة وليس مجرد التشفير!!!

هذا التشفير يؤكد أنَّ ربنا وحده الذي أعطى كل شيءٍ خلقه وصورته وهيئته بمنتهى الدقة والكفاءة قبل أن يُخلق ويُصوَّر.. قال تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

لكن عملية التشفير تفرض معضلة أكبر ولُغزًا أعمق، فهذه المعلومات كالكلمات المطبوعة على ورق كالشفرات المضغوطة على اسطوانة CD تحمل أدق تفاصيل الكائن الحي لكنها مجرد شفرات لا أكثر، كيف تنتقل هذه الشفرات إلى تشكيل الكائن على هيئته الحقيقية؟

كيف تتحول المعلومات إلى وجود حقيقي في الكائن الحي؟

كيف تتحول كلمات نخطها على أوراق نَصِف فيها هيئة إنسان، مهما بلغت تفاصيلها ودقتها، إلى إنسان حقيقي (من لحم ودم)!؟

ويبقى التساؤل الأهم مَن الذي وضع الشفرة قَبل فك التشفير؟

ثم كيف يتم طي هذا الشريط العملاق الذي لو أصبح سُمكه في سمك الشعرة فإن طوله سيتجاوز ١٠٠ كيلو متر.. بحيث يقبع في نواة الخلية ولا ننسى أن خمسين خلية كاملة لن تملأ هذه النقطة في نهاية الجُملة.

أيضًا هذه المنظومة التشفيرية العملاقة في أبسط كائن وأعقدها أولها وآخرها تعمل بمساعدة إنزيمات، والتي هي أيضًا بروتينات تتواجد معلوماتها مُشفرة داخل ذلك الحمض النووي، إذن هذه خاصية من التعقيد غير قابلة للاختزال ولا للتدرج ولا للصدفة.. إما تكون أو لا تكون.

ولو افترضنا للحظة أن البروتينات تشكلت بنفسها فإن هذا مجرد لغو فارغ؛ لأنها لا قيمة لها من تلقاء ذاتها.

ثم كيف قامت بتشفير نفسها داخل نواة الخلية؟ ثم كيف قامت بفك التشفير الذي يتطلب إنزيمات غاية في التعقيد والتخصصية؟ والجسم يحتاج إلى ثلاثة مليارات قاعدة نيتروجينية في كل خلية بترتيب وتناسق غاية في الدقة وهذا الأمر يشمل ١٠٠ تريليون خلية.. هل يُعقل أن هذا الترتيب صُدفوي أو عشوائي... ثم كيف للصدفة أن تُنشيء أنظمة تشفير وتُحدد المطلوب مُستقبلًا وبدقة متناهية؟

لكن سنفترض أننا وضعنا نظام تشفير داخل الكائن، وبعد ذلك تركنا ذلك الكائن لصدفوية ترتيب قواعده النيتروجينية، ساعتها سنحصل على كائن واحد صحيح كل مليارت الأعوام وبصحبته ملء المجموعة الشمسية كائنات غير صحيحة.

هذا في حالة أننا وضعنا التشفير وتركنا الصدفة بعد التشفير، فما بالنا بالذي يفترض أن الموضوع من أوله لآخره صدفة؟

عند هذا الحد يتحول الأمر إلى سفسطة مستحيلة ولعبة سخيفة.

إذ كيف قام هذا الكائن بتشفير المعلومات داخل جسده؟

ما أدراه بآلية التشفير الرباعي؟

ولماذا يشفرها؟

بل إن التشفير يسير عكس القانون الثاني للترموديناميك.. -وطبقًا لهذا القانون فإن كل شيء يسير نحو التفكك والهدم والتحلل إلى أن يحدث THERMAL DEATH OF UNIVERSE - لكن التشفير عملية واعية تبني وتُعقد، إذن هي تسير عكس قانون حتمي من قوانين الطبيعة وهو القانون الثاني للديناميك الحرارية!

كيف يتسنى للطبيعة أن تكسر قوانينها؟

كيف يتسنى للتشفير أن ينشأ؟

التشفير عملية خلق واعية.........عملية تسير عكس قانون كوني فتحتاج لتدخل إلهي في كل لحظة، وإلا ما بدأت ولا ظهرت ولا استمرت![1].

(١) ملحوظة: هذا المقال ذكرت شيء منه سابقًا في الفصل السادس تحت عنوان نظام التشفير داخل الخلية، لكني أحببت أن أطرح بعض الإضافات هنا خاصةً مع أهميته الشديدة.

ماذا قبل وجود الكون

الوجود الفيزيائي.. الشيء يكون موجود فيزيائيًّا – أي أن وجوده حقيقي – إذا كان مقدار طاقته الكلية مضروبًا في فترة وجوده مساويًا أو أكبر من ثابت بلانك...

إذن يستحيل فيزيائيًّا إثبات وجود شيء قبل ١٠ أس -٤٦ ثانية من عمر الكون.. عند هذه النقطة تتساوى علومنا جميعًا ونتوقف فورًا.. إذن ما الذي يدفع الملحد لقول ميتافيزيقي لا دليل مادي عليه وهو أن الكون لم يسبقه عدم، أو ليس له صانع؟

ما الفرق بين الإلحاد إذن وأي ديانة صحيحة أو باطلة... كلاهما يقول دعاوى ميتافيزيقية مجردة

وهذا يؤكد ما سطرناه في المقال السابق في تعريف الإلحاد أنه " يقوم على الدعاوى الميتافيزيقية كالدين تمامًا.. هذه بداية الإلحاد الحقيقية ونهايته.. وكذلك الدين؛ لكن ثمة فارق جوهري بين الطائفتين... فالإلحاد لا يملك مستندًا مُنتهى خبره الحِس، بينما يزعم الدين أنه يملك ذلك المستند "

سأذهب الآن لافتراض سفسطي

أنا سأفترض أن الكون يسبقه وجود مادي.

بل وسأفترض أن هذا الوجود المادي لا أول له

بمعنى آخر – حوادث لا أول لها –.

هذا هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية.

فلا إشكال عندنا نحن المسلمين فيما قبل لحظة الخلق الأولى، فقد انتصر شيخ الاسلام ابن تيمية للقول بأن المخلوقات سلسلة من حوادث لا أول لها، أي أن كل مخلوق قبله مخلوق قبله مخلوق وهكذا، فكل مخلوق له بداية ونهاية وكل مخلوق مسبوق بمخلوقات أخرى.... وهذه عبارة لا دليل على استحالتها عقلًا ولا نصًّا، بل النصوص تؤيدها فالله هو الخالق وهو الخلاق و خلقه مستمر....، وهناك فرق كبير بين حوادث لا أول لها وهذا لا ينفيه لا العقل ولا النص، فالله يخلق منذ الأزل وهو الخلاق... وبين مقولة قِدم العالم وأزلية

المخلوقات، وبداهةً القول بأزلية العالم المشاهد صارت خرافة فهو حتمًا له لحظة بدأ فيها، وهذا هو عين ما انتصر له شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله.

سأنتقل لنقطة أكثر داهشية، يفترض متكلمو المسلمين منذ القرن الثاني الهجري – العاشر الميلادي – أن العدم هو مجرد جواهر غير متحيزة virtual particles، وغير المتحيز هو ما لم يظهر للوجود.. بتعريفنا المعاصر لم يتخط بعد حاجز بلانك..

هل لو ظلت العلوم الفيزيائية الكوانتية تبرمج مفرداتها ألف مرة لتعريف العدم هل ستتجاوز هذه العبارة؟

إن الإلحاد بموقفه الدوغمائي عما قبل وجود الكون يمثل رِدة ميثولوجية لا أكثر.

□

مراتب الأدلة المنطقية

تتراوح الأدلة العلمية في حجيتها على البرهان الرياضي والدليل العقلي والدليل التجريبي وفي الأخير يأتي الدليل الحسي..هذا بخصوص الأدلة العلمية.

والمعرفة ليس مصدرها دليل علمي فقط.

بل المعرفة تعتمد على الهاديات الأربع؛ العقل والنقل والتجربة والوجدان.

إذن عندما يقرر الملحد مسخ علم المنطق بأكمله ومسخ كل مراتب الأدلة، والإبقاء على أضعفها وهو الدليل الحسي، هذا يعني أنه يقف في وجه العلم لا في وجهنا نحن.. إذن مشكلته مع مقررات العلوم وليست معنا نحن.!!

سأخبركم عن مستر فورد.. – وللذي يريد أن يقرأ عن مستر فورد أكثر يعود لكتاب [وهم الإلحاد] لدكتور عمرو شريف –؛ هل معرفة طريقة الإحتراق الداخلي في السيارة، تنفي وجود مُسبب للسيارة وغاية من صنعه لها؟

العلم يستحيل أن يخبرنا بشيء عن فورد أو صاحب تويوتا، لكن حتمًا يخبرنا كل كبيرة وصغيرة في الطريقة والقوانين التي تحكم عملية الاحتراق الداخلي في موتور السيارة... العلم يستحيل أن يخبرنا بشيء عن عقل فورد أو غايته من صنع السيارة، لكن العقل بكل بساطة يستدل على غاية مستر فورد وعلى عقل مستر فورد وهدفه حين قام بصنع السيارة بمجرد رؤية السيارة... هذه بديهة عقلية لا علاقة لها بكونك ملحد أو مؤمن.

ألا يكون استبعاد مستر فورد من المنظومة خطأً منطقيًّا ومنهجيًا وإن كان علميًّا لا دليل عليه..!!؟

يستحيل استبعاد مستر فورد من المنظومة إلا عن طريق سفسطة جدلية عقيمة وهذه هي بداية الإلحاد ونهايته.

أصل الخير

الشر شيء إضافي ولا يوجد شر محض، بينما الأصل هو الخير وهو العنصر الثابت.

وهذا عكس كل دعاوى الملاحدة بخصوص كثرة البلايا والكوارث!

تُشير دراسات علم النفس الحديثة أن العالَم ليس مُحايد كما كان يتخيل الماديون منذ عشرات السنين، فكل إنسان يولد ولديه نقطة ضبط خاصة بالسعادة، أو بمعنى آخر مستوى أساسي من السعادة، وتحدث نوبات ارتفاع أو هبوط قصيرة الأجل، وسرعان ما يعود الإنسان لسابق عهده، فالإحساس بالألم أو الشر أو الضائقة هو إحساس وقتي إضافي ليس أصلي ويستمر غالبًا لفترة قصيرة جدًّا من الوقت، فالأشخاص الذين يُصابون بشلل نصفي إثر التعرض لحادث أليم يعودون إلى مستويات السعادة الأساسية خلال أشهر قليلة، والذين يتعرضون لمجاعات قاسية متكررة سرعان ما يعود مؤشر السعادة إلى مستواه الطبيعي مع استمرار نفس الظروف، وحتى عند الانفصال المفاجئ أو وفاة شريك الحياة يتأقلم معظم الناس مع الأمر أسرع مما كان يتخيل النفسيون عبر العقود الماضية، ويصل الناس جميعًا في النهاية إلى نفس المؤشر من السعادة مع أن الأمور تبدو ظاهريًّا مخالفة لهذه الحقيقة.[(١)].

ومهما تفاوتت معدلات الدخل يظل نفس القدر من السعادة هو المحصلة الأخيرة في النهاية!

ولذا يقول عالم النفس آيسنك " شعور الإنسان بالسعادة ؛ لأن لديه نقط ضبط يصل إليها بسهولة "[(٢)].

وكما قال تولستوي في روايته الحرب والسلام: "إن العذاب الناجم عن السير حافيًا لمدة أسابيع حتى تتشقق القدم وتدمي، هذا الألم لا يزيد كثيرًا عن الألم النابع من لبس حذاء ضيق وأنيق لسهرة ممتعة".

---

(1) D.T. Lykken, Happiness 186-189.

(٢) أشهر ٥٠ خرافة في علم النفس، سكوت لينينفيلد، ص١٩٢.

ويتظاهر لاعبو البيسبول الكبار من أجل الحصول على رواتب أعلى، في حين يبلغ متوسط الدخل السنوي للواحد منهم ٢,١ مليون دولار[١].

وهكذا يتضح أن معضلة الشر ليست هي الأصل بل الأصل هو الخير، وهكذا تنهار أُسطورة جديدة من الأساطير التي تأسست عليها ديانة كهنة الإلحاد الجديد!

وأصبحنا نحن الذين نطالبهم بإيجاد تبرير مادي لمعضلة الخير!

فلماذا الخير موجود، ولماذا هو الصورة النهائية والصيغة الأخيرة، والعنصر الثابت؟

وإذا كانت كل الأشياء مادية، وكانت الحتمية المادية هي المركز في هذا الكون فلن يبدو لنا فيه شيء خير أو شر، إن وجود الخير والشر دليل مباشر على أننا لسنا أبناء هذا العالم ولسنا مُفصَّلين على طراز المادية الحتمية!

---

(١) المصدر السابق ص ١٩١.

تحليل المعلومة

إذا نظرت في جميع أرجاء الكون فستظهر لك الخصائص التالية: الإحساس على كل المستويات، القدرة على الإحساس بالمعلومة ومعالجتها، وإخراج رد فعل ذكي، التكامل على كل المستويات، ذاتية التنظيم وذاتية التنسيق بين الكائنات، الوعي والانتباه، وهدف الوجود نفسه من الاختلاف الأكبر بين الكائنات، وكل كائن لديه إدراكه الخاص بالكون من حوله.

الأميبا وحيدة الخلية لو جاء بجوارها غذاء متحرك فانها تلف أذرعها حوله بحذر دون أن يهرب في حين لو كان غذاءًا ثابتا لا يتحرك – حبيبة نشا – فإنها تلتصق به دون احتراس، هذا كائن وحيد الخلية بلا مخ ولا عين ولا أعصاب ولا حواس

❁ **ما هي الحيـاة؟**

فالحيـاة شيء يختلف تمامًا عن اختلاط مجموعة من القواعد النيتروجينية لتكوين سلسلة أحماض أمينية..

الحياة شيء والنظام الجيني داخل نواة الخلية شيء آخر تماماً..

الحياة شيء ونظام التشفير الرباعي داخل نواة الخلية A T G C شيء آخر تمامًا

الإشكالية الكبرى تكمن فى البحث عن إمكانية خلق نظام معلوماتى ذكى بفعل الطرق الكيميائية كما يفترض التطوريون.

ويمكننا أن نقول بوضوح أنه لا توجد فرضية أو نموذج علمى يمكنه شرح كيفية نشأة الحياة من المواد الكيميائية الهامدة في الخلية المعقدة التى تتكون من كميات هائلة من المعلومات وتفسر مصدرها.

الدكتور فيرنر جيت Gitt Werner أستاذ الفيزياء ومدير قسم معالجة المعلومات في معهد الفيزياء والتكنولوجيا في براونشفايغ بألمانيا، يناقش أصل الحياة من وجهة نظر علم المعلومات مع العديد من الأمثلة التوضيحية والخوارزميات والمعادلات الملفتة للنظر.فى بحثه الرائع الذى حمل عنوان ((فى البداية كانت المعلومات In the Beginning Was Information)).

الدكتور [فيرنر جيت] يدلل على أنَّ المعلومات المشفرة لا يمكن أن تأتي إلا من مصدر ذكي. وبالتالي فإن شفرة الحمض النووي هي دليل على التصميم الذكي على وجه التحديد، وطريق مباشر إلى الخلق الإلهى.

يقول:"السؤال هو " كيف تنشأ الحياة؟ '،"ومن أين تأتي المعلومات؟

بعد نتائج [جيمس واطسون] و[فرانسيس كريك]، كان من الواضح على نحو متزايد من قِبل الباحثين المعاصرين أن المعلومات الموجودة في الخلية ذات أهمية حاسمة لوجود الحياة. أي شخص يريد أن يفسرمغزى أصل الحياة سيكون مضطرًّا إلى شرح كيفية نشأة المعلومات، جميع وجهات النظر التطورية غير قادره أساسًا على الإجابة عن هذا السؤال الحاسم ". ص٩٩

وفى سياق آخر يقول: "لا يوجد قانون معروف فى الطبيعة، ولا توجد عملية واحدة تشرح تسلسل الأحداث التي من الممكن أن تجعل المعلومات تنشأ من تلقاء نفسها". ص ١٠٧[١].

---

(١) "The question 'How did life originate?', which interests us all, is inseparably linked ot the question 'Where did the information come from'؟.

Since the findings of James D. Watson and Francis HC Crick, it was increasingly realized by contemporary researchers that the information residing in the cells is of crucial importance for the existence of life. Anybody who wants to make meaningful statements about the origin of life would be forced to explain how the information originated. All evolutionary views are fundamentally unable to answer this crucial question.

"There is no known law of nature, no known process and no known sequence of events which can cause information to originate by itself in matter".

الفَصلُ الثَّامِنُ

الداروينية بخور كنيسة الإلحاد الجديد

مُقَدِّمَة

الداروينية هي بخور كنيسة الإلحاد الجديد، وهي تقدمة القربان، وهي أسمن القرابين التي تُقدم على مذبح آلهة الإلحاد الجديد على الإطلاق.

ما كان يتخيل [تشارلز داروين] وهو يضع أطروحته الذكية في تطور الأنواع وهي أطروحة فلسفية تأويلية منذ وضعها داروين وحتى يومنا هذا، ما كان يتخيل أن تتحول تلك الأُطروحة إلى قانون إيمان عند كهنة الإلحاد الجديد لا يجوز التعرض له وإلا كان الشلح والطرد هو مصير الكاهن الذي يُشكك في صحة النظرية، إن الداروينية من منظور علمي إمبريقي تجريبي مُجرد لم تتقدم خطوة واحدة للأمام منذ تحدث عنها داروين منذ أكثر من قرن ونصف إلى يومنا هذا، ومع ذلك هي أحد مُسلمات كهنة الإلحاد الجديد!

هل تم رصد macro-evolution واحدة حتى الآن؟

الجواب بالاتفاق: لا... إذن هي نظرية خارج إطار العلم التجريبي... إنها فلسفة وليست علم ولكن كهنة الإلحاد الجديد جعلوا منها دينًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..

وفي هذا الفصل سنوضح أن الداروينية هي العلم الزائف ولا علاقة لها بالعلم..

الداروينية يتم تدريسها في كل جامعات العالم، إذن هي حقيقة!

الحُجة:

يحتج كهنة الإلحاد قائلين: الداروينية تلقى قبولًا واسعًا بين العلماء، ويتم تدريسها في جامعات العالم ؛ وهو عُنصر قوة يُضاف للنظرية!

الرد:

علم النفس يُدرَّس في جميع جامعات العالم.. هل تؤمن بوجود النفس زميلي المُلحد؟

مشروع ستار جيت Stargate Project فخر العسكرية الأمريكية والذي تم إنشاؤه عام ١٩٧٢ ودفعت فيه الحكومة الأمريكية ملايين الدولارات لتمويله، وهذا المشروع كان يهدف مباشرة لدراسة قدرة العرافين - نعم العرافين - على الحصول على معلومات مفيدة عسكريًا مثل منشأة نووية سوفيتية في فترة الحرب الباردة، وكان ممثلوا الحكومة يمدون العرافين بإحداثيات الطول والعرض للمنطقة المطلوب فحصها، ويبدأ العراف في الإدلاء بمعلوماته.. وظل البرنامج يعمل حتى عام ١٩٩٥.

هل تؤمن بالعرافين زميلي الملحد لمجرد أن أكبر دولة علمية في العالم ظلت تُطَبِّقه أكثر من عشرين سنة، وربما لو لم يتفكك الاتحاد السوفيتي لخرج علينا [باراك أوباما] مُعلقًا تعاويذ على بذلته، ولظل البصل مُعلقا في مداخل البيت الابيض خوفًا من عين [جورباتشوف].

أيضًا نظرية الفلوجستون كان يتم تدريسها رسميًّا في جميع جامعات العالم؛ وهي ترى أن كل عُنصر قابل للاشتعال يحتوي داخله على مادة الفلوجستون، وتبين فيما بعد أن الفلوجستون خرافة علمية!

ثم إن نظرية التصميم الذكي مثلًا تم السماح بتدرسيها رسميًّا في ولايات كنساس و جورجيا و أوهايو؛ هل هذا يُضيف قيمة أو حُجية أو برهان على قضية التصميم الذكي؟

وبعيدًا عن هذا وذاك فإن إطار التدريس الجامعي هو إطار تدريس مُعطيات لا مُسلَّمات، فهل مثلًا كليات اللاهوت في أغلب جامعات العالم، تؤكد صحة دين ما؟

إذن الأمر أبعد ما يكون عن الحُجية أو البرهان!

المناقشة الختامية:

بمنتهى الصراحة يا زميلي المُلحد! ستظل الداروينية خُرافة علمية pseudoscience بمقياس العلم التجريبي نفسه؛ حيث إنه علميًّا لا يوجد أبٌ واحدٌ مباشرٌ لأي كائن حي من المليوني نوع على وجه الأرض الآن، أيضًا علميًّا لم يتم رصد عملية تطور macro-evolution واحدة حتى الآن لا حفريًّا ولا بداهة رصديًّا، إذن تبقى الداروينية مجرد خرافة علمية ووهم لا يرقى لإطار النظرية العلمية.

ربما تقول لي: إن التطور عملية بطيئة تتطلب آلاف السنين. حسناً: لكن نحن عندنا مليوني نوع من الكائنات الحية المستقلة وبحساب معدل الظهور على زمن ظهور هذه الكائنات، ستكون النتيجة أنه لابد أن يظهر كائنٌ حيٌّ مستقلٌّ جديدٌ كلَّ بضعة ساعات، وآلاف الكائنات المتحورة كل دقيقة، هذا في الرصد التجريبي المباشر.

ونفس الكلام يُقال عن الرصد الأحفوري؛ فما الحال ونحن لا نعرف إلى الآن أبًا واحدًا مباشرًا لأي كائن حي على وجه الأرض!

لا نعرف الأب المباشر للإنسان مع أنه أعظم الكائنات وأرقاها وأقدرها على البقاء، ولا يتفوق عليه إلا الإنسان المُعاصر.!

لا نعرف عن الداروينية إلا المظهريات، بما أنَّ فلانًا يُشبه فلان إذن بينهما قرابة، وهذا من باب وضع العربة قبل الحصان، وهذا ليس علم وإنما تصنيف أنساب، وهنا تكمن المغالطة المنطقية الكبرى في الداروينية والتي تُسمى مغالطة الاستدلال الدائري؛ بما أن الإنسان يُشبه الشمبانزي إذن بينهما سلف مُشترك، وكان الأصح علميًّا وتجريبيًّا ومنطقيًّا أن يُوجد السلف المشترك أولًا قبل الحديث عن انشقاق الأبناء!

وكما يقول البيولوجي [جوناثان ويلز] في كتابه " icons of evolution: هل تشابه السحاب والآيس كريم يعني السلف المُشترك؟"

هل معنى تشابه السيارات في تركيبها الخارجي أنها من سلف مشترك؟ أم الأقرب منطقيًّا أن نقول: إنها مصنوعة على نظام مُعين؟

وقد أثبتت ثورة الجينوم أن الأجزاء المتناظرة في الكائنات الحية لا تتحكم فيها جينات مُتناظرة، فهناك غاية وقصد في الخلق، وصورة رائعة في النهاية، لكن ليس على طريقة الدراونة ولا كما يتمنون من قلوبهم.

أقوى عشرين دليلًا على كون التطور هو العلم الزائف Pseudoscience

➢ تعريف العلم الزائف **Pseudoscience**:

العلم الزائف هو ادعاء أو ممارسة يُقدَّم على أنه علم، ولكنه لا يلتزم أي طريقة علمية صحيحة، ويفتقر إلى التجريب، ولا يُمكن اختباره بشكل موثوق في غياب تام لعملية الرصد[١].

الدليل الأول: كيف بدأت الحياة على الأرض؟.. السؤال الأول في الداروينية بلا إجابة!!

اليوم نصل إلى القرن الحادي والعشرين، ونحن حتى الآن لم نحل المشكلة الأصلية بعد.. كيف بدأت الحياة على الأرض؟

Today as we leave the 20th century, we still face the BIGGEST PROBLEM that we had when we entered the 20th century: how did life originate on earth[2].

الدليل الثاني: ما هي الحياة؟.. السؤال الأهم والأخطر في الداروينية بلا إجابة!!

الداروينية رسميًّا لا تعرف ما هي الحياة حتى الآن..

فالحياة شيء يختلف تماما عن اختلاط مجموعة من القواعد النيتروجينية لتكوين سلسلة أحماض أمينية..

الحياة شيء والنظام الجيني داخل نواة الخلية شيء آخر تمامًا..

الحياة شيء ونظام التشفير الرباعي داخل نواة الخلية C G T A شيء آخر تماما..!!

الدليل الثالث: الانتخاب الطبيعي Natural Selection أصل الأصول في الداروينية لم يثبت علميًّا بالمقاييس العلمية إلى الآن..!!

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Pseudoscience.

(2) source:Jeffrey Bada, Earth, February 1998, p.40.

الدارويني الشهير عالم الحفريات البريطاني [كولين باترسون] يعترف قائلًا: " لا أحد في أي وقت مضى أنتج أحد الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، أو حتى اقترب منها، ومعظم مناقشات الداروينية الجديدة حول هذه القضية".

No one has ever produced a species by the mechanisms of natural selection. No one has ever Got near it, and must of the current arguments in neo-darwinism is about this question(1).

إلى الآن يظل الانتخاب الطبيعي Natural Selection خارج دائرة العلم Pseudoscience... حيث إنه لم يثبت تجريبيًّا!!

الدليل الرابع: رسميًّا نحن لم نُشاهِد أية طفرة Mutation مفيدة حتى الآن في الطبيعة أو في المُختبر..!!

عندما تحاوِر أحد أتباع نظرية التطور وتُثبت له أن آليات الانتخاب الطبيعي قاصرة عن إنتاج كل هذا العدد الهائل من الكائنات الحية – قرابة ٢ مليون نوع.. ولكل نوع خصائصه المتكاملة والمُستقلة – فورًا سيعترف لك بالأمر، وسيُحيلك إلى آلية الطفرات Mutations لتفسير هذه المعضلة..!!

وما نعرفه عن الطفرات هو التشوه في الكائنات الحية لا أكثر... لأن الطفرة تُتلِف الحمض النووي وتُتلِف المعلومة وتُحدث التشوه.

ولم تُشاهَد رسميًّا حتى الآن أية طفرة مفيدة سواءًا في الطبيعة أو في المُختبر.

إذن تظل أيضًا آلية الطفرات خارج دائرة العلم Pseudoscience..!!

الدليل الخامس: الطفرات والانتخاب الطبيعي شيء، وإضافة معلومات جديدة داخل جينوم الكائن الحي – نواة الخلية – شيء آخر تمامًا تمامًا تمامًا..!!

الطفرة بداهةً لا تُضيف معلومة وراثية جديدة.

هل هناك معلومات جديدة وُلدت مع الطفرة أو مع الانتخاب الطبيعي؟

---

(1) Source: BBC Cladistics march 4, 1982.

هذا ما ينبغي أن يُجيب عنه التطوريون... وما زلنا ننتظر الإجـابة..!!

الدليل السادس: كيف تزيد المعلومة الجينية داخل جينوم الكائن الحي؟.. أهم سؤال على الإطلاق في الداورينية الجديدة بلا إجابة؟

يجب أن يُثبِت لنا الداروينيون وجود آلية قادرة على إنتاج المعلومات الجينية الجديدة، التي لم تكن موجودة لإنتاج البُنى الأكثر تعقيدًا.

هل يملك أحد الداروينيين دليلا واحدًا على عملية تطورية تزيد من المعلومة الجينية في الجينوم؟

لأنه عندما كانت هناك خلية واحدة، والتي من ثَم أنجبت كل هذا التنوع،- حسب أدبيـات التطور - لم يكن هناك أي معلومات جينية للبشرة والشعر والقلب والدماغ..إلخ

لذلك حسب رأيهم يجب توليد المعلومات.

والسؤال هو: كيف يتم توليد المعلومات الجينية؟

الطفرة والانتخاب الطبيعي لا علاقة لهما بتوليد معلومة جديدة - جين إضافي -.. إذن يظل السؤال الأهم على الإطلاق في الداروينية الجديدة: كيف تزيد المعلومة الجينية داخل جينوم الكائن الحي؟ بلا إجابة..!!

الدليل السابع: التشفير داخل جينوم الكائن الحي هو عملية واعية لا علاقة لها بالصدفة..!!

جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي، مثل طول الشعر ووظائف الهضم ولون الجلد وتصنيع الطاقة، وكل شيء يحتاجه الكائن الحي يوجد مُشفرًا في نواة الخلية داخل شريط ال DNA في الكائن الحي بنظام التشفير الرباعي C G T A

نظام التشفير الرباعي هذا موجود في أدق الكائنات على وجه الأرض وأكثرها تعقيدًا...أيضًا نظام التشفير الرباعي C G T A ظهر مع أول الكائنات على وجه الارض - السيانو باكتريا - ويظل نظامًا حكريًا لكل الكائنات بلا استثناء - فيروسات، بكتريا، ثدييات، نباتات، زواحف، أسماك، حشرات، بريونات - نظام في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية..!!!!!!

هذا التشفير يؤكد أنه لا مجال للصدفة أو العشوائية في الأمر..!!

الدليل الثامن: كيف تتحول المعلومات - الأكواد الجينية المُشفَّرة- إلى وجود حقيقي في الكائن الحي morphogenesis؟

المعلومات التي يُتيحهـا نظام التشفير الرباعي C G T A كالكلمات المطبوعة على ورق.. كالشفرات المضغوطة على إسطوانة CD تحمل أدق تفاصيل الكائن الحي، لكنها مجرد شفرات لا أكثر كيف تنتقل هذه الشفرات إلى تشكيل الكائن على هيئته الحقيقية morphogenesis؟

كيف تتحول المعلومات إلى وجود حقيقي في الكائن الحي؟

كيف تتحول كلمات نخطُّها على أوراق نَصِف فيها هيئة إنسان، مهما بلغت تفاصيلها ودقتها، إلى إنسان حقيقي (من لحم ودم)!؟

ويبقى التساؤل الأهم مَن الذي وضع الشَّفرة قَبل فك التشفير؟

الدليل التاسع: الداروينية ماتت بسبب نظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept..!!

كتب داروين يقول: "إذا أثبتنا وجود أي عضو مُركَّب بحيث إنه لا ينشأ من تعديلات طفيفة متعاقبة فإن نظريتي ستنهار تمامًا..!!

If it could be demonstrated that any complex existed, which couldn`t possibly have been formed by numerous, successive, slight modifications, my theory will absolutely break down[1].

وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma – وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق – لديه ٤٦٨ جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ حمض أميني.

---

(1) Source: the origin of species p.189.

إذا كان التطور صحيحًا فنحن بحاجة إلى أن نبدأ من صفر جينة، إذا أردنا المرور من الهيدروجين إلى الإنسان.

أُكرر مرة أُخرى: إذا كان التطور صحيحًا، فنحن بحاجة إلى أن نبدأ من صفر جينة، إذا أردنا المرور من الهيدروجين إلى الإنسان.

لكن من الناحية النظرية لا يُمكن أن تنزل إلى أقل من ٢٠٠ جينة، وفي عدد ٦ يناير ٢٠٠٦ نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه " لا يمكن أن نتجاوز حاجز ٣٩٧ جين "

فإنتاج الطاقة وحده يتطلب ٦ جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حدٌّ أدنى من الجينات..!!

ولذا ظهرت نظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept والتي تقضي فعليًّا على الداروينية..!!

<u>**الدليل العاشر**</u>: متتالية التشفير الرباعي A T G C تحتاج إلى ملء الكون مليارات المرات من الكائنات المشوهة من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم..!!

المعلومات الرقمية على نظام التشفير الرباعي في شريط الحمض النووي DNA تحمل كل المعلومات الخاصة بالكائن الحي وأي عطب في نيوكليوتيدة واحدة أو تبدل واحدة مكان أخرى يعني خلل وعطب وتشوه في وظيفة حيوية من وظائف الجسم.. فمثلًا الجين المسئول عن سرطان الثدي يوجد به ٨ آلاف نيوكليوتيدة، وفي واحدة منها إذا وُجدت G بدلا من T يحدث السرطان بنسبة ٨٥٪... وفحص جين السرطان في معامل الأبحاث المتخصصة معناه فقط فحص هذه القاعدة النيتروجينية G في هذا المكان.

وشركة ميرياد لأبحاث الجينات MYRIAD GENETICS هي التي اكتشفت هذا الحرف G في هذا المكان ولذا فهي تملك براءة اختراع وتقوم حصريا بتحليل BRCA1 مقابل ١٤٠٠ دولار وتربح من ذلك أموالًا طائلة.

وفي هذه الحالة النادرة التي يتبدل فيها حرف مكان حرف تظل هذه مشكلة كامنة لا يُظهرها إلا نمط حياة غير سوي مثل تعاطي الهرمونات الأُنثوية بكثافة – حبوب منع الحمل–

أو ترك الرضاعة الطبيعية أو عدم الإنجـاب.. فهذه القاعدة النيتروجينية كأنها تحشو مسدس عدوك دومًا لكن من يضغط على الزناد هو نمط حياتك أنت.

وإذا تجاهلنا معضلة الحياة، ومعضلة القواعد النيتروجينية التي تتجمع معًا، ومعضلة الـmorphogenesis.. وطلبنا الحد الأدنى من الجينات لإنتاج أدنى كائن حي على الإطلاق الميكوبلازما MYCOPLASMA فنحن نحتاج إلى ملء الكون كله مليارات المرات من الكائنات المشوهة الميتة، غير الصحيحة في ترتيب قواعد الـC G T A، من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم من الميكوبلازما MYCOPLASMAحيث إن عدد القواعد النيتروجينية في الميكوبلازما هو نصف مليون قاعدة نيتروجينية تقريبًا، ولترتيب نصف مليون قاعدة نيتروجينة بالصدفة فالاحتمال هو ١٠ أُس ٢٥٠,٠٠٠ في حين أن عدد ذرات الكون كُله ١٠ أُس ٨٠...!!

<u>الدليل الحادي عشر</u>: أنصاف البشر – الإنسان القرد – أُسطورة علمية..!!

مشكلة الداروينية الأصيلة أنها تُفرَض على الناس من خلال رسوم مُتخيلة مُزيفة تظهر بانتظام في أكبر الدوريات العلمية.. ولا تكاد تخلو مجلة علمية من أنصاف البشر – الإنسان القرد – مع أن هذا أمر خارج إطار العلم رسميًّا حتى الآن...!!

ويصل التضليل إلى حد وصف حياة اجتماعية كاملة لأنصاف البشر مع عائلاتهم مع رسم ذكي للبيئة المحيطة.

ولا يكاد يخلو فيلم وثائقي في التطور من أنصاف البشر..

بل ويمكن للجمجمة الواحدة المُكتشفة أن تُعطي أكثر من انطباع لدى ورش العمل الداروينية، فالمتحجرة زينجينترابوس أنجبت ثلاث عمليات إعادة بناء مختلفة..!!

والمدهش في الأمر أن الداروينية تتجاوز الجُمجمة إلى رسم الكائن الحي كاملًا بأنسجته الطرية، وصنع مُجسمات وهمية في ورشات تتكلف الأموال الباهظة مع أن هذا يخضع للعلم الزائف.

[إيرنست هوتن] بجامعة هارفارد يؤكد أن "إعادة التجسيم هذه لا قيمة علمية لها وأي جمجمة يمكن للحِرفي الماهر أن يستخدمها في تشكيل شمبانزي أو فيلسوف ماهر بنفس المعطيات.. هذه الأمور موجودة فقط لتضليل الجمهور".

You can with equal facility model on a neanderthaloid skull the features of a chimpanzee or the leneaments of a philosopher these alleged restorations of ancient types of man have very little if any scientific value and are likely only to mislead the public[1].

الدليل الثاني عشر: القرد الأفريقي الجنوبي – لوسي – هو أحد أنواع القِردة المنقرضة لا أكثر..!!

دور البطولة في النظرية الداروينية من نصيب قرد منقرض يُدعى [اوسترالوبتيكس] australopithecus afarensis ويعني القرد فجأة.. ظهرت حفرياته على يد [ريموند دارت] ١٩٢٤...، ورسميًّا لا يوجد فارق بين عظامه المكتشفة وعظام الشمبانزي.. لكن الداروينية ادعت أنه يمشي منتصبًا.. إلى أن جاء أشهر علماء التشريح عالميًّا [اللورد سالي زيكيرمان] والبروفيسور [تشارلز أوكسنارد] " وفنَّدا هذا الادّعاء.. وتبين أن القرد الأفريقي الجنوبي – لوسي – هو أحد أنواع القردة المنقرضة لا أكثر.

ويوجد ٦٥٠٠ نوع من القردة بعضها منقرض... من خلالها يسرح الدراونة بمخيلاتهم كما يشاؤون..!!

ولذا في المجلة الفرنسية الشهيرة العلم والحياة science et vie عدد مايو ١٩٩٩ كتبت بالمانشيت العريض adieu lucy أي "الوداع يا لوسي"

الدليل الثالث عشر: الإنسان المنتصب والعامل والعاقل القديم.. كلها سخافات داروينية..!!

(1) Source: up from the ape p.332.

يتحدث الداروينيون باستمرار عن الإنسان المنتصب [هومو اريكتس] والانسان العامل [هوموارغاستر] والانسان العاقل القديم [هوموسابين نياندرتال]..، وكل هؤلاء بشر عاديون من أجناس مختلفة لا أكثر...، فحفرياتهم مطابقة للهيكل الإنساني والاختلافات الطفيفة هي اختلافات ما زالت توجد اليوم بين الأعراق البشرية المختلفة..، وهذا كلام عالم الحفريات [ريتشارد ليكي] "الانسان المنتصب [هومواريكتس] والإنسان المعاصر نوع واحد، وهذه الاختلافات أقل من الاختلافات التي نراها اليوم بين أجناس منفصلة جغرافيا من الإنسان الحديث".

These differences are probably no more pronounced than we see today between the separate geographical races of modern humans(1).

الدليل الرابع عشر: نظرية التطور محرومة من كل صفات الفرضية العلمية وليست أكثر من اتجاه أيديولوجي..لذا هي مليئة بالغش والخداع!!

اعترف [أرنست هيجل] رسميًّا بتزييف صور الأجنة التي دلس بها على داروين والتي ظلت أحد أيقونات الداروينية زمنًا طويلًا في مقالته المنشور ١٤ ديسمبر ١٩٠٨، والمُعنونة بـ تزوير صور الأجنة. وإلى يومنا هذا ما زال الملحد العربي يستخدمها بمنتهى الغباء على الرغم من مرور أكثر من قرن على اعتراف صاحبها بالتزوير الرسمي في العلم..!

إنسان [بلتداون] Piltdown man الذي كُتبت فيه قرابة خمسمائة رسالة دكتوراه اكتشف بعد قرابة ٤٠ عام أنه حفرية تم تزييفها على يد دارويني ماكر..!!

أيضـًا من ضِرس واحد اكتشفوه غرب نبراسكا قرر الداروينيون أن هذا الضرس اليتيم يحمل صفاتٍ مشتركةً بين كل من الإنسان والقرد ورسم الفنانون الشكل المُتخيل لهذه الحلقة المفقودة بل رسموا عائلته وزوجته وأبناءه... وسريعًا تم إعطاؤه اسمًا علميًّا هو Hesperopithecus haroldcooki.

---

(1) The making of mankind, london, sphere books, 1981, p.62.

وبعد خمس سنوات من هذا الأمر اكتشفوا أن هذا الضرس يخصّ نوع منقرض من الخنازير الأمريكية البرية يسمى prosthennops.

وهذا يؤكد أن هناك أمرا آخر لا علاقة له بالعلم..

واليوم أثبت العلم أن التغيير في أقل جزيء في جسم الكائن الحي.. يوجب تغييرات في غاية الدقة والتعقيد وحسب تخطيط مُحكم لا يسمح بأي خطأ كان..لكن لن تعترف الداروينية بكل هذه الشروط.!!

الدليل الخامس عشر: مَن هو الأب المباشر للإنسان المُعاصر..؟

كيف يكون الأب المباشر للإنسان المُعاصر غير معلوم حتى الآن مع أنه أقوى الكائنات تُرا، وأقدرها على التكيف، ولا يوجد في التاريخ الحيواني أعظم منه إلا الإنسان المعاصر... مَن هو الأب المباشر للإنسان المعاصر.. كيف نكون وصلنا للقمر ووصلنا لأعمق نقطة في جميع المحيطات – خندق ماريانا – ووصلنا للسيانو باكتريا وللهجيز بوزون ولم نصل بعد للأب المباشر للإنسان المعاصر..!!

الأب المباشر للإنسان المُعاصر المفترض أنه يـأتي على قمـة المملكة الحيوانية فهو سيدهـا، وأقواها، وأكثرها تواجدًا وثباتًا، وأقدرها على التكيف، ولا يفصل بيننا وبينه شيء.. أين هو هذا الكائن؟ إننـا نواجه نظرية ليست مليئة بالثقوب بل هي غير منسوجة أصلاً.. إنها العلم الزائف Pseudoscience.

الدليل السادس عشر: مَن هو الأب المباشر لأي كائن حي على وجه الأرض؟

المنهجية العلمية لابد أن تكون قابلة للملاحظة وقابلة للتكرار هذا شرط في العلم التجريبي بدون هذا الشرط تتحول النظرية إلى فرضية شوهاء..

وقابلية الملاحظة أو قابلية التكرار هذه أمور لم نرصدهـا في تاريخ الداروينية كله.. فلم يحدث أن وجدنا الأب المباشر لأي كائن حي موجود على وجه الأرض – ٢مليون نوع–.

دائمًا الداروينيون يتحدثون عن أسلاف، وجدود الجدود، وتغيرات يستحيل ملاحظتها مختبريًّا، ولم يتم رصدها حفريًّا إلى اليوم.. ومع ذلك فالأسلاف وجدود الجدود ما زالوا موجودين حولنا! فلماذا لا نعتبر هذا تنوعًا في الطبيعة، وليس تطورًا داروينيًّا..!!

يقولون لنا: القطط والكلاب من أصل واحد... أين هو هذا الأصل؟.. الكلاب والذئاب من أصل واحد.... أين هو هذا الأصل؟

لماذا دائمًا الأصل خجول للغاية في كل مكان، ولم يظهر يومًا ما؟

مشكلة الداروينية أنها لا تملك الآلية التي تُقرر بها متي تكون الأحفورة المُكتشفة كائنًا مستقلًّا أم حلقة مفقودة أم دليلًا أحفوريًّا؟..، الخيال هو أصل النظرية..، نظرية الداروينية دائما تضع العربة قبل الحصان..!!

الدليل السابع عشر: استحالة نشأة بروتين واحد بالصدفة..!!

البروتين هو مُركب وظيفي بيولوجي وحدة بنائه الأساسية هي الأحماض الأمينية، وهو يتكون من سلسلة طويلة جدًّا من هذه الأحماض الأمينية، ويوجد في سيتوبلازم الخلية ٢٠ حمض أميني، والأحماض الأمينية أيمن وأيسر كأنهما مرآه، وعلى الرغم من التماثل التام وكلاهما يدخل في تفاعل كيميائي إلا أن اختيار البروتين يكون أيسر فقط ؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين في مرحلة الطي..، ويوجد في أبسط بكتريا على الأرض ألفا نوع من البروتينات على الأقل..

والمطلوب لتخليق بروتين أن نحصل على الكود الخاص به من نواة الخلية بحيث يتوافق هذا الكود مع الترتيب الخاص بحمض أميني من الأحماض التي تُكوِّن البروتين.. ،وفي كل مرة يجب أن يتوافق الكود مع الحمض الأميني المماثل وهكذا..،وعندنا بروتين مثل بروتين الكولاجين سلسلته تتكون من ١٠٥٥ حمض أميني، إذن الاحتمالية لتخليق بروتين الكولاجين بالصدفة تصبح ١٠ أس ٥٢٧، والأمر لن يتوقف عند ذلك فلابد أن تكون السلسلة عسراء – لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي – وهنا يصبح الاحتمال ١٠ أس ٥٢٧ مضروبا في ٢ ليصبح ١٠أس ١٠٥٤، وهذا هو الجنون الرياضي..،فاحتمالية الشيء إذا زادت على ١٠ أس ٥٠ فإنها تساوي الصفر رياضيًّا...، وجميع الذرات في الكون هي ١٠ أُس ٨٠ ذرة...، ومضى على الانفجار الكبير ١٠أُس١٧ ثانية...، وهذا يعني أن ١٠ أُس ١٠٥٤ هي الجنون بعينه، وهذه هي احتمالية تكوين بروتين واحد مع أن أبسط الكائنات الحية على الإطلاق به آلاف البروتينات المُتخصصة...!!

كل هذه الأمور تجعل من الصُدفة مجرد لغو فارغ ، ولذا يقول [ويليام ستوكس] العالم الدارويني: " لو أحضرنا مليارات الكواكب مثل كوكب الأرض وامتلأت كل هذه الكواكب عن آخرها بالأحماض الأمينية، وانتظرنا عليها مليارات السنين فلن نحصل على بروتين واحد"[1].

الدليل الثامن عشر: طيَّات البروتين لا يوجد مبرر مادي لها وهي أصل الحياة...

بعد أن يتشكل البروتين يقوم بمجموعة من الحركات البلهوانية ويدخل في طيَّات و التواءات وانحناءات كثيرة للغاية Protein Folding حتى يُحقق الوظيفة المطلوبة منه...، ولا يوجد في النهاية إلا شكل محدد بالضبط وإلا فقد البروتين وظيفته..، ويقوم البروتين بملايين الطيات للوصول في النهاية للطيَّة الصحيحة كل هذا في جزء من مليون جزء من الثانية..، وبعد أن يأخذ شكل الطية المناسبة يقوم بوظيفته المحددة...، فعلى سبيل المثال الزوايا والشقوق في طيات أي إنزيم هضم ـ وهو أحد البروتينات ـ يمكنها أن تحتجز جزيئات النشا ثم تقترب بعد ذلك الكيماويات التي تحللها إلى سكر..، وبالمثل تكمن البكتريا والفيروسات بقوة في ثنايا وطيّات الأجسام المضادة التي تمسكها بإحكام..، ولو تأخر البروتين لجزء من ألف جزء من الثانية أثناء الطي فإن سلسلته الطويلة ستلتصق على نفسها ويتوقف عن العمل..، واحتمالية الأشكال التي تظهر بعد الطي لا نهاية لها، ولو خرج البروتين بشكل واحد مخالف للشكل المطلوب سيتوقف عن العمل..،هذه رقصة بيولوجية مذهلة للعقل تتم داخل كل خلية حية مجهرية في كل لحظة، وهذه الطيَّات لا معنى مادي لها، ومع ذلك هي أصل الحياة وبدونها يفقد البروتين وظيفته.

الدليل التاسع عشر: خُرافات الداروينية المُضحكة..!!

تفترض الداروينية أن البقرة يجب أن تتحول إلى حوت حيث التصقت أرجلها الخلفية يومـًا ما وارتفع أنفها إلى أعلى وعامت تحت الماء...، طبقا لبرلنسكي عالم الرياضيات الشهير فإنه عندما تقرر البقرة أن تتحول إلى حوت فإنها بحاجة إلى ٥٠ ألف تغير جسدي بها، يتبعها ٥٠ ألف تغير في الجينات ولا بد أن تكون هذا التغيرات متزامنه، ولابد أيضًا من وجود

---

(1) The Origin Of Species Revisited.. W.R.Bird P.305.

ملايين الكائنات المشوهة الوسيطة في كل تغير، والنتيجة التي نعرفها جميعًا أنه لا وجود لهذه الكائنات الوسيطة وفي النهاية يبقى السؤال مَن هو الموجِّه لهذا التغير..!!

أيضًا تفترض الداروينية أن بعض صغار الزواحف بدأت تلعق عرق الأُم لتلطيف جسمها وفجأة تحول هذا العرق إلى لبن..، وهذا مستحيل لأنه ببساطة لبن الأم به تعقيد غير قابل للاختزال فاللبن موجود منذ البدء بعناية وتركيز معين حسب عُمر الجنين، وضبط مُعين دقيق للأجسام المناعية، وكمية البروتين..!!

أيضًا تفترض الداروينية أن بعض الديناصورات حاولت أن تقفز من الأشجار العالية، ومع الوقت ومع تكرار القفز تحولت أرجلها الأمامية إلى أجنحة وطارت في السماء وصارت عصافير جميلة...فيما يُعرف بنظرية dino-bird theory.

هذا الكلام علينا تصديقه، والتسليم بصحته، باسم الداروينية..!!

الدليل العشرون: انهيار الداروينية يعني انهيار منظومة الإلحاد ككل.. ولذا فهي الحل الأوحد والأخير.. وهذا لا يعني إطلاقًا أنها الحل الصحيح!!

إما أن المخلوقات خُلقت خلقًا مباشرًا أو تطوَّرت من بعضها البعض لا يوجد بديل ثالث..!!

إذا سقط التطور سقط الإلحاد

إذا سقط التطور انتهت اللعبة

إما تطور وإما خلق مباشر..!!

بعض الداروينيين يعترفون أنهم يتمسكون بالداروينية؛ لأنها الحل الأوحد ماديًّا....، لكن هذا لا يعني إطلاقًا صحة النظرية ولا يضيف لها دليلاً..!!

يقول [فيليب جونسون] Phillip E. Johnson أُستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا إن: "العلماء يتمسكون بالداروينية على الرغم من هشاشة الفكرة خوفًا على وجاهتهم ومستقبلهم الوظيفي، ولن ينالوا دعمًا لبحوثهم وسيصبحون عُرضة للطرد، أيضا مشكلة أيديولوجية كبرى فالعلماء عندما يقولون الداروينية غير صحيحة إذن ما هو الصحيح في تفسير نشأة

الحياة؟ ... هم يتمسكون بنظرية خاطئة، إذا كان البديل عدم وجود نظرية أُخرى وهذا بالضبط الحاصل الآن".

ورسميًّا يتم طرد أي عالم بيولوجي غربي.. أو يقل الدعم لأبحاثه إذا قام بالتشكيك في الداروينية.. إنه الإرهاب باسم العلم.. وتم عمل فيلم المطرودون الوثائقي الذي يروي معاناة عشرات العلماء من المُشككين في الداروينية.. والفيلم مُترجم كاملًا على هذا الرابط..!![1].

وفي عام ٢٠٠١ تم تأسيس موقع www.dissentfromdarwin.org لينشر فيه العلماء المشككون في الداروينية آراءهم، ورسميًّا وصل عددهم حاليا للآلاف، منهم [وليام ديمبسكي] الحاصل على تسع شهادات جامعية، و [جوناثان ويلز] العالم البيولوجي الشهير، و [ديفيد بيرلنسكي] عالم الرياضيات، وغيرهم الكثير..!!

---

(1) http://www.youtube.com/watch?v=9vOVUG7uEao.

الداروينية تخالف مفهوم النظرية العملية

تعريف النظرية العلمية:

النظرية العلمية هي بناء محكم أو منظومة تصف الظواهر الطبيعية تكون مستندة إلى الدليل والشاهد من خلال التجربة، وهي تعبير منظم ومصاغ يُبنى على كل الملاحظات السابقة ويمكن استخدامه في التنبؤ بالظواهر، ومنطقي البناء، وقابل للاختبار والتجربة ولم يسبق أن تم نقضه.

النظرية هي بناء محكم:

لكن الداروينية متفككة لأبعد حد، ولا يوجد أب واحد تطوري لكائن حي واحد على وجه الأرض الآن، ولا نعرف مَن هو الأب المباشر للإنسان الحالي الذي هو أكثر الكائنات تمييزًا وتطورًا، وهو أيضًا أكثر الكائنات محاولةً للحفاظ على نفسه قبل ظهور الإنسان الحالي، هل يُعقل أنه لا يوجد لهذا الأب أي أثر على وجه الأرض مع أننا وصلنا للهيجز بوزون وللسيانو بكتريا؟ فهل يُعقل أن نظل عاجزين عن الوصول لأرقى كائن حي في الوجود وأحرص الكائنات على نفسه وأفضل كائن استطاع أن ينتصر في منظومة الصراع من أجل البقاء؟ ومع ذلك لا نعرف من هو!

النظرية العلمية مستندة إلى الدليل:

أين هو الدليل في النظرية الداروينية؟ أصل الداروينية نظرية فلسفية تأويلية لا أكثر!

النظرية العلمية مستندة إلى الدليل والشاهد من خلال التجربة:

لا تعرف الدارورينية كلمة تجربة، فالداروينية قامت على أن بروز الأنف هام للنظارة إذن ظهر البروز الأنفي لبحث الإنسان عن مكان يُعلق عليه نظارته... هذه هي التجربة الداروينية.. العربة قبل الحصان..!

النظرية العلمية هي تعبير منظم ومصاغ يبنى على كل الملاحظات السابقة:

لا تملك النظرية الداروينية أي ملمس من التنظيم أو الصياغة! فمثلًا حشرة Tardigrade هذه الحشرة لا يتعدى طولها ٢ ملليمتر بحجم النقطة التي توجد في آخر الجملة، تتحمّل هذه الحشرة التعرّض لدرجة حرارة ٢٧٣,٩ـ° لمدّة ٢٠ ساعة، وتتحمَّل

درجة حرارة إلى حدّ ١٩٠°+، تعيش تحت ضغط مائي ستاتيكي ٦٠٠ ميغاباسكال (ستة مرّات درجة الضغط بأسحق المحيطات) مع العلم أنّ ٣٠ ميغاباسكال كافية لسحق الخلايا وإحداث أضرار بالغشاء الخلوي والبروتونات، لماذا تُدجّج حشرة الTardigrade بهذا الكمّ من المقدرة على تحمّل ظروف لاتتواجد في الطبيعة ولم تتواجد ولن تتواجد؟ أين التنظيم والصياغة في الداروينية؟ هذه الحشرة تسير عكس التنظيم وعكس الصياغة؛ لأن أرقى الكائنات لا يوجد به سلاح واحد من أسلحتها..أرقى الكائنات يفقد أبسط أسلحة هذه الحشرة، إذن هذه الحشرة تمثل ردة على الداروينية! وتؤكد عجز الداروينية في تحليل ظاهرة المنظومة الحياتية على الأرض!

النظرية العلمية يمكن استخدامها في التنبؤ بالظواهر:

شرط النظرية العلمية أن تكون قادرة على التنبؤ، هذا شرط للنظرية العلمية، لكن الداروينية لا تمتلك شرط التنبؤ ولا تعرف شيء عن التنبؤ، ولو حصلنا على المحتوى المعرفي للمادة قبل ظهور حياة فيستحيل أن نتنبأ بظهور حياة، ولو حصلنا على المحتوى المعرفي لأي كائن يستحيل أن نتنبأ بالاتجاه الذي سوف يتطور له هذا الكائن!

النظرية العلمية لم يسبق أن تم نقضها:

تم نقض الداروينية تنظيريًّا وحيويًّا وأحيائيًّا وفيزيائيًّا وكيميائيًّا ورياضيًّا وإحصائيًّا بل وحتى فنيًّا..!

تم نقض الداروينية تنظيريًّا على يد كبار العلماء، عندما يقرر [وليم ديمبسكي] الحاصل على تسع شهادات جامعية، منها دكتوراه في الفلسفة، ودكتوراه في الرياضيات من جامعة شيكاغو عندما يقرر في كتابه The Design of Life، أن الداروينية أُسطورة لا علاقة لها بالعلم، ويؤكد ذلك بالأدلة وهو رسميًّا انتصر في عدة مناظرات أجراها مع مناصري نظرية التطور.. ثم نترك كلامه لكهنة الإلحاد الجديد فالأمر فلسفة ودين وليس علم!

تم نقض الداروينية حيويًّا فالكائنات الضعيفة ما زالت تحيا جنبًا إلى جنب مع الكائنات القوية – رغم أنف كل دارويني –.

تم نقض الداروينية أحيائيًّا عن طريق حشرة ال Tardigrade التي تحدثنا عنها سابقًا.

تم نقض الداروينية فيزيائيًّا فقد تم اكتشاف الدور المذهل الذي يلعبه أُوكسيد النيتروجين في التواصل بين الخلايا وأوكسيد النيتروجين NO مجرد ذرة لا أكثر، مليارات المليارات منه لا تملأ هذه النقطة في آخر الجملة.، ينقل أوكسيد النيتروجين الأمر بالاتساع إلى الأوعية الدموية، مما يعني الضبط التام لضغط الدم، تخيل ان إشارة هذه الذرة جاءت خاطئة أو في غير موعدها.. هذا يعني موت فوري للانسان، بل إن ذرة أوكسيد النيتروجين تتحلل بعد عشر ثواني فقط من القيام بمهمتها ثم تأتي غيرها وتدخل جميع الأوعية الشعيرات والتي يبلغ طولها ١٠٠ كيلو متر لتقوم بتبليغ الرسالة وضبط ضغط الدم ثم تتحلل وهكذا..، تخيل مهمة في غاية الخطورة تُوكل لذرة بلا عقل ولا حياة، ولا يملك أوكسيد النيروجين أية بوصلة في طريقه بين الشعيرات والشرايين ولا يضل طريقه أبدًا، وهو ذرة بهماء لا تملك من سُبل التعقل البيولوجي شيئًا، وهذه ذرة لا تتطور فهي ذرة بهماء موجودة على الأرض منذ نشأتها إلى الآن ولم تتطور ولم يتم انتخابها طبيعيًّا، ومع ذلك تقوم بوظيفة غاية في الخطورة والدهشة مما يعني الغاية من الخلق والقصد المباشر وهِبة العقل حتى للذرات، ثم يأتي الملحد ويقول صدفة وتطور وفهلوة، تخيل لو انطلقت داخل دمك ذرتان أوكسيد نيتروجين بدلًا من ذرة واحدة لصار ضغطك الآن ٢٤٠/ ١٦٠، ذرة عديمة الشكل واللون والحجم والتعقل والهدف والبوصلة والحياة تتحكم في الإنسان كل ١٠ ثواني من عمره، ولم تُكتشف هذه الذرة أو هذا الجزيء إلا في تسعينيات القرن العشرين وقد أطلق عليها في عام ١٩٩٢ ذرة الموسم في أمريكا، وطبقًا لوظيفة أوكسيد النيتروجين، فإننا لو حسبنا الأمر بالمصادفة فإنه سيحيا إنسان فقط لكل ٣٠٠ مليار نسمة، وهذا الإنسان الوحيد سيدخل في احتمالات الوفاة المباشرة كل ١٠ ثواني – لأن أوكسيد النيروجين ينحل كل ١٠ ثواني – وسيكون الاحتمال أن يبقى على قيد الحياة لعشرين ثانية فقط هو واحد على ٣٠٠ مليار.

إن الكفر بالخالق المُنعم المبدع العظيم هو أغبى شيء في هذا الوجود، وهو أحقر قرار يمكن أن يتخذه أحد تجاه صاحب كل الفضل والخير والمنن والنعم عليه.

إذا كان إشراك آلهة صغيرة مع الله – الابن والروح القدس في المسيحية والأصنام في الوثنيات الأخرى – هو شتم وسب مباشر لله كما في الحديث القدسي فما بالنا بالذي ينكر الله من الأصل.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

تم نقض الداروينية كيميائيًّا فمن أجل إنتاج بروتين واحد بسيط وظيفي نحن بحاجة إلى برميل يوجد بداخله خليط من الأحماض الأمينية بشرط أن يكون حجم هذا البرميل مليارات مليارات مليارات أضعاف حجم الكون، ويأخذ فترة من الوقت مليارات مليارات مليارات أضعاف عمر الكون.... كل هذا من أجل إنتاج بروتين وظيفي بسيط مثل بروتين الجلوبين الموجود داخل الهيموجلوبين الذي يحمل الأكسجين على كتفه وينقله من الرئة الى خلايا الجسم المختلفة.. ويوجد بالجسم بلايين البروتينات لكلٍّ منها وظيفة محددة لا يتعداها، وغاية لا يحيد عنها وأول الكائنات على الإطلاق - السيانو بكتريا - تكتظ بآلاف البروتينات الوظيفية عالية التخصصية.. كل بروتين منها احتمال نشأته تحتاج إلى البرميل سابق الذكر.

تم نقض الداروينية رياضيًّا فطبقًا لبرلنسكي عالم الرياضيات فإنه عندما تقرر البقرة أن تتحول إلى حوت - طبقا لفلسفة التطور - فإنها بحاجة إلى ٥٠ ألف تغير جسدي بها، ولا بد أن تكون هذا التغيرات متزامنة، ولابد أيضا من وجود ملايين الكائنات الوسيطة في كل تغير، والنتيجة التي نعرفها جميعا أنه لا وجود لأي من هذه الكائنات الوسيطة وفي النهاية يبقى السؤال: مَن هو الموجه لهذا التغير؟.

تم نقض الداروينية إحصائيًّا فإننا لو استخدمنا سرعة التنوع بين الكائنات الحية بالمُعدل الزمني لظهورها لكان المُفترض أن نصل اليوم لمرحلة أنه كل بضعة ساعات تتطور كائنات حية مِن كائنات أُخرى، وتظهر كائنات لأول مرة على ظهر الأرض كل بضعة ساعات قليلة وطبعًا هذا في الحواديت فقط.

تم **نقض الداروينية فنيـًّا**- وهذه كلمة فقط من باب الدعابة- لكن في الواقع أنه بعد أن يتشكل البروتين يقوم بمجموعة من الحركات البلهوانية ويدخل في طيَّات و التواءات وانحناءات كثيرة للغاية Protein Folding حتى يحقق الوظيفة المطلوبة منه، ولا يوجد في النهاية إلا شكل محدد بالضبط وإلا فقد البروتين وظيفته، يقوم البروتين بملايين الطيات للوصول في النهاية للطية الصحيحة كل هذا في جزء من مليون جزء من الثانية، وبعد أن يأخذ شكل الطية المناسبة يقوم بوظيفته المحددة، ولو تأخر البروتين لجزء من ألف جزء من الثانية أثناء الطي، فإن سلسلته الطويلة ستلتصق على نفسها ويتوقف عن العمل، واحتمالية الأشكال

التي تظهر بعد الطي لا نهاية لها ولو خرج البروتين بشكل واحد مخالف للشكل المطلوب سيتوقف عن العمل، بل المدهش أن البروتين إذا انطوى بالشكل الصحيح فكل شيء على ما يرام، أما في حالة حدوث أي مشكلة تقوم البروتينات المقترنة بنجدته مرةً أخرى، وهكذا تحصل معظم البروتينات على فرص كافية، لكي تصل إلى الطيّة الصحيحة في النهاية.. هذه كانت رقصة بيولوجية مذهلة للبروتين؛ ولذا أسميناها تحديًا فنيًّا تتم داخل خلية حية مجهرية لا تُرى بالعين المجردة، ولا يملك من يملك ذرة عقل أمام هذا التحدى إلا أن يخر ساجدًا للخالق القدير الذى قال: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١].

الداروينية الاجتماعية

نظرًا لكون الداروينية مجرد عقيدة فلسفية تأويلية تتبنى منظومة الصراع من أجل البقاء ثم للأصلح، فقد نشأت في كنفها فلسفات دموية تُترجم هذه الفلسفة في الحياة على أرض الواقع

فظهرت الداروينية الاجتماعية، وهي أشهر مدرسة في إباحة القتل الجماعي في أوربا في القرن العشرين باسم التطور والبقاء للأصلح وقتل الآخر؟

داروينية اجتماعية Social Darwinism : الأقوى يسيطر ثقافيًّا وفكريًّا وبيولوجيًّا والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت..!!

أيَّة محاولة لمعاندة هذه المدرسة من جهة الملحد تعني أنه ضد التطور..

ما الفرق بين الإنسان والبكتريا؟ ما الفرق بين قتل ملايين البكتريا بمجرد غسل اليدين وبين إبادة حضارة بشرية بأكملها؟

لماذا البحث عن غائية للإنسان؟

لماذا الحرص على الضعفاء والمرضى والمساكين.؟ مجرد الحرص عليهم أو الدفاع عنهم هو سير في وجه الانتخاب الطبيعي..! سير في وجه قوانين طبيعية

بل إن إبادة المعاقين هو تصرف دارويني لا غبار عليه.

يقول [جيمس هل] James J. Hill: "إن الثروات تُحدَّد طبقا لقانون البقاء للأقوى".

يقول [تايل] Tille:" من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودي الإنتاج... مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الدروينية؛ لأنه يتعارض أساسًا مع الانتخاب الطبيعي natural selection وهو جوهر الداروينية".

طبقًا لسبنسر Social Status, p.414-415 فإن فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم، تعارض أبسط بدهيات الانتخاب الطبيعي، إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم يتأتي في تحد صارخ لقانون الطبيعة.!!

بل إن أصل الصراعات في الحربين العالميتين الأولى والثانية كان بسبب التنظير الإلحادي والرؤية المادية للبشر وتفضيل جنس على جنس ولون على لون، وهذه الرؤية هي رؤية إلحادية ١٠٠٪.

يقول [تشارلز داروين] في كتابه أصل الإنسان في الفصل السادس ما يلي: "في مرحلة مستقبلية معينة، ليست ببعيدة، سوف تقوم الأعراق البشرية المتحضرة على الأغلب، بالقضاء على الأعراق الهمجية واستبدالها في شتى أنحاء العالم".

وهذا ما حدث بالفعل خلال قرن واحد من مقولته تلك، فقد قامت حربان عالميتان أُبيد فيهما مئات الملايين من البشر (٦٥ مليون قتيل و١٥٠ مليون مصاب ومُعاق)

يقول عالم التاريخ الأمريكي [توماس ناب] Thomas knapp من جامعة لويال: "كان الناس ينتظرون الحرب قبل عام ١٩١٤ بمنتهى الشغف وكانوا يتمنون قيام الحرب، وكان الدافع لسيطرة هذا الفرح عليهم هو سيطرة الداروينية الاجتماعية على الناس في تلك الفترة حيث طُبقت في مدارس أوربا، فهي ترى الحرب دافعًا للرقي للأقوى ودافع للنشاط، فانطلاقًا من الداروينية الاجتماعية، فالحرب حتمية بيولوجية لارتقاء الأقوى عبر مبدأ الصراع الدارويني.

فالقتال وسفك الدماء هو قانون الطبيعة الإلحادي البارد.

كتب القائد النمساوي المجري الجنرال [فان هودزاندورف] القائد الكبير في الحرب العالمية كتب يقول بعد انتهاء الحرب: "الحرب قانون الطبيعة...علينا أن ننسى قليلًا ما تدعونا إليه الأديان"[(١)].

كتب [فريدريك فوربرنارد] وهو أحد جنرالات الحرب العالمية:" الحرب حاجة أيديولوجية بقدر حاجة الأحياء في الطبيعة للصراع، وتُعطي نتائج مجدية من الناحية البيولوجية"[(٢)].

---

(1) James joll europe since 1870 peguin boks 1990 p.164.

(2)Man in process world.pub.co. newyork 1961 p.76.

الحرب العالمية ثمرة فلسفة تعتقد أن الصراع وسفك الدماء قانون الطبيعة الأزلي.

يقول هتلر: "يجب أن نكون مثل الطبيعة، والطبيعة لا تعرف الرحمة أو الشفقة".

فالتطهير العِرقي أمر بدهي من منظور دارويني إلحـادي مادي مُجرد.

فالداروينية حررت أتباعها من أيَّة أعباء أخلاقية مثالية...

الداروينية هي نظرية اللصوص والانتهازيين والمجرمين في كل زمان وكل مكان سواء فهموها أو عملوا بمقتضاها دون حتى أن يسمعوا عنها... هي نظرية كل باحث عن الخطيئة؛ فهي نظرية أبوهـا الكُفر وأُمهـا القذارة كما يقول [سه غور].

لكن الإنسان لن يستطيع أن يكون حيوانًا كاملًا حتى ولو أراد ذلك من كل قلبه، سيظل بداخله القبس الإلهي ووخز الضمير الأخلاقي وصبغة الفطرة، وكلها عوامل تؤكد أنه ليس ابن الطبيعة ولا ابن المادة إذ كيف يكون ابن الطبيعة ويتمرد عليها ويرفض أن يكون حيوانًا كاملًا، ويرفض الداروينية كقانون في حياتنا، فالواقع أن الإنسان ليس مُفصل على طراز داروين!

الداروينية... الأُسطورة باسم العلم:

ذكرنا فيما سبق أن المنهجية العلمية لابد أن تكون قابلة للملاحظة وقابلة للتكرار، هذا شرط في العلم التجريبي بدون هذا الشرط تتحول النظرية إلى فرضية شوهاء..!

وقابلية الملاحظة أو قابلية التكرار هذه أمور مستحيلة في الداروينية، ولذا لم يحدث أنَّ عالمًا حصل على جائزة نوبل لجهوده في التطور أو في رصد سجلات المتحجرات.. هل ثمة دليل واحد يمكن ملاحظته وتجربته وفقًا للمنهجية العلمية يثبت التطور الدارويني؟

أقصى ما فعلته الداروينية بعد عقود وبعد أطنان من الأبحاث أنها تعود دومًا للصفر وتؤكد أن أقصى شيء متاح للإثبات هو تكيف الكائنات وتنوعها لكن هذا ليس تطورًا ولو كان داروين يعلم أن هذا أقصى ما ستُثبته الداروينية لكان اشتغل بهوايته المفضلة في صيد الفئران بعد الهروب من المدرسة -كما كان يذكر عن نفسه-..!!

ثم كيف نحصل على غشاء الخلية بدون ذكاء وتدبير.. كيف نحصل على البروتين الوظيفي عالي التخصصية بدون ذكاء ولا عظيم صنعة.. كيف نحصل على هرمونات توزن بوحدات مليونية في الصغر تدير حياة الإنسان كله بدون ذكاء وبمجرد الصدفة والفهلوة..؟

كيف نحصل على التناغم المدهش في الطبيعة والتسليح الذي يسمح للقوي بأن يأكل وللضعيف أيضًا بأن يأكل والكل يتعايش، الكل يتكاثر..؟!!

منذ متى كان التنوع تطورًا؟

هل نحتاج لطبيعة لا يوجد بها إلا الأُسود أو البكتريا حتى تقتنعوا بعدم وجود تطور؟ أما مجرد وجود التنوع والسلسلة الغذائية التي تستحيل بدونها الحياة فحتما هناك تطور؟ أليس هذا إيمان أعمى بلا دليل علمي ولا مستند حسي ؟

حتى عصافير داروين في جزر الجالاباجوس صارت أكبر حجة على الخلق بعد أن كانت أصل الداروينية فما يحدث باستمرار هو تهجين: أي اندماج نوعين من العصافير لظهور نوع واحد هذا هو الثابت في كل الأبحاث البيولوجية بين الأنواع ولم يظهر يومًا ما نوع جديد..

وبعد التهجين يحدث الإنفصال من العصافير المهجنة وهكذا.. لكنها كلها نفس الفصيلة ونفس الأصل، وعلى الرغم من أن جزر الجالاباجوس كانت ملتقى عشاق الداروينية فلم يُعلن أحدهم عن أصل هذا التنوع فهم منذ البدء متنوعون ويتزاوجون، و طالما هناك تزاوج إذن النوع واحد بغض النظر عن الشكل وطريقة الكلام وشكل المنقار، فالبشر مختلفون تمامًا في الشكل ولون البشرة والطول والوزن بل وحتى نوع الأمراض حسب البيئة، ومع ذلك ثبت بيولوجيًّا أن جميع البشر على وجه الأرض من أُم واحدة وأب واحد – حواء الميتوكوندريا وآدم كروموسوم واي – وهم في تنوعهم الشديد هذا يستطيعون التزاوج فيما بينهم.

لا يأتي دارويني ويقول لي أن الغدد العرقية – التي تُخلص الجسم من السموم – تحولت إلى غدد لبنية – ذلك اللبن الذي خلقه الله لنا بعنايـة وتركيز معين حسب عُمر الجنين وحسب حاجته وحسب طلباته من الأجسام المناعية والبروتين والكربوهيدرات والدهون واللقاحات – ويقول هذا ما حدث في مرحلة تحول الزواحف إلى ثدييات.. ويطلب مني أن أُصدقه..!!

بالله عليكم هل هذا منهج يبيت عليه صاحبه ليلة واحدة مطمئن القلب أو قرير العين؟

لكن كما ذكرنا من قبل فإن سبب تمسك المجتمع العلمي بالداروينية هو سبب فلسفي نفسي وليس علمي وسنذكر مقولة فيليب جونسون مرَّة أُخرى، يقول [فيليب جونسون] Phillip E. Johnson أُستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا أن العلماء يتمسكون بالداروينية على الرغم من هشاشة الفكرة خوفًا على وجاهتهم ومستقبلهم الوظيفي، ولن ينالوا دعمًا لبحوثهم لو اعترضوا عليها، وسيصبحون عُرضة للطرد... أيضًا مشكلة أيديولوجية كبرى فالعلماء عندما يقولون الداروينية غير صحيحة إذن ما هو الصحيح في تفسير نشأة الحياة؟ .. هم يتمسكون بنظرية خاطئة إذا كان البديل عدم وجود نظرية أُخرى وهذا بالضبط الحاصل الآن[١].

(١) http://www.youtube.com/watch?v=AQd0f3x7UEI.

الفصل التاسع

الإلحاد عندما تكون له دولة

هل يمكن أن تنشأ الأخلاق داخل مجتمع إلحادي؟

لقد عاش الجنس البشري آلاف السنين تحت تأثير الدين، واستطاع الدين أن يوفر جميع أوجه الحياة الأخلاقية والقانونية والعقائدية وحتى اللغة، ومن ثَم من حقنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن إنتاج جيل ملحد إلحادًا كاملًا؟ لكي تنجح هذه المحاولة لابد من التنشئة في عزلة تامة عن كل دين وعن كل فن وعن كل دراما للوجود الإنساني، وإلغاء كل ما يمكن أن يستحضر النشء أمامه من رؤيا لعالم آخر وبالتالي إلغاء جميع الأعمال الفنية التي تُصور صراع الإنسان في العالم وتطلعه لعالم أفضل؛ لأن كل هذه الأمور ستؤدي إلى شعور الإنسان بالاغتراب في هذا العالم وهو شعور ميتافيزيقي روحاني بحت..

وهذا أمر صعب في الوقت الراهن لأن الملحدين يعيشون في ظلال الدين ويمكننا أن نزعم أن كل أخلاق الملحد هي مجرد تأثر بالدين ومبادئه الخلقية الأساسية بطريقة صامتة غير محسوسة ولكنها ثابتة.. فقد تربى الملحد في ظلال الدين عشرات السنين وهو في نقده للدين يتأثر بأخلاق من ينتقدهم، إن جوهر الإنسان في أخلاقياته وليس في طبيعته المادية هذه حقيقة ثابتة، إن أخلاق الملحد هي عطية الدين هكذا علينا أن نزعم إلى أن ينشأ مجتمع إلحادي كامل..

الآن هل يمكن التأسيس للإيمان بالإنسانية المجردة؟

يقول [ماركس]: "إن الأمل في الإنسانية المجردة وَهمٌ لا يقل عن الوهم الديني الخالص"، وأثبت [لينين] أن الأخلاق خدعة ميتافيزيقية – خدعة البرجوازية –، وفي البيان الشيوعي توجد هذه العبارة:" العمال يرفضون الأخلاق ".

لكن لماذا لا نكون أكثر تفاؤلًا وأكثر تنزلًا، ونفترض أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل، لكن في هذه اللحظة على دعاة الإلحاد أن يطلبوا من الناس مزيدًا من المثالية والتضحية ربما أكثر مما طلب أي نبي من قومه باسم الدين فليس ثَمَّ إغراءات ماورائية.. وكما يقول [جون لوك]: " إذا كان كُل أمل الإنسان قاصرًا على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء، إنها معضلة وأي معضلة".

ولو افترضنا أن الملحد قرر أن يؤسس لمجتمع إلحادي كامل، هنا سيظهر السؤال: ما الأساس الذي سيعتمده الملحد وما القاعدة التي سينطلق منها ليقنع الناس بقيمة الأخلاق من منظور مادي؟

كيف سيتعامل الملحد مع الملحد المعاق في مجتمعه الإلحادي هل سيدفعه للانتحار.. وبذك يكون قد خدم الانتخاب الطبيعي أم سيعارض النظرية؟

كيف يُسلي الملحد المعاق عن إعاقته.. كيف يُسلي الكادحين والمعوزين في هذا العالم؟

هل سيقوم بتعقيم المعاقين ذهنيًّا بحيث لا ينجبون أم سيعاند الانتخاب الطبيعي؟

هل سيكون هناك زواج داخل المجتمع الإلحادي، أم كما قالت [سيمون دي بوفوار]: إن الزواج وتكوين أُسرة خديعة كبرى؟

هل سيمنع الممارسات الجنسية الشاذة داخل المجتمع الإلحادي وما هي المبررات المادية لذلك المنع؟

يستحيل أن نجد تأسيسًا عقليًّا للأخلاق داخل منظومة الإلحاد، يستحيل أن نجد داخل عالمه ما يُفرح الإنسان أو يسليه أو يؤسس لقيمه أو يؤسس لمبادئه أو يؤسس لأخلاقياته.. يستحيل أن نجد داخل منظومته ما يجعل الإنسان إنسانًا.. إن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني!

ماذا لو أثبت العلم أن الجنس الأبيض أفضل بيولوجيًّا من الجنس الأسود وأنهم في مرتبة أعلى في سلم التطور، هل سيتم الفصل العنصري بين البيض والسود داخل المجتمع الإلحادي أم ستتم معاندة العلم والبيولوجيا ومعاندة الانتخاب الطبيعي وإقرار المساواة بين البيض والسود وساعتها ستكون أكبر خيانة للتطور وأكبر ضربة للعقلانيين؟

ماذا لو أثبت العلم تفوق الرجل على المرأة وأن الرجل في مرتبة أعلى بيولوجيًّا من المرأة، هل ستتم المساواة بين الجنسين داخل المجتمع الإلحادي أم سيكون هذا مطلب غير علمي غير عقلاني عبثي ميتافيزيقيًّا يقف في وجه التطور وحتميات الطبيعة؟

ماذا لو ظهرت داخل المجتمع الإلحادي دعوة تعميمية تنادي بإلغاء التفرقة بين البشر والحيوانات والحشرات، بل ومحاكمة كل من يتعرض للفيروسات أو دودة الأرض؛ لأنه بيولوجيًّا لا فرق بين الإنسان ودودة الأرض إلا بضعة ملايين من السنين؟

لماذا لا تتمتع الطفيليات المعوية والفيروسات بحقوق مساوية لحقوق الإنسان؟

هل يوجد داخل المجتمع الإلحادي مصطلح الأبناء والآباء؟ أم أن الأطفال سيدخلون مجمعات خاصة، ويختفي مفهوم الأب والابن، وتنتهي الأسرة كما حدث على نطاق ضيق في روسيا الملحدة في الأربعينيات فترة حكم ستالين، وحدث بنطاق أوسع في ألمانيا في فترة حكم هتلر؟

إن صلاح أمر العائلات لا يكمن في المبادئ الإلحادية أو المادية وهذه من البدهيات، فنجاح تربية الأولاد ونجاح المؤسسة الزوجية يتطلب تضحيات مدى الحياة، وهي تضحيات لا عقلانية بحسابات الربح والخسارة، والكثير من مشاكل العائلات الأمريكية (التفكك الأسري – هروب الآباء – ارتفاع نسب الطلاق (سببه نظرة أفراد العائلة إلى العائلة نظرة مادية إذ حين تصبح الالتزامات العائلية أكبر مما ينتظره المتعاقد فإنه يسعى الى إبطال شروط العقد[١].

---

(١) بعض الفقرات مُقتبسة من كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش.

مقارنة بين الإنسان البدائي وأكثر الحيوانات تقدمًا

إذا ذهبنا نقارن بين الإنسان البدائي وبين أكثر أنواع الحيوان تقدمًا، لوجدنا أن هناك فرقًا جوهريًّا ملازمًا، انظر مثلًا إلى قطيع من الحيوانات وهي تبحث عن الطعام وتتصارع من أجل البقاء، ثم انظر إلى إنسان بدائي خائف مشوش بمعتقداته ومُحرماته الغريبة أو غارق في أسراره ورموزه الغامضة، لقد انصب في وعي الإنسان منذ اللحظة التي دخل فيها التاريخ ليس أنه مختلف عن الحيوان فحسب، ولكن أيضًا أن معنى حياته لا يتحقق إلا بإنكار الحيوان الذي بداخله، فإذا كان الإنسان هو ابن الطبيعة كما يقولون: فكيف تسنى له أن يبدأ في معارضة الطبيعة؟

عندما يرفض الإنسان بعض رغباته، وعندما يتمسك بمبادئ أخلاقية يعلم أنها تُضعف كفاءته فكل هذا لا يأتي من ناحية عقله، بل إن كل هذا يؤكد على أصالة ظهور الإنسان!!

الإنسان لا يسلك في حياته كابن للطبيعة بل كمغترب عنها.. الإنسان متعذر فهمه غير راضٍ.. هذه مفاهيم يستحيل ترجمتها في قوالب بيولوجية داروين أو حتمية دوركايم.

إن ظهور الأخلاق تمثل أكبر ردة عن الانتخاب الطبيعي المزعوم، فالأخلاق تمثل ظهور مبدأ جديد مناقض لمبدأ المصلحة والمنفعة المعروف عند الحيوان.

إدراك الحيوان يدور بين المُثير والاستجابة.. الغريزة والمصلحة.. لكن الإنسان ليس كذلك.. الإنسان ظاهرة ضد الطبيعة، لا يمكن بأي حال رده إلى النظام الطبيعي، فالحس الجمالي والخلقي والوعي والمقدرة على مراقبة الذات ووخز الضمير الأخلاقي والهداية المفاجأة لأعتي الكافرين والمقدرة المطلقة على فعل الخير والشر بشكلٍ واعٍ وباختيار حر، كل هذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

الحيوان عندما يذهب للصيد يسلك سلوكًا عقلانيًّا منطقيًّا يدور بين الكفاءة والمنفعة.. المثير والاستجابة، لكن لا يذهب الإنسان للصيد إلا بعد أن يُخضع نفسه لطقوس ومراسيم لا تمت لعالم الطبيعة المادي بصلة... إن أصالة ظهور الإنسان تظل دائمًا بدون تفسير عقلاني فمن الواضح أن الإنسان لم يستجب للعالم حوله بالطريقة الداروينية!!

فالإنســان دائم التطلع إلى عالم آخر حقيقي، وكأنه قد استقر في وعيه ملامح هذا العالم وكأنه كان فيه يومًا ما ثُم طُرد منه..

فلو كان الإنسان حيوانًا كاملًا لكانت حياته بسيطة خالية من الأسرار والطقوس الغامضة والمعتقدات والرموز، ولا يعرف الحيوان شيئًا من هذا كله، وهنا يكمن معنى تلك اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا[١] .

(١) بعض الفقرات مُقتبسة من كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش.

محاولة الإنسان إقامة جنة على الأرض بعيدًا عن الدين، انتهت إلى إقامة أضخم جحيم في تاريخ البشرية

مات في حملات التطهير الستالينية الملحدة من عام ١٩٣٦-١٩٣٩ من ٨-١٠ مليون نسمة.

وقَتل ستالين الملحد الأكثر إجرامًا في التاريخ من الشيوعيين البارزين أكثر مما قتلت البرجوازية الرأسمالية على امتداد العالم.. رودوليبا تشولاكوفيتش

وكان الاسم الرسمي للرقابة الحكومية السوفيتية على الأعمال الأدبية وكل الأشياء المطبوعة هو هيئة حماية الأسرار الحكومية في الطباعة.

وفي عهد ستالين كان يتم خطف النساء الجميلات عن طريق رجال بيريا ويقتادوهن إلى الرؤساء.

وقد وافق ستالين الملحد على قائمة الشخصيات التي يتم تصفيتها جسديًّا وكانت القائمة التي أرسلها له وزير الداخلية تضم ٤ قوائم (عمومي – جنود سابقون – رجال مخابرات سابقون – زوجات أعداء الشعب)، القوائم يتم تصفيتها بالرصاص... المؤرخ السوفيتي يوري بوريشوف.

أرسل أندريه زخاروف رسالة إلى جورباتشوف وكان من بين ما كتبه أرجو تحرير السجناء المعتقلين في السجون العسكرية وفي مستشفيات الأمراض العقلية.

وكانت طباعة واستيراد الإنجيل ممنوعة في الإتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٨٨.

يرى الكسندر سولجنستين الأديب الروسي الحائز على نوبل أن الإرهاب السوفيتي لم يبدأ مع ستالين وإنما مع لينين صاحب عقيدة الكولاج وبموجب شهادة سولجنستين فإن ٥٥ مليون سوفيتي اختفوا أثناء الحكم البولشفي.

يقول الكسندر سولجنستين في كتاب أرخبيل الكولاج:" عندما يقف الرفيق ستالين في مؤتمر الحزب يقف الجميع ويبدأ موجة من التصفيق الحاد دقائق طويلة في مرحلة جنون لا يُطاق ويظل التصفيق مستمرا بينما يقف رجال المخابرات في كل مكان وهم متنبهون جيدًا

إلى من سيتوقف أولًا ويستمر التصفيق ما يزيد على عشر دقائق متواصلة... من أين للأجداد هذا الهوس الجماعي الذي لا يوصف ولا يقاوم".

يقول جوزيف برودسكي الشاعر الروسي الحاصل على نوبل للآداب عام ١٩٨٧، في الحسابات النهائية تتألف روسيا من ضحايا وجلادين والأدوار موزعة بينهما.

أُنشيء عام ١٩٢٥ في الاتحاد السوفيتي اتحاد الملحدين المقاتلين وصدرت صحيفة الملحد المقاتل في نفس الوقت تقريبًا.

اعتبر لينين الدعاية المعادية للشيوعية الإلحادية هي واحدة من أصل ست جرائم جنائية، تعاقَب بالإعدام RSFSR، طبقًا للقانون الجنائي الذي قدمه لينين عام ١٩٢٢.

والخلاصة: الداروينية شرط للستالينية، اختلاف التصفيات البشرية وتطورها لا يمكن إلا في عالم ليس فيه إله وليس بالطبع فيه إنسان(١).

---

(١) من كتاب: هروبي إلى الحرية، علي عزت بيجوفيتش.. دار الفكر دمشق –سورية ٢٠٠٤.

رابطة الملحدين العسكرية

League of Militant Atheists

بعيدًا عن الملاحدة العرب الكهنة الناعسين أصحابنا... ننتقل إلى الإلحاد حين تكون له دولة..

تم تأسيس رابطة الملحدين العسكرية رسميًّا في الإتحاد السوفيتي، واستمرت في عملها في الفترة من ١٩٢٥ - بعد تأسيس دولة إلحاد بـ٨ سنوات فقط - إلى الفترة ١٩٤٧

كانت تضم قرابة ٦ مليون عضو.

قامت رسميًّا بقتل وذبح وتعذيب أصحاب الأديان فيما لا يمكن حصره...

قامت بطباعة المنشورات والكتب والدوريات لنشر الإلحاد بين البسطاء في الأمة السوفيتية.

وانتقلت في الثلاثينيات من القرن الفائت إلى مدن أسيا الوسطى حيث المسلمين فأعملت فيهم القتل والتشريد والنفي إلى معكسرات العمل في سيبيريا.

١٠٪ من أطفال المدارس في الإتحاد السوفيتي أُدخلوا في الرابطة.

كانت الفكرة الرئيسية محاربة الدين.. قتل المتدينين.. نشر الإلحاد.. هدم كل صور الحياة الروحية في البلاد.

قامت الرابطة بهدم ٤٢ ألف مؤسسة دينية ومسجد وكنيسة عبر دول الإتحاد السوفيتي في الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٤١ حسب الوثائق الرسمية.

قامت الرابطة بقتل مائة أسقف وآلاف الرهبان وعشرات الآلاف من رجال الدين الأرثوذكسي.

وكانت الرابطة تدفع الحكومة السوفيتية دفعـًا إلى مزيد من البطش بأصحاب الديانات.

وقامت الرابطة بطباعة الدوريات بإنتظام لنقد الدين والهجوم عليه.

وصل عدد الدوريات الخاصة بالرابطة في العام ١٩٤٠ إلى ٤٥ ألف دورية تدعو للإلحاد وتُنفر الناس من الدين.

إنه الإلحـاد حين تقوم له دولة..

إنه الإلحـاد حين ينتقل من التنظير إلى التطبيق..

إنه الإلحـاد بصورته الحقيقية الفجـة الوقحة تلك الصورة التي لا يطيقهـا عاقل ويتأذى منها حتى الفاجـر..!![١].

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/League_of_Militant_Atheists.

كوريا الشمالية الدولة الوحيدة المُلحدة رسميًّا في العالم

North Korea is officially an atheist state

عقِب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ تم تقسيم شبه الجزيرة الكورية إلى شمالية وجنوبية في ذلك الوقت لم يكن ثمة فارق بين الدولتين الوليدتين.

في عام ١٩٤٨ تم إعلان قيام جمهورية كوريا الشمالية الديموقراطية، وأعلنت كوريا الشمالية رسميًّا إلحادها.. واعتبر [كيم إل سونج] - مؤسس الدولة - أن الدين نوع من التضليل غير العلمي الذي يجب مقاومته بشراسة......

Kim Il Sung criticized religion in his writings, and North Korean propaganda in literature, movies and other media have presented religion in a negative light. The Juche philosophy often took the place of religion and taught Koreans to see religion as an unscientific delusion(1).

❊ ملحوظة هامة... سيحاول الكاهن الملحد العربي سريعًا أن يؤدلج المسألة سياسيًّا ويعتبر أن كوريا الشمالية تُطبق الإلحاد من منظور شيوعي.. كوريا الشمالية تعتبر الشيوعية أحد أفرع التطبيق السياسي لا أكثر وأن الشيوعية أقرب للإلحاد من الرأسمالية - يقول [بليخانوف] Plekhanov الشيوعية هي "تطبيق للداروينية في العلوم الاجتماعية". - وإلا فإن كوريا تُطبق كل الأنظمة الاقتصادية والسياسية.. وتوجد بها منطقة كايسونج الصناعية الرأسمالية.. وتقوم بتجربة النظام الرأسمالي منذ عام ١٩٩١.. فلا يمكن أدلجة المسألة سياسيًّا.

الدولة الوحيدة التي تعمل بالنظام الطبقي رسميًّا في العالم هي الدولة الوحيدة الملحدة كوريا الشمالية:

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Religion_in_North_Korea.

يتم فرز الكوريين الشماليين إلى ثلاث مجموعات في نظام يُعرف بالسونجبن Songbun، وهو نظام فرز طائفي طبقي شديد الحدة – طبقة الموالين ٢٥٪ طبقة المترددين ٥٥٪وطبقة المُعادين ٢٠٪ – وهذا الفرز هو الذي يحدد فرص العمل السانحة للأجيال الصاعدة وكمية الغذاء التي يتم تلقيها ونوع المسئولية التي تُلقى على عاتق الشخص[(١)] .

ووفقًا للهيومن رايتس ووتش فإن الأنشطة الدينية لم تعد موجودة في كوريا الشمالية، كما أن الحكومة ترعى الجماعات الدينية فقط لتحاول خلق وهم الحرية الدينية... ولذا فالأقليات الدينية بها هي الأكثر اضطهادا في العالم...

لا يوجد في كوريا الشمالية سوى أربع كنائس، ولا يوجد بها كاهن رسمي واحد..... الذي يدير القداسات هم أعضاء من لجنة الحزب[(٢)] .

ورسميًّا يُعتبر الاحتفاظ بأي كتاب مُقدس جريمة وفق القانون الكوري الشمالي ويَنص القانون على أن أي سخص يحتفظ بأي نسخة من كتاب مقدس يتم إعدامه في ميدان عام ويشهد هذا الإعدام الآلاف من الكوريين حيث يجري الإعدام غالبًا في ملاعب كرة القدم[(٣)] .

إعدام أي شخص يمتلك كتاب مُقدس فورًا في دولة الإلحـاد كوريا الشمالية

أفادت صحيفة "جونغ إنغ البو" الكورية الجنوبية بأن كوريا الشمالية نفَّذت قرابة ٨٠ حكمًا بالإعدام علنًا في شهر نوفمبر٢٠١٣ وحده، وذلك في ٧ مدن.

كما تؤكد الصحيفة أن حكم الإعدام العلني في مدينة [وانسان] نُفذ بحق ٨ أشخاص في ملعب كرة قدم، على مرأى ومسمع ١٠ آلاف مواطن من بينهم أطفال.

ويضيف المصدر ذاته بأن الأحكام بالإعدام صدرت بحق العشرات بسبب الاحتفاظ بالكتاب المقدس، وهي جرائم وفق القانون الكوري الشمالي[(٤)] .

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun.

(2) http://www.hrw.org/legacy/english/docs/2004/07/08/nkorea9040.htm.

(3) http://arabic.rt.com/news/633358 /.

(4) http://arabic.rt.com/news/633358 /.

إعدام أي شخص يحاول أن يُغير فلسفته المادية إلى فلسفة مادية أُخرى في دولة الإلحـاد كوريا الشمالية:

يتم الإعدام فورًا لمن يستمع إلى ثقافة كوريا الجنوبية أو ثقافة الغرب، حيث إنه في شهر نوفمبر ٢٠١٣ تم إعدام العشرات لاتهامهم بمشاهدة التلفزيون الكوري الجنوبي وهو نشاط محظور تمامًا في كوريا الشمالية.

فالإعدام كان بسبب مشاهدة برامج تلفزيونية كورية جنوبية أُدخلت سرًّا مسجلة على أقراص فيديو او ذاكرة يو اس بي.

واعتبر مسؤول ان "النظام يبدو كأنه يخشى إمكانية تبدل عقلية الناس ويحاول إخافتهم".

هذه هي صورة دولة الإلحاد الوحيدة في العالم

عبادة الفرد:

كان نتيجة إلحاد الدولة توجه الجماهير التي تفتقر إلى القيمة العليا وتبحث عن المغزى الروحي وتعاني وخز الفطرة إلى إعلان عبادة الفرد cult of personality، حيث تتم بطريقة غير رسمية عبادة [كيم إل سونج] – مؤسس الدولة الكورية –وقد بث التليفزيون الرسمي الكوري الشمالي سجود الجماهير لتمثال من البرونز لكيم ايل سونغ، وبثت مشاهد مماثلة في أعقاب وفاة كيم جونغ إيل – الرئيس الثاني لكوريا الشمالية – وما زالت عبادة الفرد مُسيطرة على الوعي الجمعي للكوريين الشماليين.. أيضًا عيد ميلاد الرئيس الكوري الشمالي هي واحدة من العطلات العامة الأكثر أهمية في البلاد[(١)].

كوريا الشمالية هي دولة الإلحاد الوحيدة في العالم:

كان الاتحاد السوفيتي وكوبا وبعض الدويلات في آسيا – مثل كمبوديا – تُصنف على أنها دول إلحادية State atheism، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية رسميًّا في العالم كله أعلنت روسيا وكوبا وباقي الدويلات أنها دول علمانية secular state، ولم يبق في العالم إلا كوريا الشمالية التي تُعلن أنها دولة الإلحاد State atheism.[(٢)].

لكن ما هي مُحصلة ٦٠ عام من الإلحاد:

بعد ستين عامًا من انقسام الكوريتين الشمالية والجنوبية وبعد ستين عامًا من الإلحاد الرسمي لكوريا الشمالية يمكن ملاحظة التالي:

ميزانية كوريا الشمالية ٣,٤ مليار دولار، بينما ميزانية جارتها كوريا الجنوبية ٢٤٤,٣ مليار دولار...

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/North_Korea%27s_cult_of_personality.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Atheist_state.

صادرات كوريا الشمالية ١,١ مليار دولار، بينما صادرات جارتها كوريا الجنوبية ٣٦٤ مليار دولار[١].

خزي وعار هو مُحصلة الإلحـاد المادي الدوغمائي.

وفي عام ١٩٩٥ أُصيبت كوريا الشمالية بمجاعة راح ضحيتها قرابة مليون نسمة.

تخيل دولتين بنفس القوة تنفصلان وبعد نصف قرن فقط ونتيجة لإلحاد إحداهما تصير قوتها ١ على ٣٠٠ من قوة الثانية... ويموت مليون بسبب المجاعات بها مع أنها دولة ذات تسليح عملاق.. ما الذي يفعله الإلحاد بالأدمغة؟ كيف يتحول الإلحاد إلى هذا البؤس والشقاء والكراهية لكل شيء والحقد على كل شيء والخوف من كل شيء وهذا هو عنوان كوريا الشمالية الآن..كيف لمنظومة فكرية كالإلحاد أن تدمر دولة مثل كوريا هذا التدمير الرهيب؟.؟؟

تُصنف كوريا الشمالية حاليـًاعلى أنـها طليعة الفشل في كل شيء

أسوأ دولة في سجلات حقوق الإنسان، أكثر دول العالم اعتقالًا للأفراد بالنسبة لعدد السكان ٢٠٠ ألف معتقل سنويًّا يعانون أسوأ ظروف يمكن تخيلها على الإطلاق[٢].

حيث يوضع ١٪ من سكان الشعب الكوري الشمالي في ستة معتقلات عملاقة فقط لأنهم ليسوا مُلحدين[٣].

يموت ١٠ آلاف مُعتقل كل عام[٤].

أكثر دول العالم تطبيقًا لعقوبة الإعدام الجماعي وأكثر دول العالم كبتًا للحريات

هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته.

---

(1) http://www.youtube.com/watch?v=BBlWZz99p9s.

(2) www.amnesty.org/en/region/north-korea/report-2011.

(3) www.amnesty.org/en/library/asset/ASA24/001/2011/en/2671e54f-1cd1-46c1-96f1-6a463efa6f65/asa240012011en.pdf..

(4)http://english.chosun.com/site/data/html_dir/2012/04/04/2012040401146.html.

تاريخ كوريا الشمالية في الإلحاد هو تاريخ البؤس والشقاء والتعاسة إنهم يُعدمون فورًا أي صاحب دين، يعدمون فورًا بمجرد تغيير الثقافة، أسخف وأغبى دولة في العالم، في مجاعة واحدة منذ عقد واحد يموت فيها مليون نسمة مع أن بها تسليح عملاق، إنها دولة السلاح والقتل والقمع والإبادة والتاريخ الأسود والمجاعة والحقد على كل شيء والخوف من كل أحد وكراهية كل أحد، هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته الوحيدة يا من تُبشرون بالإلحاد في بلادنا.

يكرهون الجميع ويخشون الجميع ويحقدون على الجميع.. أكبر تسليح في العالم كان من نصيب أكثر دول العالم إلحادًا... لأنهم كارهون للجميع ويخافون من الجميع.

انظر للفرق بين تسليح كوريا الشمالية والجنوبية:

يوجد في الجيش الكوري الشمالي مليون ونصف المليون جندي ١٥٠٠٠٠٠ جندي.

بينما في الجيش الكوري الجنوبي ٦٧ ألف جندي ٦٧٠٠٠ جندي.

مع أن عدد سكان كوريا الجنوبية ضعف كوريا الشمالية.

أكبر عدد من الجنود في العالم مقارنة بعدد السكان يوجد في الدولة الوحيدة الملحدة في العالم.

هذا هو الإلحاد

هذه هي دولته.

عبادة الفرد في النموذج الإلحادي

عبادة الفرد Cult of personality: هي نزعة ميتافيزيقية تتجاوز بالقائد، أو الزعيم، أو المُفكِّر حدود طبيعته المادية فتُضفي عليه شيئًا من التقديس، أو العبادة[١].

ولا تكاد تخلو بؤرة إلحادية على وجه الأرض من مفهوم عبادة الفرد، ففي الحقبة السوفيتية انتشرت هذه الظاهرة انتشارًا واسعًا بين أعضاء الحزب الشيوعي الملحد الحاكم، والأجهزة الأمنية. وأصبح الملحد [جوزيف ستالين] Josef Stalin - رئيس الاتحاد السوفيتي - في نظر أنصاره، ومؤيديه من الملحدين شخصًا معصومًا من الخطأ، وفوق مستوى البشر[٢].

وكان جوزيف ستالين يوصف رسميًّا في تلك الحقبة على أنه كُلي القدرة، وكُلي العلم all-powerful, all-knowing، وبدءًا من عام ١٩٣٦ اعتبرت الصحافة السوفيتية الرسمية جوزيف ستالين أبو الأُمم the Father of Nations[٣].

وبدأت تُعزف الترانيم للأب جوزيف ستالين في كل مكان[٤].

وبينما كانت المنازل في عهد روسيا القيصرية تُخصِّص غرفة أو أكثر للأيقونات، وصور العذراء، والشموع، والصلوات، فقد خَصَّصت المنازل في عهد روسيا المُلحدة غرفة تُسمى غرفة ستالين تُعلَّق فيها صور القائد جوزيف ستالين، ويتم التقرب له فيها وتقديسه حقيقةً لا مجازاً[٥].

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Cult_of_personality.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Stalin%27s_cult_of_personality.

(3)http://dic.academic.ru/dic.nsf/dic_wingwords/3446/%D0%9E%D1%82%D0%B5%D1%86%B5%D1%86%B5%D1%86.

(4) http://www.fordham.edu/halsall/mod/stalin-worship.asp.

(5) Catriona Kelly, "Riding the Magic Carpet", 202.

وظل تقديس ستالين أحد الأعراف الرسمية في الاتحاد السوفيتي المُلحد إلى أن جاء عام ١٩٥٦ وفي خطاب [خروتشوف] Khrushchev الشهير في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي بعد وفاة ستالين بثلاث سنوات، أعلن خروتشوف غضبه الشديد من عبادة ستالين قائلا: " لا يجوز تقديس ستالين، ولا عبادته، لأن هذا يخالف روح الماركسية اللينينية، ويجعل من الشخص شبيهًا بالإله"[(١)].

كان الخطاب بمثابة صدمة كبرى للأُمة الملحدة التي كانت تعبد ستالين رسميًّا منذ عقود، وأقدم الشباب على الانتحار، وتعرَّض الكثيرون لنوبات قلبية قاتلة وحدثت مظاهرات في كل مكان بالاتحاد السوفيتي، واعتبروا أنَّ مراجعات خروتشوف خيانةٌ كبرى. -٧-[(٢)].

وكانت مراجعات خروتشوف سببًا مباشرًا في انفصال الصين عن الإتحاد السوفيتي Sino Soviet Split، واعتبرت الصين تحت قيادة الملحد [ماو تسي تونج] Mao Zedong أن [خروتشوف] بهذه المراجعات يأخذ الإتحاد السوفيتي بعيدًا عن الإلحاد البلشفي Bolshevik Atheism[(٣)].

لقد فهمت الصين، وفهمت جماهير الإتحاد السوفيتي حقيقة الإنسان، فهموا أنه يستحيل أن يحيـا الإنسان بدون تقديس لذات، وبما أنهم فقدوا الإله فحتمًا سيُنزلون القداسة على آلهة صُغرى – قادة الإلحـاد – إنه وخز الفطرة الذي لا يتوقف، وخز البحث عن المُقدَّس الغائب، والذي لابد أن يكون موجودًا في حياة الإنسان.

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/On_the_cult_of_personality_and_its_consequences . In his 1956 "Secret Speech" to the Twentieth Party Congress, Nikita Khrushchev famously denounced Stalin's cult of personality, saying, "It is impermissible and foreign to the spirit of Marxism-Leninism to elevate one person, to transform him into a superman possessing supernatural characteristics akin to those of a god.

(٢) المصدر السابق.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Sino-Soviet_Split.

وإذا جال المرء بنظره في أرجـاء المعمورة هذه الأيام فلن يجد بُقعة إلحادية خالية من عبادة الفرد، ففي كوريا الشمالية – والتي تُصنف الآن رسميًّا أنها الدولة الوحيدة المُلحدة على وجه الأرض – نجدُ وعلى وجه التقريب أن معظم الفنون، والنحت، والموسيقى، والآداب مُكرسَّة لتقديس [كيم إيل سونج] Kim Il Sung الملحد مؤسس كوريا الشمالية الملحدة عام ١٩٥٣، وفي كوريا تتم رسميًّا عبادة كيم إيل سونج، وكل المعالم الأثرية في البلاد مُكرسة للقائد العظيم، ويتصدق الناس في كوريا الشمالية مرتين في العام،مرة في عيد ميلاد كيم إيل سونج، والمرة الثانية في ذكرى وفاته [١].

بل تَصف السُّلطات الكورية الشمالية [كيم إيل سونج] أنه إله god و[كيم جونج إيل] Kim Jong Il إبن الإله son of god [٢].

وتزعم المؤسسة الرسمية في كوريا الشمالية أن كيم جونج إيل الابن، والذي تُوفي في العام ٢٠١١ أنه استطاع أن يتكلم ويمشي قبل أن يُكمل شهره السادس [٣].

ويتم الحديث في كوريا الشمالية عن الزعيم المقدس، والرئيس الأبدي، وكيم إيل سونج الخالق [٤].

وقد بثَّ التليفزيون الحكومي الكوري الشمالي سجود الجماهير الملحدة لتمثال من البرونز لكيم إيل سونج المُلحد، وبثَّ مشاهد مماثلة في أعقاب وفاة كيم جونغ إيل – الرئيس الثاني لكوريا الشمالية –، و عطلة عيد ميلاد الرئيس الكوري الشمالي هي واحدة من العُطلات العامة الأكثر أهمية في البلاد.

---

(1) http://www.dailynk.com/english/read.php?cataId=nk01500num=6222.

(2) http://www.mtholyoke.edu/~tompk20n/classweb/administration.html.

(3) http://www.telegraph.co.uk/ news/ worldnews /asia /northkorea /8292848 /The -Incredible -Kim -Jong -il –and –his -Amazing-Achievements .html.

(4) http://en.wikipedia.org/wiki/North_Korea%27s_cult_of_personality.

كان نتيجة إلحاد الدولة أن تتجه الجماهير التي تفتقر إلى القيمة العليا، وتبحث عن المغزى الروحي، وتعاني وخزًا فِطريـًّا، وتبحث عن الذات الخالقة، إلى إسقاط القداسة والعبادة على قادة دول، أو عسكريين أشداء، أو مُفكرين كِبـار، أو حتى بعض الغازات الكونية- تقديس غاز الأرجون *Argon* لدى بعض التجمعات الإلحادية في أمريكا -[١].

ولا تكاد تخلو فعليًّا، بؤرة إلحادية، من تقديس الفرد أو عبادته.

وهكذا إذا غاب الإيمان بالله امتلأ المكان بالآلهة الصغيرة، والوثنيات الغارقة في الجهالة، وتُصبح عبادة الفرد بمثابة هُروب وقتي من الدين إلى بديل آخر أكثر ماديةً، وأيسر استيعاباً، وأقل تكاليفاً، والأهم من ذلك أنه أكثر ربحية ماديًّا قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ﴾ [مريم:٨١]، واتخذ المشركون آلهةً يعبدونها من دون الله؛ لتنصرهم، ويعتزوا بها، لكن لن تنفعهم هذه الآلهة بشيء، ولن تجلب عليهم إلا النكد والحسرة.

ونختم بقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة [كارن آرمسترونج Karen Armstrong] في كتابها الأخير مسعى البشرية الأزلي الله لماذا: "أن الإنسان لن يحيا بدون دين، فالإنسان ليس حيوانًا عاقلًا homo sapiens sapiens وإنما هو إنسان ديني homo religious"[٢]

(١) عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية دار الشروق،.ص١٧١.

(٢) كارن آرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا، ترجمة د. فاطمة نصر، دار سطور الجديدة، ص٢٥.

دولة السويد ؛ أيقونة الملحدين العرب، وكاتدرائية الحرية في العالم

من أجل نظرة في العمق قليلًا:

بتسوانا وناميبيا وجامبيا وموريشيوس والسنغال كلها دول أفريقية تُدار بأنظمة ليبرالية علمانية رأسمالية ديموقراطية تمامًا منذ عشرات السنين، لكن بما أنها من أفقر وأحقر دول العالم، لذا لن يذكرها الملحد العربي، بل سيتعامل مع هذه الدول وكأنها غير موجودة.

دولة ليبريا الأفريقية، تعمل بالدستور الأمريكي مباشرةً، وعملتها الدولار، وبها مجلس شيوخ ومجلس نواب منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وهي علمانية ليبرالية عتيقة، وأهلها ليبراليون جدًّا - يرقصون الشارلستون ويأكلون لبان تشكلس ويرتدون أحذية نايكي- ومع ذلك دولة ليبريا مُصنفة كأفقر دول العالم على الإطلاق.

الملحد العربي أيضاً، سيتجاهل هذه الدولة.

الملحد العربي لن يُقدِّم لك إلا بعض النماذج الغربية التي يرى أن صورتها مشرقة دائماً، وطبعًا لابد أن تكون مشرقة دائمًا لأن ثرواتها جاءت نتيجة ٥٠٠ عام من الاستعمار، و٥٠ عام من صندوق النقد الدولي.

وفي الغالب يكون تركيز الملحد العربي المعاصر على دولة السويد، ولذا نحن في هذا المقال ننظر إلى هذه الدولة بشيء من الحيادية.. ولا ندعي كل الحيادية.!!

يقول الملحد: دولة السويد من أكثر ديموقراطيات العالم نجاحًا.

هذا صحيح لكن السويد إلى اليوم دولة ملكية دستورية، يحكمها الملك كارل السادس عشر غوستاف، والحكم وراثي في السويد.

وهذا يعني أن مقياس القيادة والحُكم والسيادة في السويد يكون للدم، ولا علاقة للملكية في السويد برجاحة العقل أو الاختيار، أو ما تفرزه الصناديق، بل الملك يُنصب على العرش مدى الحياة؛ لأن والده كان ملكًا لا أكثر.

يقول الملحد: دولة السويد من الناحية العسكرية دولة محايدة تماماً، وآخر حرب دخلتها كانت عام ١٨١٤

السويد بالفعل لم تدخل حرب منذ آخر حملة عسكرية شنتها على النرويج عام ١٨١٤، وكانت حيادية في الحروب العالمية.

وهذه ظاهريًّا ميزة، لكنها في واقع الأمر أنانية مفرطة، وإيثار للذات؛ لأن الأولى أن تتدخل السويد لتمويل الحرب على هتلر، وإيقاف جرائمه.

لكن المفاجأة العجيبة، التي لا يعرفها الملحد العربي أن السويد سمحت للنظام النازي باستخدام سككها الحديدية لنقل الجنود والعتاد، وأمدت هتلر بالحديد والصلب من مناجمها التي تقع في شمال البلاد، بل إن عِماد الصناعة العسكرية النازية اعتمد بشكل أساسي وجوهري على حديد السويد[١].

.Koblik, pp. 303–313

يقول الملحد: دولة السويد يكفي أنها دولة مستقرة، وهي من أقل دول العالم جريمة.

وهذا خطأ رهيب؛ لأن معدلات الجريمة في السويد مرتفعة للغاية.

ومعدلات الاغتصاب في دولة السويد هي الأعلى عالميًّا، حيث تأتي في المرتبة الرابعة بعد فرنسا٨٨٦ وألمانيا وروسيا[٢].

والسويد في عام ٢٠٠٩ كانت دولة الاغتصاب الرسمية في أوربا.

According to a 2009 European Union study, Sweden has one of the highest rates of reported rape in Europe[3].

أما بخصوص الجريمة فدولة السويد التي يوجد بها ٩ مليون نسمة، تم ارتكاب مليون ونصف جريمة في العام ٢٠٠٩ وحده، مما يجعلها من أكثر دول العالم جريمة، ومعدلات الجريمة في السويد ترتفع باضطراد في السنوات الخمس الأحيرة[٤].

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Swedish_iron_mining_during_World_War_II.

(2) http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes.

(3) http://www.thelocal.se/20090427/19102.

(4) http://en.wikipedia.org/wiki/Crime_in_Sweden.

يقول الملحد: السويد دولة الرفاهة الاجتماعية.

وهذا نُسلِّم به... لكنها تأتي في التصنيف العالمي بعد قطر والكويت.

بل وبحساب قيمة الضرائب الرهيبة التي تفرضها على مواطنيها والتي تبلغ قرابة ٦٠٪ من دخل الفرد، فإن الدخل الحقيقي للفرد يصبح أقل كثيرًا مما يبدو عليه ظاهريًّا.

ويحصل العامل العادي في السويد على ٤٠ ٪ من دخله بعد الضرائب، ولا تزال الضرائب في السويد قرب ضعفها في الولايات المتحدة.

والعجيب أن دولة السويد تُصنف على أنها واحدة من الدول الأعلى في معدلات الانتحار على مستوى العالم.

وطبقًا لمقال النيويورك تايمز: " فإن السويد والدنمارك دول الرفاهة الاجتماعية، هما أصحاب أعلى معدلات انتحار في العالم".

well.blogs.nytimes.com/2011/04/22/happiest-places-post-highest-suicide-rates[1].

يقول الملحد: السويد تقريبًا دولة ملحدة.

وهذا أيضًا خطأ شديد، حيث إنه طبقًا لإحصائية ٢٠١٢ فإن ٦٧٪ من الشعب السويدي مسيحيون، إلى جانب ٥٪ مسلمون، ٢٣٪ يؤمنون بوجود خالق، ونسبة ترك المسيحية بالفعل في ارتفاع ليس في السويد وحدها، وإنما في الاتحاد الأوربي كله؛ لأن الصورة التي تقدمها المسيحية للإله تجعل النسبة في ارتفاع باضطراد، وهذا لا علاقة له بالإلحاد الذي يتشوق إليه الملحد العربي، والذي يعني إنكار الصانع[٢].

يكفي أن السويد ما زالت ملكية، والصليب هو رمز عَلمها الرسمي.

يقول الملحد: اترك كل هذا جانباً، يكفي أن السويد تستقبل اللاجئين وتفتح ذراعيها للجميع.

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_in_Sweden.

(2) https://www.svenskakyrkan.se/default.aspx?di=978164 .

أولاً: هذا يدور في إطار المصلحة والنفعية المُجردة، وأي دولة في العالم لا تفعل هذا الأمر من أجل سواد عيون المهاجرين، وإنما من أجل الربحية، ومن أجل تصدير صورة مشرقة لنظامها وحكومتها، فكندا تطلب قرابة ١٠٠ ألف دولار، وكذلك استراليا، وبعض دول الاتحاد الأوربي تشترط للحصول على جنسيتها قرابة نصف مليون يورو.

وللحصول على جنسية مالطا، يلزم دفع ٦٥٠ ألف يورو إلى حكومة مالطا كمنحة لا تُرد، وبلغاريا تعرض جنسيتها بمبلغ ٥٠٠ ألف يورو، والنمسا تطلب استثمار ١٠ ملايين يورو في العقارات، وأرخص الجنسيات سان كيتس بـ١٨٦ ألف يورو، وجنسية الدومينيكان ب ١٠٠ ألف يورو[١].

ثانيًا: السويد تقع في خانة الدول التي تُحَصِّل مبالغ من المهاجرين أكثر من تلك التي تصرفها عليهم، وبما يعادل الآف الكرونات سنويا، وفقًا لمنظمة التعاون والتنمية. OECD

وأوضحت دراسة حديثة أن مهاجري خمس دول أوربية فقط من أصل الـ ٢٧ دولة يكلفون بلدانهم المضيفة مبالغ إضافية، تأتي ألمانيا التي تحتضن شريحة واسعة من المهاجرين في المقدمة، لكن حتى تلك الزيادة في التكلفة تُحسب بسبب معاشات التقاعد العالية التي تصرفها ألمانيا للقادمين من أوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أوضحت الدراسة، أنه في حال جرى استثناء تلك المعاشات الضخمة من المبالغ التي تصرف على المهاجرين، فإن النتيجة ستكون زيادة مالية كبيرة في ميزانية المانيا[٢].

وفي السويد يدعو حزب سفاريا ديموكراتنا العنصري المعادي للأجانب ومنذ سنوات عدة إلى إجراء تحقيق حكومي في اتهامات تتعلق بالمبالغ المالية التي تتكلفها سياسة الهجرة في السويد.

---

(1) http://www.cnbc.com/id/101198433.

(2) http://alkompis.se/news/swedish/6435 /.

هل كان هتلر مُلحداً؟

يُصنف [أدولف هتلر] كثالث أكبر مُجرم في تاريخ الجنس البشري.. بعد [ماو تسي تونج] الملحد -رئيس الصين - بحصيلة قتلى ٥٠ مليون نسمة، و[جوزيف ستالين] الملحد - رئيس الإتحاد السوفيتي - بحصيلة قتلى ٤٠ مليون نسمة[١].

هل كان هتلر مُلحـداً؟

لكن ماذا عن Gott mit uns والتي تعني الله معنـا شعار النازي؟

ماذا عن رمز الصليب في النازية؟

ماذا عن المسيحية الإيجابية Positive Christianity التي دعا إليهـا هتلر؟

قَدَّم أدولف هتلر في بداية مشواره السياسي في ألمانيا الدعم للكاثوليكية الألمانية، لكن مع وصوله للحُكم، وقيادته للرايخ الثالث، قام بإغلاق جميع الكنائس، وجميع المنظمات الكاثوليكية في البلاد.. وقرر اضطهاد الكاثوليك رسميًّا، وسمح لجوبلز وهملر وبورمان باضطهاد المسيحية في البلاد.

كتب [آلان بولوك] يقول " كان هتلر ماديًّا قاسيًا وكان يرى أن المسيحية تقف في وجه قوانين الانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح".

Bullock wrote that Hitler was a rationalist and materialist, who saw Christianity as a religion "fit for slaves", and against the natural law of selection and survival of the fittest.[2]

ومن المُسلَّم به عمومًا من قِبل المؤرخين أن غاية هتلر فيما بعد الحرب، وعلى المدى الطويل كانت القضاء على المسيحية في ألمانيا.

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Adolf_Hitler.

(2) Alan Bullock; Hitler, a Study in Tyranny; HarperPerennial Edition 1991; p219".

وقد اتفق كُتاب سيرة هتلر أمثال [آلان بولوك] Alan Bullock، و[إيان كيرشوف] Ian Kershaw، و[يهواقيم فيست] Joachim Fest على أن هتلر كان ضد المسيحية.

وهذا الكلام أثبته هتلر نفسه من خلال طاولات نقاشه مع مستشاريه Hitler's Table Talk

قال هتلر في إحدى طاولات النقاش " المسيحية ديانة أسطورية والعلم يحطمها وسيثبت يومًا ما أنها أسطورية"[١].

ويخلص [لورنس ريس] إلى أنه " لا علاقة بين هتلر والمسيحية، بل لا علاقة له بالدين بشكل عام، وليس هناك أدلة على أن هتلر نفسه في حياته الشخصية كانت له أي عقيدة لها علاقة بالدين، أو المعتقدات الأساسية للكنيسة المسيحية".

كانت علاقة هتلر بالدين علاقة انتهازية لا أكثر.

إنه الرجل الذي لم يكن يؤمن بالله، ولا بالضمير..طبقًا للمؤرخ آلان بولوك[٢].

ولم تكن المسيحية بالنسبة لهتلر أكثر من ديانة عبثية.

يقول [ألبرت سبير] مُهندس عمليات هتلر: " كان هتلر يرى أن المسيحية ديانة خاطئة"[٣].

وبدخول عام ١٩٣٩ أعلن هتلر لجوبلز رسميًّا أنه "يود لو تسنح له الفرصة لاستئصال المسيحية من العالم كله.. فهي داء خطير"[٤].

ومن الغريب أن هتلر كان يؤمن يقينًا أن المسيحية تم تحريفها على يد شاول الطرسوسي – القديس بولس –، وقد اعتبر أن المسيحية قد نضجت بما فيه الكفاية لتدميرها.

---

(1) Hitler's Table Talk 1941-1944, Cameron Stevens, Enigma Books p.5 61.

(2) Alan Bullock; Hitler: a Study in Tyranny; 1991; p216.

(3) Inside the Third Reich: Memoirs. New York: Simon and Schuster, pp 9 96.

(4) Elke Frölich. 1997-2008. Die Tagebücher von Joseph Goebbels. Munich: K. G. Sauer. Teil I, v. 6, p. 272.

In early 1937 he was declaring that 'Christianity was ripe for destruction[1].

لكن طالما أن المسيحية بهذه البشاعة بالنسبة لهتلر، إذن بماذا كان يدين الرجل؟

المؤرخ النازي الشهير [كونارد هايدن] Konrad Heiden اقتبس مقولة هتلر حين قال: " نحن لا نحتاج إلى إله آخر سوى ألمانيا، لا يكون الحب والإخلاص إلا لها"[٢].

يرى كثير من المؤرخين الكبار أن أدولف هتلر كان ربوبيًّا يؤمن بوجود إله خلق الكون لا أكثر deism... وهذا الاتجاه مدعوم برؤية عامة لمقولات هتلر وتصريحاته وطاولات النقاش الخاصة به مع المقربين.

لكن الذي يُسلِّم به جميع المؤرخين بلا خلاف يُذكر بينهم أن النازية التي أسسها هتلر كانت "علمانية قائمة على العلم المادي التجريبي المعاصر"[٣].

ويرى أشهر المؤرخين للحقبة الهتلرية على الإطلاق وهو آلان بولوك Alan Bullock أن هتلر كان ماديًّا قُحًّا materialist، هذا هو دين أدولف هتلر الأول والأخير.

ورأي بولوك أن هتلر لم يؤمن يومًا ما بالله[٤].

إذن الذي لا خلاف عليه هو مُعاداة هتلر للمسيحية، وكراهيته للدين بصفة عامة، وتأسيسه للنموذج المادي العلماني القائم على العلم التجريبي المجرد.

ربما فكرة الإلحاد بصيغته التنظيرية المعروفة لم يتفرغ هتلر لاستيعابها، لكن حتمًا هي مُستقرة في ذهنه ولو بصورة بدائية أولية، وهي التي حررته من كل النوازع الأخلاقية، أثناء تدميره للأُمم والشُعوب، وإحراقه لديانات بأكملها، وقيامه بتفريغ كل الدول التي تحت يده من الأقليات والأثنيات، كالغجر والسلاف واليهود والأقزام والمعاقين.

---

(1) Ian Kershaw; Hitler a Biography; W. W. Notron Co; 2008 Edn; pp.29 297.

(2) Heiden, Konrad (1935). A History of National Socialism. A.A. Knopf, p. 100.

(3) Richard J. Evans; the Third Reich at War; Penguin Press; New York 2009, p. 547 .

(4)HarperPerennial Edition 1991; p219 .

لقد حررت المادية العلمانية هتلر من أيَّة أعباء أخلاقية مثالية.

لقد كان هتلر يتبنى رؤية الداروينية الاجتماعية في صراع الضعفاء مع الأقوياء، وقام بتطبيقها في حروبه وفي إحراقه للأقليـات.

لكن ماذا عن Gott mit uns، والتي تعني: الله معنـا، شعار النازي؟

شعار الله معنـا Gott mit uns، هو وسام التاج البروسي، وتم تصميمه عام ١٨٦١، وكان يحمل شعار الامبراطورية الألمانية، وكان الجنود الألمان يضعونه على خوذاتهم في الحرب العالمية الاولى.

إذن الأمر تُراثي لا أكثر، إنه شعار مجد الإمبراطورية البروسية العظيمة التي كان يتوق هتلر لاستعادتها[١].

ماذا عن رمز الصليب في النازية؟

نال هتلر وسام الصليب الحديدي في الحرب العالمية الأولى، وكان يفخر جدًّا بهذا التكريم، وكان يضعه تحت شارة حِزبه، ومن هنا جاء رمز الصليب في النازية.

ماذا عن المسيحية الإيجابية Positive Christianity التي دعا إليهـا هتلر؟

هذه الصياغة من المسيحية كانت أكبر دليل على رؤية هتلر للمسيحية، فقد دعـا هتلر في عشرينيات القرن الماضي إلى المسيحية الإيجابية Positive Christianity، في برنامج الحزب النازي عام ١٩٢٠، التي طبقًا له تُنكر سامية المسيح – أنه من نسل يهود – أو أن كَتبة الإنجيل يهود..وصُنفت الديانة الجديدية من قِبل كنائس أوربا كلها أنها هرطقة وإلحاد[٢].

وطبقا ليوميات جوبلز – وزير دعاية هتلر – " كان هتلر يكره المسيحية جدًّا، من أجل ذلك قام بتأسيس للمسيحية الجديدة"[٣].

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Gott_mit_uns .

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Positive_Christianity .

(3) Fred Taylor Translation; the Goebbels Diaries 193 41.

بعض جرائم هتلر...

إذن هتلر كان ماديًّا علمانيًّا، حارب من أجل الانتخاب الطبيعي، وحاول أن يجعل منه أيديولوجية ألمانيا في القرون العشرة القادمة – الرايخ الثالث –، ومن أجل هذا المبدأ قام هتلر بتأسيس فرقة Einsatzgruppen، وهي فرقة إبادة الأقليات عديمة الجدوى في ألمانيا، وكان يتم تجريد الضحايا من أية أدوات نافعة مثل حشوات الأسنان الذهبية، ثم يقوم الضحايا بحفر القبور بأيديهم ثم يُقتلون وهم واقفون في وسط القبر بمنتهى الترشيد والعقلانية المادية العلمانية.

وفي ١٤ يوليو ١٩٣٣ أصدر هتلر قرارًا بتعقيم ٤٠٠ ألف شاب عن طريق تمريرهم على ترددات عالية من أشعة إكس، حتى يفقدوا القُدرة على الإنجاب، فهؤلاء الشباب كانوا مصابين بأمراض نفسية، وعصابية كثيرة ربما تضر الأجنة.

يظن كثيرون من العرب أن مشكلة هتلر كانت مع اليهود، وهذا خطأ جوهري في استيعاب رؤيته للإنسان والإنسانية.. كان هتلر يرى أن الألمان هم أرقى الأجناس، وأن اليهود أحد الأقليات التي تؤثر على نقاء العِرق الألماني النقي، لكنهم ليسوا الوحيدين في الصورة فهناك الكثير من الأعراق التي اختلطت بالألمان، ولذا لم يقم هتلر بإبادة اليهود فقط، وإنما أباد السلافيين والغجر والأقزام والمعاقين وأصحاب الأمراض النفسية وأصحاب الأمراض المزمنة، وعدم شهرة هذه الأقليات بسبب عدم وجود لوبي غربي يطالب بحقوقهم بعكس الحال مع اليهود!

وبذلك أصبح هتلر من أوائل الذين يقومون بتطبيق الانتخاب الطبيعي عمليًّا، ومن أوائل الشخصيات التي استوعبت الداروينية بصورتها الحقيقية[١].

ولذا يمكن اعتبار معسكرات الاعتقال النازية، حيث يتم إحراق كل الأقليات والأثنيات، هي أول مراكز الانتخاب الطبيعي التي يؤسِس لها الإنسان المعاصر الهوموسابين

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Untermensch.

homosapien، حيث يُحرق في هذه المراكز عديمي النفع useless eaters على حد تعبير هتلر حين قام باحتلال بولندا، وبالفعل تم رسميًا قتل ٣,٥ مليون بولندي لهذا السبب.

كان هتلر بنموذجه النازي الصورة المثالية للمادية العلمانية التي دعت لها نظرية الانتخاب الطبيعي.

وقام هتلر بتقرير مشروع T4، وهو المختص بعمليات القتل الرحيم Euthenesia، أو القتل العقلاني حيث يتم التخلص من المعاقين، وأصحاب الأمراض النفسية، وأصحاب الأمراض المزمنة، عن طريق القتل المباشر.

وقام الدكتور [بوخنوالد] bboukhnouald، بعمل تجارب طبية على المعتقلين، مثل تعريضهم لغُرف تفريغ الهواء، لمعرفة كم يستطيع الانسان أن يمكث حتى يموت، وتعريضهم لغازات سامة لمعرفة مدى فاعليتها والتركيزات المطلوبة، والقيام بعمليات جراحية بدون تخدير لمعرفة درجات الألم ومسارات الأعصاب، وقد وفَّرت الفترة النازية كمية عملاقة من المعلومات الطبية في كافة المجالات.

وكان الدكتور [راشر] يُعرِّض مرضاه للتجميد لمعرفة الفترة التي بعدها يموت الانسان، ودرجة التجمد الكافية للموت، وكان أُسلوب العمل هو تجميد السجناء تدريجيًّا مع متابعة النبض والتنفس والحرارة وضغط الدم، بانتظام وقد مات أغلب من تمت التجارب عليهم، والباقون أُصيبوا بلوثات عقلية وتمت إبادتهم بعد ذلك.

وكما قال [بريمو ليفي] Primo Levi: فإن ألمانيا النازية هي المكان الوحيد، الذي كان بوسع العلماء أن يدرسوا فيه جُثتي توأمين قُتلا في نفس اللحظة[1].

كما أُجريت في ألمانيا النازية تجارب زرع الغرغرينة في الجروح، والحقن بالميكروبات، لمعرفة الأسرع فتكًا[2].

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Primo_Levi.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Nazi_crimes_against_the_Polish_nation.

لقد كان أدولف هتلر ماديـاً، يؤمن بمقررات الداروينية، والانتخـاب الطبيعي، والبقاء للأصلح، وقامت الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيتها ٥٠ مليون نسمة، من أجل تطبيق هذه الفكرة.

العلمانية تصحح نفسها بنفسها

هذه أسطورة يروج لها دُعاة الإلحاد العلماني في بلادنا فالعلمانية يستحيل تصحيحها من داخل النموذج العلماني؛ لأن المركز في العلمانية هو المادة والطبيعة، وأي تصحيح للنموذج العلماني لن يخرج عن هذا الإطار، ولن تستمد العلمانية قيمة من خارج هذه الإطار وإلا فقدت أهم خصائصها ولم تعد علمانية.. إذن لو استمدت العلمانية قيمة ميتافيزيقية ما ورائية خارج الإطار المادي لتدعمها، في هذه اللحظة لم تعد العلمانية هي تلك الصورة التي يُبشر بها مؤسسوها...

يعلم الجميع أن العلمانية فجة مستحيلة التطبيق؛ لذا يتم إدخال عناصر من خارجها لتجميل الصورة وتحسين المنظر العام ولتلقى قبولًا لدى القاعدة العريضة من الناس..، عندما مثلًا سمح [أردوغان] بإدخال الحجاب للمؤسسة التركية كان هذا منافيًا لمبادئ العلمانية، وحاولت المؤسسة العسكرية أن تقوم بانقلاب كبير عليه، وصراحةً بالفعل أردوغان خالف أسس العلمانية في هذا الأمر، وليست له حجة، لكن الجميع يعلم أن المشكلة ليست في أردوغان وإنما في العلمانية الشوهاء الفجة واستحالة تطبيقها بصورتها القبيحة.

إذن أي تصحيح للعلمانية لا يكون إلا في إطار النموذج المادي الطبيعي، أي تصحيح خارج هذا النموذج يُفقد العلمانية أهم سماتها... إذن لا يوجد تصحيح ولا تجميل للعلمانية، والتصحيح دائمًا يأتي من قيمة خارج العلمانية نفسها وهذا يعني قصورها عن استيعاب الإرادة البشرية ورغبات المجتمع. وهذا يعني فشل العلمانية الصريح والجذري في فهم متطلبات الشعب، وإلا ما حدث الصراع الفتاك الحالي بين [أردوغان] والمؤسسة العسكرية.. وهو صراع بين إرادة شعب وبين علمانية فجة.. صراع بين رغبات أمة وعلمانية حقيقية تريد أن يتم تطبيقها بالحديد والنار... صراع بين طموحات الأتراك المشروعة وبين حدود العلمانية التي لا يمكن تجاوزها!

الديموقراطية بها خطأ فلسفي قاتل

في الدول الديموقراطية فإن ٥١٪ من الأصوات هو الذي يقرر القانون والحقيقة والقيمة.

عدد الأصابع المرفوعة هو المرجعية النهائية، إنها ديموقراطية بلا مرجعية فلسفية أو أخلاقية أو معرفية، وقد ضرب أحد المفكرين –د.عبد الوهاب المسيري– مثالًا على ديموقراطية عد الأصابع بإحدى مباريات كرة القدم: إذا أحرز الفريق الضيف أهدافًا أكثر من اعضاء فريق البلد المضيف فهل من حق أغلبية المتفرجين أن يقرروا ما إذا كان الفريق المضيف هو الفائز أم لا؟ والاجابة بطبيعة الحال بالنفي، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لأهداف في مباراة كرة قدم فهل يصح تطبيق هذا المنطق على شيء هام للغاية مثل القيم الإنسانية العليا وقوانين الأمة..!!

والديموقراطية تدور في إطار النسبية الكاملة، وترتبط بعدد الأصابع الموافقة للقرار المُتخذ حيث يتم تمرير مشروع أي قانون بفرق صوت واحد وهذا جائز ديموقراطيًا بغض النظر عن القيمة والغاية..

والديموقراطية الأُمية كما يسميها عالم الاجتماع [اولريش بيكر Ulrich Becker] هي التي تسببت في اندلاع حربين عالميتين وغرق الأرض بالربا وتُجار البشر الجدد، ولم تعد حقوق الإنسان تحظى باحترام فقانون الإرهاب في الغرب "Patriot Act"والحد من نزوح المهاجرين ورفض الأجانب كلها قرارات ديموقراطية سليمة!

والحزب النازي وصل إلى الحكم بطريقة ديموقراطية وكل قرارات الإبادة التي قام بها الحزب تمت بطريقة ديموقراطية عقلانية رشيدة!

والمشروع الإمبريالي الغربي قامت به حكومات تم انتخابها بطرق ديموقراطية سليمة، وعمليات السخرة والإبادة كانت تحظى بالموافقة، فهي مسموح بها ديموقراطيًا.

هل علينا ان نقبل بهذه القرارات بما أنها نابعة من إرادة الشعب أم نرفض هذه القرارات الديموقراطية استنادًا إلى مرجعيات أخلاقية متجاوزة؟

العلمانية الغربية الآن بها ما يسمى احتراف التأييد واحتراف المعارضة، فلا يصح للمعارضة أن تؤيد قرار الحزب المُخالف بل هي معارضة على الدوام، أفيُراد تمثيل هذه اللعبة في بلادنـا ليقال عنا ديموقراطيين ومتحررين.؟

كان [هيجل] يعارض الإنتخابات المباشرة ويرى أنها لا تفي بالغرض.. ففي الدول الرأسمالية تتبرجز البروليتاريا أي يتم شراء أصواتها بالمال كما يقول لينين.

ولا ننسى أن مجلس الشيوخ الأمريكي أغلبه مليونيرات رأسماليين.. لقد صارت الانتخابات مجرد اقتراع شعبي يدور حول موضوعات تافهة، ويرتهن بمن يتابع التليفزيون بشكل أفضل، وصارت الانتخابات مجرد استبدال مجموعة من المحتالين بمجموعة أخرى من المحتالين، وأصبح الناس يذهبون إلى صناديق الاقتراع للتصويت عرقيًا ليكفلوا لمجموعتهم أن تفوز بغض النظر عن حُجة هذا أو ذاك، وبات المرء يُصوت من أجل مصالحه الذاتية.

ويرى [نعوم تشومسكي] أن الديموقراطية الغربية هي ديموقراطية بالونية كاذبة، فلا أحد يعرف إلا ما يرغب الليبراليون الكبـار أن نعرفه، والسكان سيرضون بقرار قادتهم ذوي البصيرة، فنموذج الديموقراطية الذي يرتضيه الشعب يساوي باختصار نموذج السيطرة الشمولية.

ولذا يقول نعوم تشومسكي: لقد عارضنا بثبات الديموقراطية، حيث لم يعد بالإمكان السيطرة على نتائجها[(١)].

---

(١) بعض الفقرات مقتبسة من كتاب العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق طبعة ٢٠٠٢ المجلد الثاني.

حديقة حيوان البشر!

Human zoo

أوضح داروين في كتابه نشأة الإنسان: أن الأعراق البشرية مجرد أنواع مختلفة من الكائنات الحية، لا يربط بينهم رابط، وبالعودة إلى الوراء فإنه يبدو من المستحيل الإشارة إلى أية نقطة محددة يتحتم عندها استخدام مصطلح الإنسان، ولكنه أمر ذو أهمية قليلة جدًّا[١].

ومن العجيب أن داروين كان يرى أن الأجناس البشرية المُختلفة التي تعيش بيننا الآن هي كائنات حية مُختلفة، وقد أقام داروين التدليل على ذلك باستخدام حجة القمل، فاختلاف نوع القمل في السكان الأصليين لبعض القارات عن القمل الذي يوجد في أوربا يؤكد اختلاف النوع بين البشر الحاملين لذلك القمل، فالأمر ليس مجرد اختلاف أعراق وإنما اختلاف أنواع.

يقول داروين: "بالفحص الدقيق للقمل الذي تم جمعه من أقطار مختلفة من الأعراق المختلفة للإنسان، وُجد أنهم لا يختلفون في اللون فحسب ولكن في التركيب الخاص بالمخالب والأطراف وفي كل مرة يتم فيها الحصول على العينات فإن الاختلافات تكون ثابتة، وعندما شرد القمل الذي كان يعيش على سكان إحدى الجزر البدائيين وانتقل إلى أجساد البحارة الإنجليز، فقد مات في خلال ثلاثة أو أربعة أيام، وكان هذا القمل داكنًا وأكبر في الحجم وأكثر ليونة من القمل الأوربي، **وهذه الحقيقة الخاصة بأن الأعراق الإنسانية يتم ابتلاؤها بالطفيليات التي يبدو أنها متباينة بشكل خاص من الممكن تقديمها كبرهان على أن الأعراق البشرية في حد ذاتها من الواجب تصنيفها على أساس أنها أنواع مختلفة ومتباينة من الكائنات الحية"**[٢].

وكان العبء المُلقى على عاتق الداروينيين فيما بعد واضحاً، ولا يحتاج التأخير فنحن بصدد البحث عن كائنات حية مُختلفة تُسمى مجازًا بشر.

---

(١) نشأة الإنسان The descent of man .. تشارلس داروين .. ترجمة مجدي محمود المليجي .. المجلس الأعلىٰ للثقافة ٢٠٠٥ .. ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق ص٤٠٢.

وكانت بدايات القرن العشرين ملحمة المعاناة للسود والأعراق الأفريقية والأجناس المغولية، فظهرت حدائق حيوان الإنسان، والمعارض الأثنية ethnological expositions، وفي صورة مُهينة للغاية، وعنصرية قبيحة، وداروينية فجة، كان يوصف هؤلاء البشر بأنهم حلقات في سلسلة الإنسان القرد[١].

وكانت الفترة الذهبية لحدائق حيوان البشر هي الفترة من ١٨٧٠ إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت تُعرض في حدائق حيوان البشر مجموعة واسعة من الحيوانات، وبينها توجد أقفاص تحتوي على بشر من مختلف الأجناس، وكان يوضع في الأقفاص بجانب السود الأقزام والمصابين بالبهاق ومُحدبي الظهور dwarves, albinos and hunchbacks[٢].

وكانت توجد حدائق حيوان الإنسان في باريس وهامبورج وبرشلونة وأنتيورب ولندن وميلانو ونيويورك، وفي عام ١٨٧٤ قرر الألماني Carl Hagenbeck أن يُحضر مجموعة من النوبيين من مصر باعتبارهم أحد الحيوانات التي يتم البحث عنها لملء بقية الأقفاص[٣].

-ربما لا يصدق الملحدين المصريين أن أجدادهم رسميًّا كانوا داخل أقفاص منذ أقل من قرن وربع باسم الداروينية الملحدة العنصرية الفجة القبيحة.-

وأدرت أقفاص النوبيين الدخل الوفير لـ Carl Hagenbeck حيث قام بعمل جولة بهم في باريس ولندن وبرلين.

وفي عام ١٨٧٧ قرر مدير حديقة كوت Geoffroy de Saint-Hilaire وتسمى Jardin d'acclimatation تنظيم حديقتي حيوان مستقلتين **للنوبيين وأهل الإسكيمو**

---

(1) Mullan, Bob and Marvin Garry, Zoo culture: The book about watching people watch, Second edition,1998,P32

(2) www.discoverparis.net/newsletter.html?insight=3162983825694464.

(3) http://mondediplo.com/07/08/2000 humanzoo.

ووصل عدد الزوار إلى ما يقارب المليون مما أتاح مضاعفة الحديقتين إلى ٣٠ حديقة بين عامي ١٨٧٧ إلى عام ١٩١٢.

وفي عام ١٨٨٩ عرضت حديقة الحيوان العالمية في باريس ٤٠٠ شخص من السكان الأصليين، وكانت زيارات تلك الحدائق تحقق دخولًا رهيبة مما ساعد في انتشارها في أنحاء أوربا.

ومن المدهش أن حديقة حيوان كولومبيا عام ١٨٩٣ كانت تضم مصريين رسميًّا[١].

وفي عام ١٩٠٤ أُنشئت في مدينة سانت لويس بأمريكا حديقة حيوان تعرض الكثير من الفلبينيين فيما كان يُسمى بموكب التقدم الدارويني التطوري parade of evolutionary progress، وكانت رسالة حديقة الحيوان واضحة للزوار وهي تبرير عبء الرجل الأبيض، في استعمار العالم وأخذ ثروات هؤلاء البدائيين الذين لا يعرفون قيمتها.

وكانت الأقزام من غينيا الجديدة تُعرض في قسم الثدييات الرئيسية في حديقة حيوان برونكس.

The Primate section of the Bronx Zoo[2].

وفي أحيان كثيرة كانت تقوم بعض حدائق الحيوان بنقل قرى بأكملها مع تراكيب البيوت التي كان يعيش بها هؤلاء البشر مع كافة أمتعتهم، حتى تُضفي مزيدًا من البهجة للزوار.

تم عرض القرية الكونغولية في معرض بروكسل ١٩٥٨ في العالم[٣].

لكن كيف كان هؤلاء البشر المساكين يُمضون أوقاتهم في أقفاص الحيوانات، تذكر لنا الروايات أن متوسط الفترة التي يمضونها كانت لا تتجاوز ثلاثة أشهر حيث يُصابون بأمراض

---

(1) Anne Maxell, "Montrer l'Autre: Franz Boas et les soeurs Gerhard", in *Zoos humains.* pp. 331-339.

(2) http://www.modelminority.com/article750.html.

(3) http:// query. Nytimes .com/ gst/ abstract.html ?res= 9C04E7D 81F3EE733A 25753C1A96F9C946797D6CF.

عُصابية ونفسية خطيرة، وأقدم الكثيرون منهم على الانتحار، وكان أشهر هؤلاء المنتحرين على الإطلاق هو [أوتا بينجا] حيث كان يعيش في إحدى قرى الكونغو وكان متزوجًا ولديه طفلان، وقد اقتيد من قريته وعُرض داخل أحد الأقفاص بجانب قرد الشامبانزي في نفس القفص، ثم مع إنسان الغاب وكان يُصنف كأحد الحلقات المفقودة، وظل معروضًا في حديقة حيوان برونكس في نيويورك شهورًا طويلة، ونظرًا لوضعه المأساوي فقد قرر الانتحار، والتخلص من حياته[(١)].

بقي أن نقول: إن حدائق حيوان البشر كانت في العقل الأوربي منذ القرن السادس عشر الميلادي، منذ أن بدأ الأوربيون يجوبون العالم ويُنشئون مستعمراتهم، وكان العقل الأوربي يرى في هؤلاء الزنوج والأقزام والهنود والسكان الأصليين درجة أدنى بكثير من الجنس القوقازي الأبيض، ولذا ما فعله داروين صراحةً هو تقديم المبرر البيولوجي، والمسوغ العلمي الذي يتيح لهؤلاء مزيدًا من التنكيل والإهانة وتدمير قرى بأكملها باسم الداروينية، ولذا كانت حدائق حيوان البشر توجد على استحياء قبل داروين، لكن عصرها الذهبي هو من عام ١٨٧٠ - العام الذي أصدر فيه داروين كتابه نشأة الإنسان - إلى عام ١٩٤٥، فقد حررت الداروينية هؤلاء من أية أعباء أخلاقية في تعاطيهم مع بقية البشر.

---

(١) Philips Verner Bradford, Harvey Blume, Ota Benga: The Pygmy in The Zoo, New York: Delta Books, 1992.

الفصل العاشر

بدائع الفوائد

لا يوجد ملحدون في الخنادق

There are no atheists in foxholes

هذه العبارة قالها الرئيس الأمريكي السابق [أيزنهاور]، حيث إن الإلحاد يختفي في أوقات الكرب والشدة والكل يعود إلى الإيمان(١).

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله: «أحد الرفاق السابقين الفلسطينيين مع مجموعة من التروتسكيين حضروا إلى معسكر تدريب الفدائيين، وبادروا صديقي بالسؤال عن إطاره النظري ومنطلقاته الفلسفية ونقط ارتكازه العقلية، فاحتار صديقي ولكنه أخبرهم بأنهم في هذا المعسكر يؤمنون بالكفاح المسلح، ثم أضاف أنه يمكنهم أن يشاركوا بأنفسهم في عملية عسكرية في اليوم التالي، ثم أعد صديقي الماكر عدة سيارات لهم، وتقدم الموكب نحو منطقة جبلية، ثم بدأ الرصاص ينهال عليهم بتدبير سابق، وبطبيعة الحال لم يصبهم سوء ولكن كما أخبرني صديقي فقد تصرف التروتسكيون مثل أي بشر أي اختبئوا تحت السيارات، ولكن ما فاجأه هو أن كل واحد منهم بدأ يتلو أدعية دينية ويطلب العون من الله»(٢).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣]

الإلحاد هو موقف نفسي لا أكثر.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/There_are_no_atheists_in_foxholes.

(٢) رحلتي الفكرية، ص١٤٠.

نشأة الإلحاد

لا يوجد تاريخ محدد يمكن من خلاله إثبات بداية زمنية للإلحاد، فهو ظاهرة طفيلية عبر الزمان لا توجد لها جذور حتى عند السوفسطائيين اليونانيين القُدامى، وحتى [أبيقور] مؤسس مذهب المُتعة ومؤسس المدرسة الأبيقورية المُنحلة عاش عيشة متقشفة، وكان رواقيًا ساميًا في أخلاقه، عاش ومات على مذهب أهل الأديان في تبني الأخلاق، وترك الانغماس في الملذات واتخذ زوجة ومزرعة وعاش بما تُدره عليه دروس العلم التي كان يُلقيها لتلامذته، وحتى فولتير أول المُلحدين والأب الروحي للإلحاد كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه، وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدامه ويخشى على خدامه من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة: "لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي"..، بل وقام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها "يا رب اذكر عبدك فولتير"، وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة[1].

فالإلحاد كفلسفة مُستقلة لا توجد له جذورعبر كل التاريخ ولذا يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: "لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد".

ويقول[ول ديورانت]في كتابه قصة الحضارة: "ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعًا اعتقادًا سليمًا، وهذه في رأي الفيلسوف حقيقة من الحقائق التاريخية والنفسية"[2].

أما في بلادنا الإسلامية فلم يوجد ملحد واحد في تاريخ الإسلام كله، أما ما يُروى عن ابن الراوندي وابن المقفع وابن سينا وأبو حيان التوحيدي وغيرهم فعلى قلتهم الشديدة لم يكونوا

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد ٣٨ صفحة ٢١٤.

(٢) قصة الحضارة، م١، ص٩٦.

ملحدين الإلحاد الاصطلاحي المعاصر، وإنما كانوا أتباع فلسفات باطنية كما أوضحنا فيما سبق، بل ويؤكد تاج الدين السُّبكي في كتابه طبقات الشافعية أن أغلب هؤلاء أئمة مجتهدون لهم وعليهم.

وفي عصرنا الحديث يصعب بشدة ضبط تاريخ محدد لظهور الإلحاد المُعاصر، لكن أغلب المؤرخين الغربيين يؤرخون لبداية الإلحاد في أعقاب هدم سجن الباستيل سنة ١٧٨٩م مع بداية الثورة الفرنسية، وظهر فعليًّا على الساحة العالمية بوصول البلاشفة للحكم في روسيا في أعقاب ثورة ١٩١٧ م، لكن بقليل من الإنصاف سيظهر لنا أن البلاشفة بالفعل كانوا ملحدين وحاربوا الدين حربا شعواء، وتبعًا لمجلة التايم في عددها الصادر يوم ١١٩٥٦، فإن عدد الكنائس تقلص في الاتحاد السوفيتي من ٤٦ ألف كنيسة سنة ١٩١٧ إلى ٤ آلاف كنيسة سنة١٩٥٦، إلا أن البلاشفة الشيوعيين لم يكن إلحادهم إلحادًا علميًّا أو فلسفيًّا أو فكريًّا بقدر ما كان إلحادًا سياسيًّا، فالدين من منظور ماركسي هو أحد البنى الفوقية بما في ذلك الفِكر والاجتماع والسياسة والتقاليد والقيم، بينما الإقتصاد هو البنية التحتية الوحيدة للمجتمع الماركسي، وكل البنى الفوقية هي انعكاس لهذا البناء التحتي، ولا توجد بنية فوقية واحدة مُستقلة، وهذا يعني أن الدين عامل عارض يتم إزالته في مرحلة لاحقة حتى ينفرد العامل الإقتصادي بإدارة الأمة الماركسية، ولذا فأغلب إحصاءات أعداد الملحدين حول العالم هي إحصاءات مزيفة وغير دقيقة بالمرة؛ لأن أي دولة تُعلن الحُكم الإشتراكي يتم تحويل عدد سكانها في جداول البيانات من خانة الدين إلى خانة الإلحاد، وهذا ما ذهب إليه [صامويل هنتنجتون] في كتابه صدام الحضارات إذ يقول في ص١٠٨" يُشكل الصينيون حوالي ٩٢٪ من الملحدين حول العالم فمع مجيء الشيوعية إلى الصين تم تحويل كل أصحاب الديانات الأرضية إلى لادينيين، في كل الدراسات الإحصائية لأصحاب الأديان في العالم". وهذا تحويل قسري غير موضوعي بالمرة.

ولذا يرى المؤرخون أنه بناءًا على هذه الفكرة فالإلحاد انتهى بصورته المؤسسية من العالم مع انهيار الإتحاد السوفيتي سنة ١٩٨٩ م.. فالفترة بين عامي ١٧٨٩ م و١٩٨٩ م يمكن اعتبارها العصر الذهبي للإلحاد The Twilight of Atheism، إذن الإلحاد في الأصل فلسفية طفيلية بلا جذور أغلب أبعاده سياسية مجردة، ولذا فالملحدون إلى الآن يتم تصنيفهم في أمريكا على أنهم أكثر الطوائف تعرضًا للاضطهاد، وبحسب بحث استقصائي على مدار

عامين قامت به جامعة مانيسوتا الأمريكية فإن الملحدين هم الأكثر اضطهادًا في أمريكا، ويفوقون في ذلك الشواذ جنسيًّا والمسلمين المتطرفين[(١)].

وأمريكا أقوى دولة علمية في العالم ما زالت تصنف الملاحدة على أنهم غير مقبولين في المجتمع الأمريكي، وكان هذا واضحًا جدًّا في الكلمة التي قالها [جورج بوش] الأب حين سألة صحفي أمريكي في عام ١٩٨٧: " هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساويًا في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان، وأصبح رد السيد بوش مشهورًا حين قال: " لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنون أو حتى اعتبارهم محبين للوطن هذه أمة موحدة تحت راية الله". Atheist cannot be considered as patriotic citizen

وطبقًا للواشنطون بوست في بحث آخر مستقل:" فإنه على الرغم من حصول الشواذ جنسيًّا على بعض الحقوق، ونالوا بعض الاحترام من المجتمع الأمريكي ما زال الملحدون الأمريكيون يمثلون أكثر فئات أمريكا احتقارًا وكراهية بسبب ما يبدونه من انعدام للأخلاق وعدم الثقة ورعونة في مبادئهم فإن المجتمع الأمريكي سريعا ما يلفظهم، ويتردد كثيرًا الأمريكيون في إقامة علاقة مع ملحد أو مجرد تولي منصب وظيفي أو حتى المشاركة في فرق الكشافة الشبابية خاصّة لما يبدونه من صفات عدم تحمل الأمانة في اختبارات التأهيل العسكري الذي تُجريه المؤسسات النفسية العسكرية بأمريكا "[(٢)].

ولذا يرى [جون لوك] مؤسس الدولة المدنية في رسالته في التسامح أن الملحد غير مقبول في المجتمع المدني يقول: " لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله.. فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة الى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء"[(٣)].

---

(1) http://newsjunkiepost.com/2009/09/19/research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority /

(2) http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/ 2011/ 02/18 /AF qgnwGF_story_1.html.

(٣) جون لوك، رسالة في التسامح ص٥٧.

ختامًا فالإلحاد شذوذ فكري طارئ لا تقبله النفوس السوية ولا العقول السليمة.

الماركسية على المحك

قامت الماركسية على مُصطلح الاستغلال مقصورًا على معناه الأخلاقي، وهو مصطلح غارق في الميتافيزيقية - مصطلح ملوث ميتافيزيقيًا-، حيث ترى الماركسية أن أصحاب وسائل الإنتاج يستغلون العمال، وهنا يتبادر للذهن إشكالٌ خطير وهو ما المانع المادي من الاستغلال؟

هل ثمة مانع طبيعي أو دارويني أو بيولوجي يمنع من الاستغلال؟

هل ثمة قانون فيزيائي في الطبيعة يمنع من الاستغلال؟

إذن لا يمكن نقد الاستغلال إلا من منطلق ديني ميتافيزيقي ما ورائي مجرد.

عندما قرر ماركس أن الدين هو إحدى البنى الفوقية - محاولة إزالة الدين من المجتمع- كان لا يدري أنه بذلك يضع الماركسية كلها على المحك.

الاستغلال في صورته الرائقة هو عنصر من عنصري الخير والشر وإعطاء كل ذي حقٍ حقه هو العنصر الآخر.

أفكار الخير والشر، أفكار الاستغلال وإعطاء كل ذي حقٍ حقه، هذه أفكار لا وجود لها في عالم مادي بيولوجي دارويني.

يقول [إليوت] في روايته الأرض الخراب:" إذا لم تتخذ لنفسك إلها فلابد أن تُقدم احترامك لهتلر أو ستالين".

يقول [جون لوك]:" إذا لم يكن إله ولا دين فليس غريبًا ولا مجافيًا للواقع أن تعيث في الأرض فسادًا ولو على حساب الآباء والأبناء ".

إذن محاربة الإستغلال في المفهوم الماركسي لا يمكن استيعابها ولا يمكن إدخالها عنوةً في الأدبيات الماركسية ؛ لأنه لا مانع مادي أو بيولوجي أو دارويني من الإستغلال.

لهذه الأسباب فشلت الماركسية، وأيضًا لهذه الأسباب اعترف رئيس روسيا السابق [بوريس يلتسن] في خطبته الشهيرة في موسكو في أول يونيو ١٩٩١:" لم تكن بلادنا سعيدة الحظ، فقد تقرر تجربة الماركسية فينا، ودفعَنا القدر في هذا الاتجاه فبدلًا من اختيار بلد ما

في أفريقيا لهذا، شرعوا في إجراء هذه التجربة فينا نحن، غير أننا في النهاية أثبتنا أنه لا مكان لهذه الفكرة فقد دفعت بنا بعيدًا عن الطريق الذي انتهجته دول العالم المتحضرة، وهو ما تعكسه حقيقة أن أربعين في المائة من الشعب يعيشون تحت خط الفقر، بل ويعانون مذلة دائمة إذ لا يتلقون السلع إلا بعد إبرازهم بطاقات التموين، إنها مذلة دائمة تذكرك في كل ساعة بأنك عبد في هذه الدولة".

لقد فشلت الماركسية على المستوى التنظيري، وفشلت على المستوى التطبيقي، وهذه نهاية حتمية لكل مدرسة فلسفية تتنكر للدين؛ لأنها بذلك تقرر ذاتية الهدم لأيديولوجيتها وتطبيقاتها المادية.

الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان

الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان والحجة الأولى والأكبر لأهل الإيمان، والتي يحق لنا أن نحتج بها كل يوم على بني لحدان.

في البداية الأخلاق نوعان:

أخلاق مصلحية منفعية أنانية مادية، وهي تسمى أخلاق المجتمع – أُعاملك بأدب كي تعاملني بأدب – وهذه تسمى أخلاق النفاق وهذه ليست الأخلاق الأصيلة التي يؤسس لها الأخلاقيون – أنبياء ومصلحين –، عبر كل العصور والأزمان.

وهناك النوع الثاني من الأخلاق وهذه تسمى الأخلاق الأصيلة، وهي الأصل والأساس وهي تأتي ضد المصلحة الشخصية.. أخلاق غير مربحة عمليًّا... ضد المادة.. ضد العقل.. لم يتم الرهنة عليها عمليًّا أو عقليًّا إلى يومنا هذا، مثل أخلاق الزهد والتبتل والتضحية، والعمل الأخلاقي غير المقترن بفائدة مادية أو رياء أو منفعة شخصية.

هذا النوع الثاني من الأخلاق لا وجود له في العالم الإلحادي، بل إن وجوده أو الاعتراف بوجوده هو أكبر ضربة يمكن توجيهها للفكر الإلحادي على الإطلاق، يقول [نيشه] في كتابه هكذا تكلم زرادشت:- "اقهر الضعفـاء، اصعد فوق جثثهم.. هكذا تكون ابن الطبيعة "، فالإنســان من منظور مادي أرضي هو كائن عضوي ذو ثلاثة أبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده، يسري عليه ما يسري على الظواهر الطبيعية، فهو شيء بين الأشياء يمكن دراسته في إطار دوافعه الاقتصادية والمادية فحسب، وبالتالي فإن أي حديث عن الأخلاق من النوع الثاني هو ضرب من القول بالميتافيزيقيا، وإدخال عناصر غير مادية على النموذج الإلحادي المادي المُجرد.

فالأخلاق تمثل ثغرة في النظـام الطبيعي، تمثل تمردًا على قوانين المادة..، وعندما دخل الإنسان الأول إلى التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل كان في هذه اللحظة يؤكد على أصالة ظهوره وتمرده على الطبيعة التي نشأ منها، وصار هو المركز والطبيعة هي الهامش، وصار سموه وترفعه وحريته قيمًا دينية مجرده لا يمكن بحال ردها إلى النظام المادي المجرد.

فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني؛ ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات داروين العضوية، أو حتميات دوركايم الإجتماعية.

هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبِّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشِّر في العلوم الطبيعية والمؤشِّر في العلوم الإنسانية.

يقول عالم الأحياء [باجمهيلز] في بحث متخصص عن السلوك الجنسي لدى البشر عبر التاريخ: " على العالم الغربي أن يتعلم كثيرًا من أخلاق البدائيين ومبادئهم، في العلاقات الجنسية حتى يتسنى له الرقي الأخلاقي الحقيقي"[١].

فالأخلاق تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة، فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق، والله خلقها كاملة؛ لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وهذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

في عالم الطبيعة توجد الأشياء وجودًا موضوعيًّا، فالأرض تدور حول الشمس، والشمس بدورها تتحرك. هذه حقائق، أما في عالم الأخلاق فكم من أشياء فعلناها وكنا لا نريد أن نفعلها وكم من أشياء وددنا أن نفعلها ولكن لم نفعلها أبدًا..!! إذن هناك عالمان عالم القلب وعالم الطبيعة هذه العلاقة بين الإرادة والفعل تعكس التناقض المبدئي بين الإنسان والعالم..!!

وإذا ارتكب إنسانٌ جريمة وأصَرَّ على أنه فعلها بدون قصد.. هنا يسعى كل محامي لإثبات عدم القصد مع أنه بالمنظور المادي والعقلي الجريمة وقعت وانتهت على أرض الواقع، والمجرم أيضًا معترف أنه ارتكبها، لكن يتدخل القانون لمعرفة القصد والنية ومعرفة حالة النفس أثناء ارتكاب الجريمة هل بقصد أم لا؟ وهنا نضع النفس في مركز أعلى من الحقائق أعلى من الواقعة المادية المجردة، فنحن في الحقيقة لا نحكم على ما حدث في العالم لكن نحكم على ما حدث داخل النفس..، فالإنسان ليس مُفصلا على طراز داروين..!!

فالأخلاق ثغرة في نظام الطبيعة المادي ثغرة معرفية، وثغرة زمانية، وثغرة قيمية، و ثغرة عقلية..، فالأخلاق عقليًّا غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها، وقد تساءل [ماندفيل] Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي: ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري؟ وأجاب ببساطة: لا شيء بل لعلها تكون ضارة.

---

(١) Bagemihl, p. 5.

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقليًّا إلى الآن، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية ترًّا، وقد ظهرا سويًّا مع الإنسان، كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق التي يحملها.

والإله هو الشرط الوحيد لسمو الإنسان وحريته وأخلاقه ومبادئه وقيمه، فالأخلاق الأصيلة تستمد قيمتها من عالم آخر؛ عالم لا علاقة له إطلاقا بعالمنا المادي المجرد، وبدون هذا العالم الآخر تتحول الأخلاق إلى مجرد لغو فارغ، ووهم يستحيل أصلًا التنبؤ بوجوده لعدم وجوده! فما بالنا وهو موجود بل وحتى أعتى الملحدين يدعي أنه على أخلاق، وهو بذلك ودون أن يدري يُسقط المنظومة الإلحادية بأكملها.

حتى فولتير الملحد أنشأ كنيسة لخدامه على نفقته الخاصة خوفًا على أخلاقهم

فولتير أشهر ملحد عبر كل العصور كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدامه، ويخشى على خدامه من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة:" لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي."، بل وقام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها "يا رب اذكر عبدك فولتير" وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين، وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة[(١)].

إن فولتير عاش دهرًا من الزمن ٨٤ سنة، كان في شبابه ملحدًا حاقدًا على كل دين، ومع الوقت اكتشف أنه لا رادع للبشر إلا الأخلاق في إطار ديني واكتشف مصائب الإلحاد.

فالإلحاد قارب أن يجعل من الإنسان أحقر حيوان – والكلام للملحد ول ديورانت –، وفولتير عانى من إلحاده خاصة خلال علاقته الطويلة بمدام [دي شاتيليه]، وكانت علاقته بابنة أخته شائنة مخزية– فهذا هو الإلحاد بلا مكياج –.

ثم ماذا عن الماركيز دي ساد؟ لقد أوضح دي ساد أنه لو لم يكن هناك إله لكان كل شيء مباحًا، فلو لم يكن هناك جنة ونار فليس ثمة معنى في أن نكون طيبين لنسيء إلى ملذاتنا، إذا

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد ٣٨ صفحة ٢١٤.

لم يكن هناك إله فليس هناك خير ولا شر بل هناك فقط ضعفاء وأقوياء والضعف هو الشر، لقد كان الماركيز دي ساد منظومة كاملة من الإلحاد العملي في شهوانيته وفجوره.

إن الإلحاد هو طوفان فاجر في أزمان الكفر وأرضه، ونهايته الحتمية هي تقويض أركان النظام الأخلاقي وانهيار الأمم[١].

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت، المجلد ٣٨، ص٢٧ ٢٧٦.

الجولف والإلحاد

لماذا كان [ماو تسي تونج] رئيس الصين الملحد يُحرِّم رياضة الجولف في الصين طوال فترة الحكم الإلحادي للصين ١٩٤٩-١٩٧٦؟

وكان يعتبرها رياضة غير أخلاقية بالمرة...

رجال يضربون كرة بيضاء بمضرب خاص، على النجيل الأخضر، ما الإيحاء في اللعبة الذي حولها إلى لعبة غير أخلاقية طوال حكم ماو؟

يزعم المتأخرون أن ماو كان ضد البذخ، لكن الرئيس الحالي للصين ضد البذخ أكثر من ماو، ومع ذلك الصين الآن بها أكبر ملعب جولف على مستوى العالم.

كل هذه أمور غير مُقلقة، المقلق في الأمر، هو كيف تكتسب القيمة في المنهج الإلحادي اتجاهًا سلبيًّا، أو اتجاهًا إيجابيًّا، ومتى تتحول المباحات إلى محرمات أو واجبات؟

ما الحيز الفاصل، وما المعاملات التي تُحول أحد المباحات إلى شيء ممنوع أو مرغوب؟

وما معنى القيمة في المنهج الإلحادي؟ ومن أين تستمد إطارها الأخلاقي؟

ثم إنَّ استخدام مصطلح الواجب والمُحرم مقصورٌ على معناه الأخلاقي والإنساني في إطار فكرة الخير والشر، هذا يعني أن الشر يمكن إزالته، وهذا يؤدي إلى الغائية ومطلقية القيمة والاختيار الحر للإنسان.

يبدو أن الملحد يستحيل أن يكون حيوانًا كاملاً، حتى لو أراد ذلك من كل قلبه.

هل الملحد شخص يمكن التعامل معه في الحياة اليومية بأمان؟

يرى مؤسس الدولة المدنية العلمانية [جون لوك] أن الملحد خائن، ولا عهد له ولا مكان له في الدولة العلمانية " لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله.. فالوعد والعهد والقَسم من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفِكر فقط يُفكك جميع الأشياء "(١).

ويرى مؤسس الدولة الليبرالية الحديثة [جون ستيوارت مل] أن" التسامح التام يمتنع معه الاعتقاد في حقيقة مطلقة، وتمتنع معه الدوجما، ويموت عنده الدين "(٢).

إذن حتى مؤسسو الدولة العلمانية والليبرالية لا يطيقون الملحد؛ لأنه في الأصل خائن، فلا يوجد رادعٌ يردعه ولا شيء مُقدس في حياته، ولذا أكبر مجرمي البشرية كانوا من الملاحدة " ماو تسي تونج – ستالين – لينين – بول بوت " ويصنف هؤلاء الأربعة بأكبر أربعة مجرمين في تاريخ الجنس البشري!!

فالتسامح ليس على إطلاقه، ولا يجب أن تُنسينا أسباب التسامح الوجيه أن اللا تسامح لديه أسبابه الوجيهة هو الآخر(٣).

بل إن فكرة التسامح تم استغلالها في نشر الرذيلة في فرنسا وإيطاليا، حيث كان يتم تسمية بيوت الدعارة ببيوت التسامح(٤).

ولذا في عام ١٩٨٧ سأل صحفي الرئيس بوش الأب " هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساويًا في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان". وأصبح رد السيد بوش مشهورا " لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنين، أو حتى اعتبارهم محبين للوطن هذه أمة موحدة تحت راية الله ".

---

(١) رسالة التسامح، جون لوك، ص٥٧.

(٢) كتاب عن الحرية، ص٨.

(٣) مايكل انجلويا كوبوتشى في كتابه أعداء الحوار صـ١٣.

(٤) مايكل انجلويا كوبوتشى في كتابه أعداء الحوار صـ٣٩.

Atheist cannot be considered as patriotic citizen

إذن الملحد غير مقبول لأنه بلا خلق – لا يمكن التدليل ماديًّا أو جينيًّا على الأخلاق – ؛ ولذا فهو منافق كما يقول مؤسس الدولة المدنية جون لوك.

فالإلحاد هو طوفان فاجر في أزمان الكفر، وأرضه ونهايته الحتمية هي تقويض أركان النظام الأخلاقي وانهيار الأمم.

ولذا ما زال الملحد في أمريكا هو أكثر فئات المجتمع تعرضًا للاضطهاد، ويفوق في ذلك المسلم المتطرف والشاذ جنسيًّا؛ لأنه أكثر فئات المجتمع انعدامًا للأخلاق وإثارة للفتن وتقويضًا لأركان النظام![1].

وطبقًا للواشنطون بوست في بحث آخر مستقل، فإن الملحد شخص لا يحظى بالثقة ولا القبول؛ لأنه شخص حاقد، نزق الأخلاق وفاسد![2].

فأكثر دول العالم علمانية وتقانة تنظر للملاحدة أنهم حثالة، ويأتي الملاحدة العرب ويطلبون منا أن نحترمهم!!

(1) newsjunkiepost.com/2009/09/19/research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority.

(2) http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/ 2011 /02 /18/ AF qgnwGF_story_1.html.

من نِعم الله

الفرق الجوهري بين الإنسان وبقية الكائنات على وجه الأرض هو الترميز، فالإنسان يستطيع ترميز الأشياء - أي إطلاق التسميات على الموجودات وعلى المُجردات-، وتعلّم الإنسان الترميز في التفكير والتعبير، وإطلاق اسم على كل شيء يرمز به إليه كانت أولى خطوات الإنسان على سطح هذا الكوكب.

وإطلاق الأسماء على الأشياء الموجودة وعلى الأشياء المُجردة كالفكرة والخيال والرياضيات التجريدية كان أول ما قام به الإنسان![1].

أليس هذا هو ما أخبرنا به القرآن الكريم، فأول مِنحة إلهية لآدم كانت تعليمه الأسماء كلها، هذه المزية العجيبة التي كانت تفتقدها حتى الملائكة.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]

وهذه النعمة العظيمة هي التي أتاحت للإنسان كل علم وفكر وحضارة وبناء، ونقل خبرات واسترجاع معلومات، وتشفير معرفة!

نِعمة أُخرى!

إذا أردت الجلوس على كرسي المكتب، فأنت تحتاج إلى منطقة ضبط الزوايا orientation association area في الفص الجداري من مخك، وتوجد هذه المنطقة في كلٍ من نصفي المخ، وهما مختلفتان في الوظيفة لكنهما مكتملتان؛ فالمنطقة اليسرى مسئولة عن تحديد وإدراك صورة ثلاثية الأبعاد لجسدنا المادي، واليمنى مسئولة عن تحديد موضع جسمنا وعلاقته بالوجود المحيط، وبالتالي فالمنطقتان تُحولان المعلومات الحسية الخام إلى صورة حية لأجسامنا وللوجود من حولنا، ولابد قبل أن تجلس أن تقوم هذه المنطقة بدورها بدقة وكفاءة متناهية وإلا لن تستطيع حساب الزوايا والمسافات، وبالتالي لن

---

(١) Scientific American dec,2001.

تسطيع تحديد موضع جسدك وموضع الكرسي، ومن ثَم يمكن أن تسقط على الأرض بدلًا من أن تجلس على الكرسي، إن استقبال ومعالجة هذه المعلومات تتم بسرعة وكفاءة تعجز عنها عشرات الكمبيوترات فائقة السرعة التي أنتجها العقل الإنساني الواعي المُفكر المُبدع!

هذه أبسط نعمة تستخدمها ولا تشعر بأهميتها!

والمطلوب منك إذا كنت مُلحدًا أن تُسلِّم بأن المادة اللاواعية اللاعقلانية أفرزت هذه الصورة من قمة الوعي والضبط والمعايير الدقيقة في نعمتين بسيطتين من نعم الله المباشرة على الإنسان، فالحمد لله على نعمه، الحمد لله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] [١].

---

(١) أنا تتحدث عن نفسها د. عمرو شريف.. مكتبة الشروق الدولية.

البريونات.. الداروينية تمشي على رأسها

هل تعلم أن أضعف الكائنات وأبسطها وأكثرها بدائية على الإطلاق هي آخرها ظهورًا على الإطلاق.......

البريونات – لا تقطن إلا في أدمغة الإنسان والثدييات العليا – وهي كائنات أصغر بكثير وأبسط بكثير من الفيروسات.

وهي المسئولة عن مرض جنون البقر ومرض كورو في البشر وهو مرض قاتل.

المعضلة هنا: لو أخذنا بمعايير الداروينية والشجرة الخاصة بها، وتاريخ الكائنات فإن البريون يصبح خير دليل على أن شجرة التطور تسير على رأسها.... فعندما يظهر أبسط كائن على الأرض من أعقد كائن ولا يعيش إلا على أعقد كائن، فهذا يدل على أن الحقيقة والواقع والعلم والتجربة في جهة والداروينية في جهة أخرى تمامًا.

كريج فنتر

قال أحد كهنة الإلحاد: إن حياة الخلية توجد في الجينوم - نواة الخلية- ولو أُزيلت النواة لماتت الخلية، بل لقد قام كريج فنتر بتصنيع الخلية!

الرد: هذا الكلام يُسبب لمتخصص في البيولوجي ذبحة صدرية.

ما علاقة حياة الخلية بنواة الخلية أو الجينوم؟

إن إزالة نواة الخلية enucleation هو عملية تقوم بها المراكز المتخصصة في جميع البلاد والنجوع الآن، ولا تؤثر إزالة النواة في حياة الخلية، وتظل الخلية حية شهورًا طويلة بعد زوال النواة إلى أن ينفد ما عندها من بروتين حيوي لا تستطيع إعادة تخليقه في النواة، ساعتها فقط تموت الخلية، إذن إزالة نواة الخلية ليس إزالة الحياة عنها بل هو مجرد عملية إخصاء للخلية لا تستطيع بعدها الخلية أن تُنجب بروتينات، لا أكثر..!!

بل إن كرات الدم الحمراء التي تُغذي الإنسان بالأوكسجين تتنازل عن نواتها وعن كل المادة الجينية داخلها حتى تتفرغ لحمل الاوكسجين، ويوجد داخل كل كُرية دم حمراء ٢٨٠ مليون جُزيئة هيموجلوبين، ومن أجل هذا الهدف الحيوي جدًّا قامت بتفريغ نفسها من كل العُضيات الخلوية حتى تحمل أكبر قدر ممكن من الأوكسجين.

الحياة شيء والمادة شيء آخر تمامًا يا ملاحدة!!

يستحيل أن يقوم البشر جميعًا بكل ما امتلكوا من عقلٍ واعٍ ومكائن عملاقة وسواعد جبارة، وغوص في العلوم وقصد ونية ووعي وهدف أن يخلقوا ذبابةً واحدة ولو اجتمعوا لها، فالحياة شيء والمادة شيء آخر تمامًا يا كهنة الإلحاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

أما تجربة كريج فنتر فهي عملية تقطيع كروموسوم الميكوبلازما Mycoplasma - أصغر كائن حي على الإطلاق- واستبداله بقطع كروموسوم نوع آخر من الميكوبلازما، إنها عملية إنزاء حصان على حمار لكن على مستوى الميكرو، ولا يوجد في التجربة أي شيء مُلفت إلا أن البشر يُعجبهم الجديد دائمًا...!!

إذا كان يتم الترويج للإلحاد بهذا الجهل المطبق، والغثاء التافه، بل ويوجد من يصدقهم فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها...!!

الفيروس يتحدى الملحدين

تقوم الفلسفة المادية الإلحادية على التبسيط والإختزال ثم التعقيد، لكن هذه الرؤية شيء وفلسفة العلوم شيء آخر تمامًا، فالفيروس أدق الكائنات الحية ما زال حيًّا بيننا إلى الآن ويُهدد بانتظام أعقد الكائنات الحية، وعندما ينجح الفيروس في خداع الantibodies ويصل إلى نواة الخلية فإنه يقوم بعملية سطو hijack لا تستطيع أعقد الأنظمة البيولوجية أن تواجهه، حيث يقوم الفيروس بتقطيع نفسه على بوابات نواة الخلية الحديدية حتى يتمكن من اختراق ثقوب البوابات ثم ينطلق الحمض النووي الخاص به إلى داخل النواة، وبعد هذه العملية التي تبدو انتحارية، يقوم الحمض النووي الخاص به والذي دخل ممزقًا أن ينسخ نفسه داخل شريط الحمض النووي الخاص بالنواة آلاف المرات، ثم بعدها ينتقل إلى الريبوسوم خارج النواة ليُكمل عملية التصنيع، ثم يعود إلى النواة مجددًا ليصبح فيروس متكامل في مهمة من أعجب وأذكى وأمكر وأخبث المهام على الإطلاق، وبعد ٤٨ ساعة من نجاح فيروس واحد في الوصول إلى نواة خلية فإن النواة تصبح محملة ب١٠ آلاف فيروس مستنسخ حيث يُوقف جميع العمليات الحيوية التي تقوم بها النواة ويكرس كل جهدها في نسخ نفسه فقط..

وفي هذه اللحظة العجيبة والفريدة والتي تحدث داخل كل إنسان ربما كل بضعة أيام، تصل إنذارات من الجسم بوجود مُحتل قام بعملية سطو كاملة على إحدى الخلايا فتقرر جميع الخلايا المجاورة للخلية المنكوبة أن تنتحر سريعًا حتى لا تتحول إلى مصانع لإنتاج جحافل فيروسية جديدة، وبهذه الطريقة تبدأ مقاومة الجسم للمحتل، وما زكام الأنف وانسداد الجيوب الأنفية إلا مخلفات المعركة هذا في حال كان الفيروس تنفسيًّا، إن أبسط الكائنات الحية يحمل بصمة الخلق وعظيم الصنع فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة:٧]

ومن الفيروس إلى البعوضة أبسط الكائنات المرئية، نجد أن للبعوضة مائة عين في رأسها، ٤٨ سن في فمها، ثلاثة قلوب في جوفها بكل أقسامها، لها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها، لها ثلاثة أجنحة في كل طرف، مُزوّدة بجهاز حراري يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء، وظيفته:يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة

إلى لون بنفسجي حتى تراه، مـُزوّدة بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان، وما يحس به كالقرصة هو نتيجة مص الدم، مـُزوّدة بجهاز تحليل دم فهي لا تستسيغ كل الدماء، مـُزوّدة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جدًّا، مـُزوّدة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى كيلومتر. إن الرؤية المادية الإلحادية والتصور الاختزالي لظهور الكائنات الحية هي فلسفة كهنوتية لا علاقة لها بالعلم ولا ببديهيات المنطق، **إن الإيمان بالإلحاد يتطلب بانتظام إنكار بديهيات عقلية ومنطقية أقسى من أشد الديانات إغراقًا في الوثنية.**

الإنسان ذلك المتمايز

"كل كائنات العالم الحية لا تعدل موت إنسانٍ واحد " هذه العبارة في قمة الميتافيزيقيا وفي قمة الإيمان بالروح الإنسانية، وإن لم يكن للروح الإنسانية وجود فإن أي كائن حي يعدل أي كائن حي آخر ومن بينها الإنسان، ولا يستطيع إنسان مهما أُوتي من إلحاد وفجور أن يُسوى بين الإنسان والحيوان من منظور مادي، بل هو حتمًا يُقر من داخله بقيمة الوجود الإنساني وبمغايرته لكل الكائنات الحية مجتمعة، إن قيمة الإنسان لا تتأتى إلا من خلال الروح التي يحملها، وما الجسد المادي إلا دابة الروح والعباءة التي تتسربل بها، ولذا يقول الشيخ الشعرواي- رحمه الله-: «إن سرَّ الإنسانية يكمن في الروح وهي لحظة حمل الأمانة والتكاليف الشرعية والاختيار الحُر».

ما الفرق بين إبادة حضارة بأكملها وغسل يد واحدة وما يترتب عليها من موت ملايين الباكتريا، لو كان الإنسان مجرد مادة ما استوعب الفرق، وما فهم معنى القتل وإزهاق النفس، إن قتل ملايين الكائنات الحية لا يعدل قتل إنسان واحد، ولا وجه للمقارنة أصلًا لأن الإنسان يمتاز بالروح، وجريمة القتل هي إزهاق لهذه الروح!

بل ولا يشعر الإنسان بسمو نفسه إلا بحرمان جسده المادي من الشهوة، إن للذات الإنسانية وجود مستقل وقيمة مستقلة عن الوجود المادي المحدود بحدود المادة وقوانينها!

هذه بديهة منطقية لم نحتج لهذه المقدمات عليها لولا أن الملحد يكفر بها، إن أصل كفر الملحد هو إنكار البدهيات والسفسطة على الفرعيات، حتى ننسى البدهيات وننشغل معه بالفرعيات، فتصبح البديهة موضع شك!

إن الإلحاد يعترف مسبقًا بـأنه يعجز عجزًا كليًّا عن تحليل ظاهرة الوجود الإنساني وظاهرة الخير والشر والقداسة والنجاسة والقيمة، فلو كان الإنسان ابن هذا العالم ما بدا فيه شيء مُقدَّس ولا نجس!

الإسلام هو العقل

الإسلام لا يمنع مِن عمارة الأرض، بل يحث عليها ويجعلها مقربة إلى الله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١]، بل وكما ورد في الحديث الصحيح: " إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها ".

والإسلام لا يمنع من استخدام العقل، وطلبُ استخدام العقل والتدبر وَرَدَ أكثر من ثلثمائة مرة في القرآن الكريم، بل إن معجزة الإسلام الأولى كانت في الأصل عقلية تستنفر العقل وتحثه على السير والنظر.

والإسلام لا يمنع من البحث في الخَلق والحياة ودراستها، بل لقد حضَّ الإسلام على ذلك ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ﴾ [العنكبوت:٢٠].

يقول المستشرق [سبنسر فاميري]: " لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسمًا عربيًّا، ولا يستطيع عالم طبيعي أن يحلل ورقة من الشجر أو يفحص صخرة من الصخور دون أن يتذكر درسًا عربيًّا، ولا يقدر أي قاضٍ أن يبت اليوم في خلاف دون أن يستدعي مبدأ أملته العرب، ولا يسع أي طبيب أن يتأمل دائرة أحد الأمراض المعروفة منذ القدم دون أن يهمس بآراء طبيب عربي".

بل إن الجامعات الأوربية عاشت ٦٠٠ عام على ترجمات العرب كما يقول [جوستاف لوبون].

بل إن الأمل الآن معقود على ثورة فكرية إسلامية خضراء تُزيح الترهلات التي أصابت العلم من جراء كهنة الإلحاد، وسدنة المادية، فالعلم الطبيعي عِلمُنا، ونحن مَن وضع أصوله الأولى، ونحن مَن سيُرجع الأمر فيه إلى نصابه متى شاء الله.

فليس ثمة مُبرر للإلحاد لا عقلي ولا علمي ولا مادي ولا ديني، فالإسلام هو أنقى أديان التوحيد، وهو الذي أقام على القرون جيلًا من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ لولا نهوض هذا الدين بهم، بل إن أطول حضارة على الإطلاق هي حضارة الإسلام ١٢٠٠ سنة، ولن يَصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلح به أولها.

الحضارة هي توظيف التراب

المسلم عند سيد قطب متحضرٌ بالضرورة؛ إذ الإسلام بتعريفه هو الحضارة، وبالتالي فلا تحَضّر خارجَ الإسلام ما دام الإسلامُ هو الحضارة.

لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ الجواب عند سيد قطب واضح جلي: إن السؤال من أصله خاطئ..، المسلمون تخلفوا لأنهم تركوا الإسلام، فينبغي دعوتهم إليه من جديد، فنُعلمهم معنى لا إله إلا الله باعتبارها منهج حياة، أما غيرهم فلم يتقدموا، بل هم في جاهلية جهلاء؛ لأن الإسلام هو الحضارة.

أما عند مالك بن نبي فالأمر غير ذلك.. ليس الإسلام هو الحضارة، الإسلام وحي نزل من السماء بينما الحضارة لا تنزل من السماء وإنما يصنعها البشر عندما يُحسنون توظيف ملكاتهم في التعامل مع الزمان والمكان، الإسلام لا يصنع الحضارة بذاته، وإنما بالبشر عندما يفهمونه على حقيقته فيتولون التفاعل الجاد به وخلطه بالتراب والزمان والمكان فيصنعون من ذلك حضارة.

الحضارة الإسلامية هي هذا التفاعل الجاد بين الإنسان والتراب والوحي.

قد ينجح المسلم في هذا التفاعل فيصنع الحضارة، وقد يفشل وهو المسلم وينجح غيره أي غير المسلم فينتج حضارة بقيم ونيات غير إسلامية؛ لأنه أحسن التعامل مع سنن الله توظيفًا جيدًا لعقله وللوقت وللتراب[(١)].

الخلاصة: الحضارة هي توظيف جيد للتراب!

---

(١) منقول من: راشد الغنوشي.

العقل الغربي

العقل الغربي رسميًّا هو الذي قام بتفريغ قارتين كاملتين من البشر - الأمريكتين -، العقل الغربي هو الحرية المنتصرة والحضارة التي تعبر الصحراء وعبء الرجل الأبيض، وكل هذه الصور الكاذبة التي تصورها الدعاية الأمريكية لتفريغ قارتين كاملتين من سكانهما، والتي كانت في الحقيقة أن الآف الجنود الأمريكان يطاردون في البرد القارص السكان الأصليين الرُّحَّل الذين كانوا يخطون آخر خطواتهم نحو الانقراض، إنه مشهد لن ينساه التاريخ، وهو مشهد لم يوفره إلا العقل الغربي، لقد أنهك العقل الغربي العالم كله بحربين عالميتين أبادتا حوالي ٥٪ من سكان العالم بسبب نزاع إلحادي مادي أوربي- أوربي.

وإبادة ملايين السكـان في أوربا... يهود أوربا.. ومزارعي روسيا (الكولاج)..وغجر ألمانيا...و السلاف والأقليات الأثنية..، هذه الإبادة الشمولية لم يوفرها سوى العقل الغربي، واليوم وبعد مرور ٥٠٠ عام من الاستعمار و٥٠ عام من صندوق النقد الدولي نعيش في عالم مُحطم مُشوه ربع شبابه عاطلون عن العمل، يتحكم الشمال في ٨٠٪ من الثروات مع أن تعداد سكانه لا يتجاوز ٢٠٪ من سكان العالم، ومنذ تحكم العقل الغربي في مجريات الأمور أصبحت نهاية التاريخ أمرًا مقبولًا حرفيًّا، وتراكم لدى البشر أسلحة تكفي لتدمير الأرض عشرين مرة مع أن مرة واحدة فقط هي التي ستحدث، لقد أدى العقل الغربي إلى نهـاية الحيـاة نظريـًّا.!!

وكما قال [جارودي]: "فإن الحضارة الغربية قد خلقت قبرًا يكفي لدفن العالم".

يقول [نيتشه] على لسان [زرادشت] عن الإنسان الذي أفرزه النموذج الغربي: **"واقعيون نحن بغير إيمان ولا خرافة، فابسطوا صدوركم لكن واأسفاه إنها صدور خاوية "**.

ويبكي ت.س. اليوت قائلا: "أين ضاعت الحكمة التي ضيعناها في المعرفة.. أين ضاعت المعرفة التي ضيعناها في المعلومات..".

فالهيمنة الغربية هي هيمنة داروينية نيتشوية فاوستية مادية في بدايتها وفي نهايتهـا، وهي تحـاول أن تجعل من العالم مادة استهلاكية وغايتها تحقيق أقصى إشباع ممكن.

والمادة هي المركز الكامن في النموذج العلماني كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري، فالمادة هي أصل الأشيـاء، ولذا فقد تمت تصفية الإنسـان لحسـاب المادة

ولحساب المصلحة، ولذا ظهر الإنسان ذو البعد الواحد عند [هربرت ماركوز]، وتم تفكيك الإنسان ودخل الجميع القفص الحديدي على حد تعبير [ماكس فيبر] أو السجن الحديدي على حد تعبير [زيميل]، فالإنسان ذرة لا معنى لها..، وقد اختصر رئيس التشيك [فاكيلاف هافل] كل ذلك في عبارته الرائعة حين قال: " حينما أعلنت العلمانية الإنسانية أنها حاكم العالم الأعلى، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بُعده الإنساني".

هل التأمل الديني مجرد هلاوس

كان [سيجموند فرويد] يرى أن التأمل الديني هو مجرد هلاوس عُصابية جماعية، وكانت هذه الرؤية أحد أركان إلحاده..

إلى أن جاء عالِم الأشعة التشخيصية في جامعة بنسلفانيا [آندرو نيوبرج Andrew Newberg]، وقام برصد أدمغة العُبَّاد من مُختلف الديانات لحظة التأمل الروحي والتعبد، باستخدام تقنيات التصوير الإشعاعي المتقدمة للمخ مثل FMRI - PET - SPECT Camera، وأثبتت أبحاثه أن ما يستشعره الإنسان من طمأنينة، هي إدراكات لوظائف مُخيَّة سويَّة، وليست مجرد هلاوس وتوهمات.[١].

وأثبتت نتائج الرصد أن آليات إدراك المُخ لا تستنكر الغيبي، بل إن إدراك الغيبي هو وظيفة مُخيَّة سليمة تمامًا، وهنا يتجلى السؤال المحوري: إذا كان الإنسان ابن المادة وتحكمه قوانين المادة فكيف استوعب اللامادة؟ وكيف كان هذا الاستيعاب تصورًا مُخيًّا سليمًا وليس عُصابيًّا؟

ودماغ الإنسان بما فيه من نشاطٍ عصبيٍّ لا يخطئُ ماديًّا، بل يتبعُ كلَّ القوانينِ الفيزيائيةِ الصحيحةِ ولا يتمردْ على سُننِها، فهو يدور في إطار حتمية مادية لا تتبدل ولا تتغير، والسلوك المادي لا يفرز تصورا غير مادي وإلا كانت الحتمية المادية لغوًا فارغًا.

فمن أين أتت إذًا تلك الرؤية غير المادية التي يُمثلها ذلك السلوك المادي السليم؟

ولو قال الملحد: هذه رؤية نتجت عن حالاتٍ نفسيةٍ وعاداتٍ وتقاليد. نُجيبه: لكنك لا تؤمنُ أنها حالةً نفسيةً للروح بل هي حالةٌ ماديةٌ لا يمكنُها أن تُخَطِّئ حالةً ماديةً أخرى!

وأمام هذا الإشكال لابد أن تنهار المادية كرؤية واحدية للوجود!

---

(١) أنا تتحدث عن نفسها..د. عمرو شريف ص٧١.

الإلحاد هو خلل عُصابي

الإلحـاد يؤدي إلى خلل عُصابي neurosis و هوس نفسي و بارانويا سيكولوجية... هذا ما أثبتـه مؤخرًا أستاذ الطب النفسي بجامعة نيويورك بول فيتز paul vits فقد قام بول فيتز بإجراء تحاليل مستفيضة على ملاحدة العصر الحديث، وتوصل من خلال أبحاثه إلى أن الملحد مُصاب بخلل نفسي عُصابي neurosis.

وأودع هذه الأبحاث في كتابه faith of the fatherless ,the psychology of atheism

وهذا الخلل العصابي سببه أن الملحد يرى العالم من حوله مُجرد مادة، والإنسان مجرد لطخة بروتوبلازمية تافهة تسري عليها قوانين المادة وحتميات الطبيعة، وغاية الإنسان تحقيق أقصى إشباع ممكن، لكن هذه الرؤية تفشل في تحليل ظاهرة الوجود الإنساني، فالإنسان ليس مُفصل على طراز داروين، بل ولا يشعر الإنسان بقيمته إلا عندما يسمو على الماديات، ويترفع على الشهوات، وإذا كان الإنسان ابن الطبيعة فكيف بدأ بمعارضة الطبيعة التي نشأ منها، كيف لابن المادة أن يتمرد على المادة التي أنتجته، إن للإنسان معنى آخر لا علاقة له بالرؤية الإلحادية المادية الساذجة، ولا يأتي الإيمان بمركزية الإنسان وقيمته وسموه إلا بالإيمان بمُطلق أعلى يتجاوز المادة.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الرائع رحلتي الفكرية ص ١٩٨ ما يلي: "كنت أجلس مرة أمام التليفزيون البريطاني، وشاهدت برنامجًا من برامج الأحاديث وكان يجلس على المنصة رجل وزوجته وأطفالهما، مع إضافة بسيطة للغاية وهي عشيق الرجل الذي يعيش معهم تحت سقف نفس المنزل ولكن بموافقة الزوجة والاطفال، وقد واجه الجمهور إشكالية حقيقية وهي أن جميع أعضاء الاسرة موافقون على هذا الوضع الشاذ، فمن ناحية الموافقة وهي الشرط الأساسي والوحيد لأي علاقة جنسية في العالم الغربي فهي موافقة جنسية تتم باتفاق طرفين ولذا فهي شرعية، لا شأن للمجتمع بها، ولكن من ناحية أُخرى يوجد الشذوذ الذي يسم هذا الوضع، ولكن لا توجد قاعدة متجاوزة " دينية أو اخلاقية " يؤمن بها الجميع، ويمكن الوقوف عليها والإهابة بها ويمكن أن تزودهم بمعيارية ما، وكلما كان أحد الحاضرين يحتج على شيء كان الزوج الذي أحضر عشيقه ليعيش معه يرد بكل ثقة

بأن زوجته موافقة وسعيدة وأن أولاده أيضًا موافقون وسعداء وأي تدخل في شئونهم سيكون إهدارًا لحريتهم وحقهم في الاختيار".

إن الإلحـاد هو المذهب الوحيد على وجه الأرض الذي يتيح لأتباعه أن يفعلوا كل شيء وهم في حِل من كل شيء، لا يوجد مذهب على وجه الأرض يقول لك: افعل كل الفواحش فأنت في حِلٍّ من كل شيء. إلا الملحد والشيطان.

إن الإلحـاد هو دين الشيطـان تم التـأسيس له كمذهب عقلي.

خرافات الإلحاد الجديد

هناك مجموعة من الخرافات الرائجة في علم النفس، ما زالت إلى اليوم تتلبس بلبوس العلم الصحيح، وتجد لها انتشارًا كبيرًا عند العوام وبعض المثقفين، ويستغلها بعض كهنة الإلحاد الجديد في بعض أُطروحاتهم، وسنتعرض سريعًا لبعض هذه الخرافات من كتاب أشهر ٥٠ خرافة في علم النفس، تأليف مجموعة من كبار علماء النفس والأطباء النفسيين في العالم، سكوت ليلينفيلد وستيفن جاي لين وجون روشيو وباري بايرستاين، إصدار كلمات عربية للترجمة والنشر، طبعة ٢٠١٢.

الخرافة الأولى: علم التنجيم يحدد سمات الشخصية وانفعالاتها العاطفية.

الرد: علم التنجيم عديم الجدوى في التنبؤ بسمات شخصيات الأفراد. ص٢٦٣

كذب المنجمون.

الخرافة الثانية: الأطفال الذين تعرضوا لاعتداء جنسي يتحولون إلى شواذ عند الكِبر.

الرد: لا يتحول الافراد الذين تعرضوا لاعتداء جنسي في الطفولة إلى ارتكاب جرائم اعتداء جنسي عند البلوغ فهذه خرافة، ونسبة الشواذ بينهم هي نفس النسبة بين الذين لم يتعرضوا لاعتداء جنسي. ٢٦٣

فلا وجود للحتمية النشئوية.

الخرافة الثالثة: التأمل واليوجا لهما فوائد جوهرية في تنقية الذهن وتفريغ العقل الباطن من شحنات الضغط الزائدة.

الرد: التأمل واليوجا لا تحقق تأثيرات نفسية أكثر فعالية من التي تحققها الراحة أو الإسترخاء قليلاً. ص١٧٨

الخرافة الرابعة: العلاج بالإبر لابد أن يكون على مسارات الطاقة المحددة في الجسم، وهذه المواضع يعرفها المتخصصون.

الرد: وجدت الأبحاث بصفة عامة أن العلاج بالإبر يكون على الدرجة نفسها من الفاعلية عند وضع الإبر في المواضع الخاطئة. ص٣٥١

الخرافة الخامسة: يعاني معظم الأفراد الذين تعرضوا للإعتداء الجنسي في طفولتهم اضطرابات حادة في الشخصية عن البلوغ.

الرد: هذه خرافة في الطب النفسي الحديث، والأفراد الذين تعرضوا لإعتداء جنسي في الطفولة نسبة الإضطراب في الشخصية عندهم هي نفس النسبة عند غيرهم. ص٢٤٦

فلا وجود للحتمية النشئوية.

الخرافة السادسة: يجب إخراج الصدمة النفسية ومناقشتها مع طبيب نفسي وهذا شرط أساسي للعلاج.

الرد: رائد هذه الخرافة في علم النفس كان سيجموند فرويد صاحب المدرسة التحليلية، واليوم ثبت بالأدلة القاطعة أن الذين أُصيبوا بصدمة ما تتحسن حالتهم دون مساعدة من أحد، وتتسم بعض طرق العلاج التي تتطلب معالجات مثل استخلاص المعلومات عن الأزمة بأنها غير فعالة أور بما تكون ضارة. ص٣٤٩

بل تُشير الأبحاث التي أجراها دانيال فيجنر وآخرون عن كبت الأفكار إلى أن محاولة إخراج شيء ما من تفكير المرء تزيد في الأغلب من احتمالات عودته إلى حيز التفكير من جديد. ص ٢٠١

والإنسان لا يُقبع الواقعة السيئة في عقله الباطن قاصدًا كما كان يتخيل فرويد بل هو بالفعل نسيها، وإلا فالوقائع الكبرى مثل الهولوكوست والزلازل والبراكين لا ينساها المرء بل تظن ماثلة أمامه لفترة طويلة، والواقعة السيئة لا علاقة لها بأي اضطراب حادث في الشخصية وبالتالي ثبت أن إخراجها يؤدي إلى مشاكل جديدة لا علاقة لها بالمشكلة الرئيسية الحادثة.

الخرافة السابعة: تنشئة الأطفال بأسلوب متشابه يجعل شخصياتهم متشابهة عند الكبر.

الرد: هذه خرافة الآن في علم النفس، فلا وجود للحتمية التربوية كما كان يتخيل التربويون. ص ٢٢٩

الخرافة الثامنة: الجمال في عين الرائي.

الرد: هذه خرافة في علم النفس بل توجد نقاط كثيرة مشتركة بين الثقافات المختلفة فيما يتعلق بمعايير الجمال الحسي، ومقاييس الجمال العامة. ص ٢٠٢

الخرافة التاسعة: المراهقة هي حتمًا مرحلة اضطراب نفسي؛ كتبت آنا فرويد - ابنة سيجموند فرويد-" أن يكون المرء طبيعيًّا خلال فترة المراهقة أمر غير طبيعي في حد ذاته"، ويُصوِّر الإعلام الغربي باستمرار والنفسيين الشعبيين أن سنوات المراهقة هي دراما عائلية مُثيرة.

الرد: لا توجد أُسس علمية لهذا الإدعاء، بل على العكس حدوث ذلك هو الاستثناء، وهناك حضارات بأكملها لا تعرف شيئًا عن المراهقة، مثل اليابان والصين والعديد من بلدان العالم العربي.ص٨٩، ٩٠

الخرافة العاشرة: يمر معظم الناس بأزمة منتصف العمر في الأربعينيات، وتحدث فيها الكثير من الاضطرابات والمراجعات.

الرد: هذه الخرافة مصدرها دور السينما، فقد أظهرت الدراسات المختلفة(بريم، ويثينجتون) أن أزمة منتصف العمر ليست إلا خرافة، بل إنها ربما تشهد ذروة الأداء النفسي السليم.ص٩٣، ٩٤

الخرافة الحادية عشر: يترك التبني تأثيرًا نفسيًّا سلبيًّا على معظم الأطفال.

الرد: يتمتع معظم الأطفال المتبنين بصحة نفسية جيدة. ص١٠٦

وهذا رد على الحتمية التربوية.

الخرافة الثانية عشر: معدلات ممارسة الشذوذ تزيد لدى الأطفال الذين ينشئون على يد آباء شواذ جنسيًّا.

الرد: لم يثبت أن الاطفال الذين ينشئون على يد آباء شواذ جنسيًّا يُقبلون على الشذوذ أكثر من غيرهم. ص١٠٦

وهذا رد آخر على الحتمية التربوية.

الخرافة الثالثة عشر: كلمة الكبت هي المفتاح السري للكثير من المشاكل النفسية.

الرد: قام العالِم النفسي الشهير ديفيد هولمز بمراجعة الأبحاث العلمية التي أُجريت خلال الستين عامًا الأخيرة، ولم يعثر على أي أدلة علمية تؤيد حدوث الكبت أو وجود شيء في الطب النفسي يُسمى الكبت، ومن ثَم اقترح ساخرًا هذه العبارة" تحذير: لم تُثبت نتائج الأبحاث التجريبية صحة مفهوم الكبت، وربما يكون لاستخدامه آثار خطيرة على التأويل الدقيق للسلوك الإكلينيكي". فالكبت ليس دافع يُحرِّك اللاشعور كما كان يعتقد سيجموند فرويد، وهذا ما أثبته ريتشارد ماكنالي والطبيب النفسي هاريسون بوب في بحث منفصل.ص١٢٤، ١٢٥

ونختم هنا بحقيقة أثبتها الطب النفسي مع غرابتها الشديدة، فقد أثبت الطب النفسي أن الأفراد الذي يرسمون على وجوههم باستمرار تعبيرًا أقرب إلى الابتسامة، يؤدي هذا التصرف إلى الشعور بالسعادة فعليًّا وصحة نفسية جيدة، حيث يحدث للمخ تغذية رجعية لتعبيرات الوجه فتؤثر أمخاخنا بدورها في مشاعرنا. ص٣٥٥

فما أجمل الأخذ بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[(١)]، فحتمًا ساعتها ستشعر بسعادة حقيقية وليست مُصطنعة.

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب.

الحسد والعين أصبحا حقيقة علمية!

أحد الملحدين يستهزئ بالعين والحسد في المفهوم الإسلامي، وهذه مشكلة الملحد الأزلية، أنه يضع إلحاده في أحد الأركان، وكلما اتسعت دائرة العلم ضاق الخناق على الركن الذي يتواجد فيه إلحاده، مثلًا الأعضاء الأثرية كل يوم نكتشف أنها أعضاء جوهرية وكلما اتسعت دائرة العلم كلما اكتشفنا فوائدها، وهكذا كل إرهاصات الملحد لا تحتاج إلا شيء من العلم وقليل من الحكمة والتؤدة..

وبخصوص العين الحاسدة.. وهل العين فعلًا يخرج منها شعاع كما تقول الكتب الإسلامية، وهل لهذا الشعاع تأثير مادي فعلًا؟

في بحث متخصص تبين أن ٩٣٪ من طلبة كامبريدج كان بإمكانهم أن يشعروا بنظرات الآخرين. [(١)].

وقد أثار الباحث والمؤلف الإنجليزي الشهير روبرت شيلدريك Rupert Sheldrake أثار ضجة عام ٢٠٠٣ في الأوساط العلمية، عندما أجرى دراسات مستفيضة أثبت فيها أن الشخص بإمكانه معرفة أن هناك شخص آخر يُحدِّق فيه دون أن يراه Psychic staring effect، وأصبحت هذه المسألة ظاهرة علمية[(٢)].

والإيمان بالحسد موجود في كثير من الديانات، لكن الإسلام تحدث عن العين، والتأثير المادي للعين، وكيفية مُداواة المعيون ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ١-٥].

ومؤخرًا ظهرت تجربة الفوتونات الحيوية والتأثير عن بُعد، وهذه تجربة مُثبتة علميًّا، ولم يعد ثمة مجال للتناطح بشأنها، خاصةً بعد تجارب ستانلي كريبنر stanly krippner وتلميذه آلان كوبرشتين alan cooperstein في كلية سايبروك saybrook بجامعة ييل

---

(١) كوتريل، وينر، سميث ١٩٩٦.

(2) Scientific American. Retrieved 13 July 2013.

بأمريكا، فقد أثبتوا قطعيًّا وجود قدرة على التأثير الإيجابي أو السلبي عن بُعد بمجرد التركيز الثاقب – عين الحسود –.

بل إن د. بيرني سيجل B.Siegel ود. كارل سيمونتون carl Simonton وعالم النفس الأُسترالي إينسلي ميرز I.Meares يستخدمون رسميًّا الآن استحضار النية العدوانية في علاج السرطان، وقد قرأت أن الدكتور المسيري رحمه الله استخدم هذه الطريقة.

وأغرب ما في الموضوع أنه قد ظهر ما يُعرف بالتأثير السلبي على الآلات المادية والماكينات الصناعية بمجرد النظر إليها–عين الحسود- فيما بات يُعرف بتأثير الجريملين Gremlin effect، وقد أمضى العميد السابق لكلية الهندسة بجامعة برنستونPrinceton الدكتور روبرت جان Robert Jahn أمضى ثلاثين عامًا في بحث ما يُعرف بقوة النظرة في التأثير على الآلات Gremlin effect وشاركته في هذا البحث عالمة النفس برندا دون Brenda Dunne وقد توصلا إلى وجود تأثير فعلي على الآلات والمكائن، بل إن الفيزيائي الشهير وولفجانج باولي Pauli كان له تأثير جرميلين عالٍ إلى الحد الذي كان يدفع فريق العمل إلى إخراجه من المعمل حتى يُنهوا تجاربهم![1].

وقد أثبت جاك بينفينيست J.Benveniste تأثير الجريملين في بحث مستقل.

الحقيقة التي يجهلها الكثيرون أنه الإلحاد بات مذهبًا في أزمة!

(١) أنا تتحدث عن نفسها..د.عمرو شريف (بتصرف).

كظم الغيظ أم تنفيسه

كان سيجموند فرويد يرى أن الغضب المكبوت قد يزيد ويستفحل، مثله مثل البخار داخل قِدر الضغط، إلى درجة يتسبب معها في حالات نفسية وعدوانية مفاجئة، وقال فرويد: إن سر العلاج يكمن في إخراج الغضب لا كظمه أو كتمه، وصارت هذه الرؤية أحد الأصول في الأعمال الروائية، فترى البطل يُخرج غضبه في نفس اللحظة بدون تردد، وصار التعبير عن الغضب أفضل صحيًّا من كتمانه، وظهرت الوصفات الشعبية للتعبير عن الغضب مثل الضغط على شيء إسفنجي بيدك، أو الطرق بالشاكوش أو توجيه لكمات متتالية للوسادة أو إشعال سيجارة.

وبعيدًا عن هذه الرؤية الفرويدية السطحية وهذه الوصفات الشعبية، أشارت الأبحاث إلى كذب فرضية التنفيس عن الغضب، فلِما يزيد عن ٤٠ عامًا كشفت الدراسات أن دعم فكرة التعبير عن الغضب تزيد في الواقع من معدلات العنف، لذا فقد ثبت علميًّا أن التعبير عن الغضب لا يُنفس عن المشاعر المكبوتة لكنه يزيد من حدتها ليس إلا.[١].

فالصراخ في وجه الطفل المشاغب لا يُحتمل أن يُشعرنا بتحسن، ناهيك عن أنه سيزيد الموقف سوءًا.

يقول العالم النفسي سكوت لينيفيلد:" فماذا لا تزال خرافة التنفيس ذائعة إلى الوقت الحالي على الرغم من وجود أدلة قاطعة على أن الغضب يزيد من معدلات العنف؟

لابد من التأكيد على أن الغضب يتضاءل وحده بعد فترة قصيرة"[٢].

تقول عالمة النفس كارول تافريس:"حان الوقت لكي نُطلق النار على فرضية التنفيس حتى نتخلص منها نهائيًّا"[٣].

---

(١) أبحاث ودراسات بوشمان وباومايستر وستاك، ولويس وبوشر، وليتريل، من كتاب أشهر ٥٠ خرافة في علم النفس ص٢٢٣.

(٢) أشهر ٥٠ خرافة في علم النفس، سكوت لينيفيلد، ص٢٢٥.

(3) Tavris, C. television as a social issue pp.197.

وهكذا يكون كظم الغيظ وعدم الغضب، هما العلاج النفسي الأمثل والأصلح لصحة نفسية وبدنية جيدة!

قال الله عز وجل في صفات المُتقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وكانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم المتكررة بترك الغضب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني. قال: «**لا تغضب**». فردَّد مرارًا، قال: «**لا تغضب**». رواه البخاري.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**» رواه أبو داود.

وهكذ يكون علاج الغضب باتباع وصية الدين الحق، هو العلاج الأسلم والأكمل، بعيدًا عن هلاوس الفرويدية المادية!

العالم عشوائي طبقًا للكوانتم

أحد الآباء الأساقفة الملحدين كتب يقول: "وفقا لميكانيكا الكم، الكون عشوائي بالكامل"

يا حضرة الأب الكاهن مقولة أن الكون طبقا لميكانيك الكم عشوائي بالكامل هذه الكلمة فضيحة معرفية تستحق المحاكمة؛ لأن ميكانيك الكم يسير وفق قواعد وقوانين بل وتحكمة أسس إبستمولوجية ثبتت بطرق ميثودولوجية معلومة ومنضبطة، ولو كان ميكانيك الكم عشوائية مطلقة كما يتصور نيافة الأب الكاهن الملحد ما أصبح علمًا يتم تدريسه في كل جامعات العالم، ويتم الإستفادة من ظواهره في مناحٍ علمية كثيرة مثل شريحة الكمبيوتر التي تكتب نيافتك من خلالها الآن- فشريحة الكمبيوتر تعمل بالظاهرة الكمومية ولو كانت العملية عشوائية ما استفدنا منها في شيء نيافتك!-

بل إن كل ميكانيك الكم يسير وفق معادلات رياضية صارمة لا يحيد عنها مثل معادلة شرودينغر Schrödinger equation التي تصف الحالة الكمومية المعتمدة على الزمن، والتي تكاد تطابق قانون نيوتن الثاني في الفيزياء الكلاسيكية، أيضًا نيافتك هناك معادلة هايزنبرج Heisenberg equation ومعادلة بلانك اينشتاين Planck–Einstein equation وكلها تصف حالات كمومية مختلفة، وميكانيك الكوانتم يستحيل أن يخترق جدار بلانك فكل شيء يجري بضوابط محددة في العالم الكوانتي لا يتجاوزها ولا يحيد عنها ويمكن التنبؤ بتصرفات العالم الكوانتي طبقًا لمبدأ عدم اليقين لهايزنبرج وفي حدوده، فيا نيافة الأب الكاهن إياك ولبوس العلم الزائف باسم الإلحاد الدوغمائي!

الحتمية المادية

إنك لم تخلق إلا للخلود، وما حياتك على هذه الأرض إلا مرحلة (الدين)

إنك حيوان، كن حجرًا بين الأحجار، أو دودة بين الديدان (الإلحاد)

إنك إنسان خلقت حرًا، مكلفًا، في كيانك قوى لا حدود لها (الدين)

إن سوط الحتمية المادية يُلهب ظهرك، فلن تعدو قدرك (الإلحاد)

إن الإسلام لم يضع في يد بلال أو عمار أو صهيب أسلحة وقنابل يواجهون بها بطش قريش، وإنما الذي أعطاه لهم الإسلام وجودهم الذي كان ضائعًا، وإنسانيتهم التي كانت ضالة، فأذلوا كبرياء قريش وسموا بأنفسهم وانهزمت أمامهم جبال المادية الطاغية وصارت بلا معنى، ولم يسُد المسلمون العالم إلا حين تحرروا من قيود العالم المادية، وعلموا أنهم مخلوقين لله، فالإنسان في ظل المادية يصير دودة لا إنسان ويخلق من الفلسفات ما يبرر به حيوانيته، فلا يؤمن إلا الإنسان الحر، وكلما ازداد الإنسان إيمانًا أدرك أن الإيمان ليس من انتاجه بل هو تلبية لنداء لا إكراه فيه، إذ لا يؤمن إلا الإنسان الحُر وفي وسعه أن يسد سمعه.

ولا يختلف مؤمن وملحد على أن المادية الإلحادية تُجرد الإنسان من إنسانيته، وترده إلى العالم المادي الذي تحكمه صيروره حتمية بلا معيارية ولا قيمة ولا معنى، وتُضيع الثروات الثمينة الكامنة داخله والتي لا تتحول إلى تطبيق وسلوك إلا بالاعتراف بمخلوقيته لله، إن المادية الإلحادية عدو يتربص بالإنسان، إنها عدو حاقد على الإنسان وعلى إنسانيته، إنها الشيطان متجسدًا في فلسفات وفرضيات وُجدت لتُبرر تعرية الإنسان وترديه إلى العالم المادي الحتمي، يقول كريستوفر مانيز Christopher Manes في كتابه the Green Rage " لا يوجد مستند لرؤية البشر ككائن أرقي من غيره".، واعتبر الملحد الأمريكي جيمس لي James Lee أن البشرية طاعون متطور يجب استئصاله سريعًا قدر الإمكان، وفي سبتمبر ٢٠١٠ قُتل جيمس لي حين كان متجهًا إلى موقع قناة ديسكفوري بصحبة ثلاث رهائن

وبعض القنابل، حيث أن الشرطة لم تمهله وأردته قتيلاً، قبل أن يُنفذ مخططه الإلحادي بقتل أكبر عدد ممكن من البشر[١].

إن الإنسان يتحرك في الحياة وهو يعلم يقينًا أنه ليس مُفصلًا على هذا الطراز المادي الحتمي، ويعلم يقينًا أنه هو المركز والطبيعة هي الهامش، إن الإلحاد ونقولها مدوية لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، الإلحاد شيء والإنسان شيء آخر، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب:٧٢]، فالإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش.

(١) http://abcnews.go.com/US/gunman-enters-discovery-channel-headquarters-employees-evacuated /story?id=11535128

ما لا يعرفه الملحد عن تاريخ الإنسان الحقيقي..

أول قرية في التاريخ على الإطلاق لا يتجاوز عمرها ١٠ آلاف سنة – وهنا كلمة قرية تعني نجع صغير أو حارة بسيطة بمفهومنا المعاصر– ولا يوجد قبل ١٠آلاف عام أي دليل أثري على وجود الإنسان(١).

وظهرت سومر أول مدينة على الإطلاق، قبل ٥ آلاف عام فقط.

والكتابة التي تعتمد على الحروف ظهرت على يد الشعوب السامية والفينيقية قبل ٣٥٠٠ عام فقط، وجاءت اللاتينية من الفينيقية!(٢).

ظهرت الحرب على الخيل لأول مرة قبل ٢٦٠٠ عام فقط من الآن، ولذلك لا توجد حضارة قبل هذا التاريخ، وإنما بلدان متفرقة!

وأول حضارة هي الفارسية ٥٠٠ ق.م، ثم الاسكندر ٣٢٣ق.م.، ثم الهان الصينية ٥٠ق.م.، ثم الرومانية ١١٧ ميلادية.

هذا هو تاريخ الإنسان الحقيقي على هذه الأرض، بعيدًا عن بقايا عظام الداروينية، وأضراس الخنازير التي كانوا يتصورون أنها تنتمي لبشر ما قبل التاريخ وقاموا بعمل صور كاملة لهؤلاء البشر من خلال ضرس واحد، وتبين بعد عشرات السنين أنها أضراس خنازير برية لا أضراس بشر ما قبل التاريخ(٣).

---

(١) كاتب هذا الكلام هو الملحد [ول ديورانت] في موسوعته قصة الحضارة مجلد ٣٩ صفحة ٧.

(٢) أنا تتحدث عن نفسها..د. عمرو شريف ص٢٥٦.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Nebraska_Man.

حقيقة حجم الإلحاد في العالم طبقًا لآخر الإحصاءات

تُظهِر أحدث الإحصاءات الرسمية للملحدين حول العالم، أن نسبتهم لا تتجاوز ٢٪ (atheists 2.01%) وهي في تراجع مستمر[(١)] .

وأيضًا تشير أحدث الإحصاءات إلى أن نسبة الملحدين في أمريكا حوالي٥ , ١٪[(٢)] .

لكن حقيقةً يمكن استيعاب الشك في دين نصراني يرى أن الإله قد انتحر مصلوبًا وعاريًّا في الصحراء من أجل تكفير خطايا البشر، ويتم أكل لحمه وشرب دمه بانتظام سنويًّا في العشاء المقدس - الأفخارستيا- .

ويمكن استيعاب الشك في دين قومجي يهودي لا يدخله غير يهودي الأبوين.

ويمكن استيعاب الشك في دين بوذي يؤمن بالروح ويكفر بخالقها.

ويمكن الانتقال بناءًا على ذلك الشك من مرحلة الإيمان إلى مرحلة اللاإيمان disbelieve وهذا الأمر الانتقالي يُشكِّل قاعدة عريضة من البشر وصلت في أمريكا وحدها إلى ٢٠٪ من عدد السكان بحسب الإحصاء السابق.

لكن أن يُقرِّر الإنسان أن ينتقل من الإيمان الديني إلى الإلحاد الذي هو إنكار الصانع، فهذا أمر في قمة الشذوذ المعرفي والعقلي والإحصائي ومن أندر النوادر!

ولذا يجب التفريق جدًّا بين الملحد atheist وغير المؤمن disbeliever.

فالملحد لديه بنية فلسفية تأويلية متكاملة فيما يختص بالحياة والوجود والماورائيات، ولذا فالإلحاد في هذا الإطار هو دين من بين الأديان!

أما عدم الإيمان فهو شك مرحلي طاريء يمكن تجاوزه أو الاستمرار عليه حسب عمق البحث ودرجة الشك.

وإن كان التسليم بأن خلق الكون والحياة والوجود عبر زفرات فأر أسيوي مزكوم أقرب منطقيًّا من زعم الملاحدة أن اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئًا عظيمًا من أروع ما

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_religious_populations.

(2) http://theweek.com/article/index/226625/the-rise-of-atheism-in-america.

يكون تمت معايرته بدقة، بقوانين وثوابت غاية في الضبط..... فمهما كانت سذاجة الدين الوثني وحماقته وتحريفه فهو أكثر منطقية ورقيًّا وعقلانية من خرافة الإلحاد، ولذا فالإلحاد في تراجع مستمر!

باسم الله والحمد لله:

يقول الشيخ أحمد الكبيسي حفظه الله: «قبل القيامة بدقائق سيخرج رجل بشيء بديع في القرآن لم يسبق إليه أحد، فالقرآن لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة».

وسأذكر لكم أحد هذه المعجزات في القرآن الكريم التي انفتحت للدكتور عبد الله دراز رحمه الله، وكانت للدكتور تجليات لم يُسبق إليها فقد كان مداومًا على كتاب الله.

يقول الدكتور رحمه الله: «القرآن الكريم كتاب أدبي وعقيدي في نفس الوقت وبنفس الدرجة، وتوجد وحدة أدبية لكل سورة قرآنية، وداخل هذه الوحدة الأدبية يتوافر التجانس والربط الطبيعي بين عشرات المواضيع في السورة الواحدة، وربما مئات المواضيع في نفس السورة كما في السور الطويلة.

ووحدة السورة عبارة عن سلسلة من الحروف والصوتيات البلاغية الأدبية تُخفي داخلها مواضيع متنوعة وأفكار مختلفة تُقدم مجموعة من الحلول للمشكلتين الخالدتين ألا وهما " المعرفة " و " السلوك ".

هذه المواضيع المعروضة تمتاز بالإيجاز العجيب، والنقاء في التعبير، والتركيز الشديد في النفس، وجميع العلوم والفنون الإسلامية تستمد على الدوام من هذا المصدر قواعدها ومبادئها، وكان القرآن خلقًا للغة جديدة ولأُسلوب جديد فهو نظام أكثر تماسكًا من النثر، وأقل نظمًا من الشعر، في موسيقى خالدة تعلو المواضيع المطروحة تلو المواضيع في نفس السورة، بهيبة وجلال بلا تأرجح ولا اضطراب.

وفي وقت نزول القرآن كانت بعض المواضيع تتزايد بمعزل عن مواضيع أُخرى، وتُكوِّن تدريجيًّا وحدات مُستقلة بعد أن تنضم إليها آيات أُخرى نزلت بعدها، وأن بعضها كانت تُضاف هنا، والأُخرى تتداخل مع غيرها هناك، بحسب أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي كان يتلقاه بدوره من الروح القدس.

وعندما نُريد أن نُقدر جمال لوحة مرسومة لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق مها حيث لا نجد إلا ألوانًا متنوعة تتجاور أو تتنافر أحيانًا، بل يجب أن نرجع قليلًا إلى الوراء ليتسع مجال الرؤية وتحيط بالكل في نظرة شاملة، تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التركيب، فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورة من سور القرآن الكريم لنُقدِّر أبعادها الحقيقية، فهناك تخطيط حقيقي واضح ومُحدد يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة.

فإذا أخذنا في اعتبارنا التواريخ التي لا حصر لها - تواريخ نزول آيات القرآن الكريم- والتفتيت المتناهي في نزول الآيات، ولاحظنا أن هذا الوحي كان بوجهٍ عام مرتبطًا بظروف ومناسبات خاصة، فإن ذلك يدعونا إلى التساؤل عن الوقت الذي تمت فيه عملية تنظيم كل سورة على شكل وحدة مستقلة، وهذا التساؤل يضعنا أمام نقطة محيرة: فسواءًا افترضنا أن هذا الترتيب كان قبل أو بعد اكتمال نزول القرآن، فقد كان ينبغي أن يتبع إما الترتيب التاريخي للنزول، وإما الترتيب المنطقي البسيط المبني على تجانس الموضوعات، إلا أن السور القرآنية تتنوع موضوعاتها ولا تخضع لأيٍ من الفرضين أو الترتيبين السابقين، مما يدعونا إلى ترجيح وجود تصميم مُعقد يكون قد وُضع في وقت سابق لنزول القرآن على قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولكن سرعان ما نميل إلى الانصراف عن هذا الافتراض بسرعة؛ لأننا نرى مدى الجرأة والاستحالة التي ينطوي عليها وضع نظام سابق حسب ترتيب تحكمي بين فقرات حديث سوف يطلب إلقاؤه أو إظهاره على مدى عشرين عامًا، وبما يتناسب مع عديد من الملابسات والظروف التي تستدعي هذا الحديث والتي لا يمكن توقعها أو التنبؤ بها، غير أن السُّنة تؤكد لنا هذا الإفتراض الغريب وتؤيده، فالواقع أنه فور نزول الوحي على الرسول-صلى الله عليه وسلم-كان كل جزء منه صغيرًا أو كبيرًا يوضع في السور التي لم تكن قد اكتملت بعد وفي مكان محدد من السورة، وفي موضع رقمي من آياتها وفي ترتيب لم يكن دائمًا هو الترتيب التاريخي.

وبمجرد وضع الآية أو الآيات في موضع ما بقيت فيه إلى الأبد، دون أن يطرأ عليها تحويل أو تصحيح، من هذا نقول أنه لابد كان هناك تصميم لكل سورة، فضلًا عن تصميم أو خطة عامة للقرآن في جملته بمقتضى كلٍ منهما، كأن كل وحي جديد يوضع في مكانه توًا بين آيات هذه السورة أو تلك من السور المفتوحة.

وكأن القرآن كان قطعًا متفرقة ومرقمة من بناء قديم، كان يُراد إعادة بناؤه في مكان آخر على نفس هيئته السابقة، وإلا فكيف يمكن تفسير هذا الترتيب الفوري والمنهجي في آنٍ واحد، فيما يتعلق بكثير من السور؟

ولكن أي ضمان تاريخي يستطيع أن يتحصل عليه الإنسان عند وضع مثل هذه الخطة إزاء الأحداث المستقبلة، ومتطلباتها التشريعية، والحلول المنشودة لها، فضلًا عن الشكل اللغوي الذي يجب أن تُقدم به هذه الحلول، وتوافقها الأُسلوبي مع هذه السورة بدلًا من تلك؟

وكيف يمكن مجرد تجميع وتقريب هذه القطع المبعثرة بعضها من بعض بدون تعديل أو لحام أو وصلات- رغم تنوعها الطبيعي وتفرقها التاريخي-أن يجعل منها وحدة عضوية متجانسة يتوافر فيها ما نرجوه من التماسك والجمال؟ ألا يصدر مثل هذا المشروع، وقد بلغ هذا المبلغ من الطموح، إلا عن حلم خيالي، أو عن قوة فوق قدرة البشر؟

ألا نستنتج أن اكتمال هذه الخطة وتحققها بالصورة المرجوة، يتطلب تدخلًا من قوة عظمى، تتوفر فيها القدرة على إقامة هذا التنسيق المنشود؟

فإذا كانت السورة القرآنية من نتاج هذه الظروف، تكون وحدتها المنطقية الأدبية في نظرنا معجزة المعجزات، والواقع الأكثر إعجازًا أنه قد يصعب في بعض السور التمييز بين الفكرة الرئيسية والأفكار الثانوية والنواة المركزية للسورة، وقد نجهل حتى الظروف التي استدعت التجميع بين هذه المواضيع لشدة الحبكة النهائية في السورة كبناء متكامل موضوع في زمن سابق على نزول القرآن، فالأجزاء التي ستتجاور مُجهزة مقدمًا بطريقة معينة بحيث يتزاوج بعضها مع بعض، كل هذا مع تنوع الموضوعات واختلاف البعد الزماني الذي يفصل بين كل موضوع وآخر، إن هذا التطور إذن كان متفقًا مع خطة تربوية وتشريعية موضوعة في وقت سابق، في إجمالها وفي تفصيلها، بمعرفة مُنزل الوحي سبحانه وتعالى على هيئة إطارات

محددة بنوازل معينة لتشكيل وحدات متكاملة من تخطيط مزدوج نهائي لا يمكن أن يصدر عن علم بشر»[١].

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، د.محمد عبد الله دراز -بتصرف-.

مسألتان ما أكثرهما اليوم

قال الإمام اللالكائي - رحمه الله -: «فما جني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة!».

و لم يكن لهم قهر و لا ذلّ أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة، يموتون من الغيظ كَمَدًا و دَرَدًا ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً..حتى جاء المغرورون ففَتحوا لهم إليها طريقًا، و صاروا لهم إلى هلاك الإسلامِ دليلًا، حتى كثرت بينهم المشاجرة، و ظهرت دعوتهم بالمناظرة، و طرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة و العامة [١].

قال الشاطبي - رحمه الله -: «قال الغزالي في بعض كتبه:أكثرُ الجهالات إنما رُسّخت في قلوب العوام بتعصبٍ جماعةٍ من جهّال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدّي والإدلال، و نَظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير و الازدراء، فثارت من بواطِنهم دواعي المعاندة و المخالفة، و رسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، و تعذر على العلماء المُتلطفين محوهَا مع ظُهور فسادهَا [٢].

هذا هو الأصل الذي نزعمه، ولولا أن ظهر شراذم الملاحدة في بلادنا وفتنوا أحداث الأسنان، ما خططنا سطرًا واحدًا في تسخيف مذهبهم الساقط جملةً وتفصيلًا، لكنها مشيئة الله النافذة من قبل ومن بعد، فكلما اقترب الزمان كلما ظهرت أمارات الكفر السريع والتشكك العاجل، وإلا فإن الأصل عندنا ألا نحكي الشبهة، ولا نُساعد على انتشارها!

قال أبو قلابة رحمه الله: «لا تجالسوهم- أي أصحاب البدع - ولا تخالطوهم.. فإنه لا آمن أن يفسدوكم أو يلبسوا عليكم كثيرا مما تعرفون».

قال ابن قدامة رحمه الله: «كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع الى كلامهم».

---

(١) شرح أصول الاعتقاد ١ / ٢٩.

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٩٤.

وقال أبو عثمان الصابوني بعد ذكر أهل البدع: «ويرون صَون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت فى القلوب ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت».

وقال الذهبي رحمه الله فى ترجمة ابن الراوندي: «وكان يلازم الرافضة والملاحدة.. فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم. إلى أن صار ملحدًا وحط على الدين والمله».

قال الذهبي رحمه الله فى ترجمة ابن عقيل حيث نقل عنه قوله: «وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علمًا نافعًا». فعلق الذهبي بقوله: «كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة فيأبى حتى وقع فى حبائلهم وتجسر على تأويل النصوص نسأل الله السلامة».

قال سفيان الثوري رحمه الله: «من سمع ببدعه فلا يحكها لجلسائه.. لا يُلقيها فى قلوبهم»، أوردها الذهبى وعلق عليها بقوله: «أكثر أئمة السلف على هذا التحذير يرون أن القلوب ضعيفة والشُبه خطافة».

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما ناظرت أحدًا علمت أنه مقيم على بدعه»، وقال الإمام البيهقى معلقًا: «وهذا لأن المقيم على بدعته قلما يرجع بالمناظرة عن بدعته».

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً.. أخذ يعارضك فيه لما قام في نفسه من الشبهة.. فأعطه إياه وإلا فما دام معتقدًا نقيض الحق لم يدخل الحق الى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل فامحه أولًا ثم اكتب فيه الحق».

ولذا كان منهجنا في هذا الكتاب التخلية قبل التحلية، فتحدثنا في الفصول الأولى عن الشبهات ثم آيات الله في الخلق؛ نسأل الله الثبات والسداد!

الشيطان يكمن في التفاصيل..

نصيحة أخيرة:

لا يستطيع الملحد أن يدخل لك إلا من باب السفسطة في الفرعيات، واللعب على وتر التفاصيل!

لذا كُن حَذِرًا ورُده بسرعة إلى الأصل، لا تجعله يعبث ببدهياتك وضروراتك العقلية بدخوله في التفاصيل، بل كن أكثر ذكاءً ورده أنت إلى الأصل، فينكسر وتطيش كل سفسطاته الفرعية..

ولك في أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – القدوة والمثل فحين ناظر النمرود في قضية الألوهية حاول الخبيث أن يلعب على الفرعيات ويُسفسط في التفاصيل، فأعاده إبراهيم إلى الأصل فبُهت الذي كفر، وانتهت المناظرة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فقد اعتبر النمرود أن مجرد إعدام الأشخاص هو قُدرة مطلقة على الإماتة، ومجرد رحمتهم هو قُدرة مطلقة على الإحياء، ولو تنزَّل معه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وظل يشرح له الفرق بين القدرة المطلقة والقدرة النسبية المحدودة الموهوبة إلى الشخص، لظن الجالسون أن في قضية الألوهية البدهية محض التباس، فالشيطان يكمن في التفاصيل!

عندما يتحدث الملحد عن طاقة الفراغ الكوانتي المشحون بالجُسيمات، انتقل مباشرةً إلى ما هو مصدر الفراغ الكوانتي.

يقول الكاهن الملحد طاقة الجاذبية يمكن أن تؤثِّر في لحظة الانفجار الكبير، يكون السؤال: وما هو مصدر طاقة الجاذبية؟

يقول الكاهن الملحد: سوالب الكون وموجباته ربما تساوي الصفر، يكون السؤال أُخلق لنا قانون (–) + (+)= صفر، أو قُم بتفعيل قانون كهذا.

الملحد لا يملك حُجة مُستقلة على كفره، لا يمتلك علمًا يُخرج الكفر، وإنما يتغذى الملحدون باستمرار من رحم السفسطة حينًا والمضاربة حينًا آخر، فشككوا الناس في العقل والحق والخير والشر والعدل والظلم.

فالإلحاد هو دين الشيطان تمت أدلجته، وإعادة صياغته والتأسيس له، كمذهب عقلي معاصر..!!

الخاتمة

أكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم، فما معنى الخيروالشروالصواب والخطأ و النجاح والفشل و المعنى واللا معنى و القيمة و الغاية و مصدر القوانين؟ لماذا الآن وليس قبل ذلك.....؟ ماذا قبل ذلك...؟ هذه أسئلة خارج نطاق العلم، ليس لعجزالعلم أوقِصر أدواته بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معًا..!!

الدين جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالعلم، فالعلم هو فقط تحليل للظواهر بغية تفسيرها والإنسان لم يَتَبَنَّ العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة، وإعداد بعناية وعظيم صنع وروعة خلق، ولم يفعل العلم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين، ثم حصد الجوائز نتيجة الكشوف العلمية، فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ، والانضباط والمصداقية التي لولاها ما قام العلم..

مَن الذي يقف خلف القضية ككل؟!

الله يقف وراء قصة العلم كلها.

والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب..

وقضت حكمة الله - سبحانه وتعالى- أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير....

وفي غفلةٍ من الزمان ظهر الإلحاد الجديد بعباءة جديدة وملأ صياحه الأودية، وقام بالتكريز- التبشير - به كهنة الإلحاد الجديد بجميع طقوس الكهنة وثياب الكهنوت، وقوانين كنسية تخالف البدهيات العقلية، وتُرجّح الفرضية على اليقين، والظن الضعيف على الظن القوي، وظهرت أبخرة كنيسة الإلحاد الجديد ومجامر الشمامسة، وعلى ابن الطاعة تحل البركة، ولم يعد في الإمكان أفضل مما كان فآمِن بالإلحاد ثم استدل، المهم أن تصبح كافرًا وتنام كافرًا.

إن الإلحاد والدين يقومان على التأصيلات الميتافيزيقية، لكن الفرق أن الدين منتهَى خبره الحِس بينما الإلحاد ليس كذلك...

إن الإلحادَ يقومُ على حُجَّةٍ ماديةٍ – أزلية المادة –لا وجودَ ماديًّا لها.. وبالتالي لا وجودَ للإلحاد كحقيقةٍ مستقلةٍ أو كأيديولوجية قائمة، بينما يقوم الدين على حُجَّةٍ غيبيةٍ لها مُستندٌ ماديٌّ ووجدانيٌّ وفِطريٌّ وحِسيٌّ وعقليٌّ واستدلاليٌّ ونقليٌّ!

وبفضل الله يشمل هذا الكتاب اختصارًا لهذه الأبواب.

إن الشهادة لله بالخلق والأمر، هي الاستجابة المُثيرة للقضية الإنسانية الكُبرى، والاستجابة الوحيدة المتاحة للعقل والفطرة والوجدان والحس والنقل.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مُقَدِّمَة	٤
الفَصْلُ الأَوَّلُ كهنة المعاطف البيضاء...	٧
دعونا نبدأ القصة من أولها..	٨
الكاهن الملحد:...	١٥
مشكلة العقل الغربي الذي يرعى الكهنوت الإلحادي	١٧
كهنة الإلحاد الجديد والاقتصار على العلم التجريبي الإمبريقي فقط	١٨
الفَصْلُ الثَّانِي خرافات وأساطير كهنة الإلحاد الجديد	٢٠
مقدمة:	٢١
الذاكرة ليست آثارًا مادية في الدماغ كما يتصور العامة، ويريد أن يلفق الملحد	٢٢
أصل الوعي وخندق المادية!	٢٥
خرافة مادية العقل	٢٧
تبادل أيونات الصوديوم والبوتاسيوم	٢٨
الموسيقى تزيد نسبة الذكاء خرافة علمية	٣٠
خرافة الحتمية التربوية	٣٢
خرافة الهيومانية بديلًا عن الدين	٣٤
الفَصْلُ الثَّالِثُ شبهات الإلحاد	٤٧
وجود الشبهة في أصلها يعني نهاية الإلحاد	٤٩
أشهر عشرين شبهة يطرحها الإلحاد الجديد مع الرد الموجز!	٥٢
فرضية تذبذب الفراغ الكمومي	٦٥
ما هو مصدر الصفيحتين؟ شبهة طاقة الفراغ	٦٩
أديان كثيرة جدًّا ومعبودات بالآلاف والعُمر قصير	٧٣
لماذا الشر موجود؟	٨٢
لماذا الكون بهذه الضخامة	٨٦
الهوس الجنسي عند العرب؛ أسطورة يُروِّج لها الملاحدة ويُصدِّقها الإعلام	٨٨
الرق - السبي- العبودية	٩٦
لكن هل كان فلاسفة الإسلام ملحدين؟	١٠٦

الفصل الرابع المتشابه في القرآن والكون ١١٧
المُتشابه في القرآن والكون ١١٨
فصل المقال في الناسخ والمنسوخ ١٢١
لماذا نزل القرآن بلغة العرب؟ ١٢٤
هل انبثق العقل من مادة كما يزعم الملحد؟ ١٢٧
الرد على شبهة - أُضحوكة - مُصمِّم ذكي من كونٍ آخر، شبهة اليوفو ١٢٩
إسقاط أُسطورة إله أسبينوزا ١٣٢
المحرك الأول عند أرسطو ١٣٦
هل النسبية المعرفية لها وجود؟ ١٣٧
الفصل الخامس أدلة الإيمان ١٣٩
محاولة التشكيك في برهان السببّية - العلّية- ١٤٠
الغائية والعلم: ١٤٦
أدلة اليقين الديني هل يمكن حصرها في معيارٍ واحدٍ؟ ١٤٩
الكشوف العلمية المتتابعة ١٥٨
«إن الله جميل يحب الجمال» ١٦٢
كيف تُبرر أيها المُلحد ماديًّا توقف الرسالات فجأة في بني إسرائيل؟ ١٦٥
انهيار الدالة الموجية: ١٦٩
رحلة البروتين معجزة إلهية: ١٧١
«الله له كل صفات الكمال» ١٨٠
الفصل السادس أسماء الله الحسنى تتجلى في عصر العلم ١٨٣
نظرة بيولوجية قاصرة على اسم الله المُقيت: ١٨٥
رؤية فيزيائية قاصرة لعلو الله وجبروته في ومضةٍ من خلقه ١٨٩
غُبار الطلع ﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ ١٩٣
الله القيوم والكون المقهور لعظمته من منظور فيزيائي ١٩٧
التخصصية الوظيفية ٢٠١
الله هو الأول والآخر.. نظرة في فيزياء الكوانتم ٢٠٣
الجين الأناني: ٢٠٧
الذرَّة آية من آيات الخلق ٢١٣
في البدء كان التمثيل الضوئي ٢١٧
ما قبل الانفجار الكبير.. السُّؤال المُحرَّم في العلم ٢٢١

نظام التشفير داخل نواة الخلية، هو الخلق المباشر ٢٢٥
الفصل السابع أصول الاعتقاد: ٢٢٩
قواعد الرد على الإلحاد وثبوت النبوات ٢٣٠
أصل الإلحاد: ٢٤٢
الإلحاد هو مصدر الوثنية عبر كل العصور ٢٤٤
أصل الحروب: ٢٤٨
أصل الأخلاق: ٢٥٢
إثبات وجود الله! ٢٥٤
ماذا قبل وجود الكون ٢٥٨
مراتب الأدلة المنطقية ٢٦٠
أصل الخير: ٢٦١
تحليل المعلومة: ٢٦٣
الفصل الثامن الداروينية بخور كنيسة الإلحاد الجديد ٢٦٥
الداروينية يتم تدريسها في كل جامعات العالم، إذن هي حقيقة! ٢٦٧
أقوى عشرين دليلًا على كون التطور هو العلم الزائف Pseudoscience ٢٧٠
الداروينية تخالف مفهوم النظرية العملية ٢٨٣
الداروينية الاجتماعية ٢٨٨
الداروينية... الأُسطورة باسم العلم: ٢٩١
الفصل التاسع الإلحاد عندما يكون دولة: ٢٩٣
هل يمكن أن تنشأ الأخلاق داخل مجتمع إلحادي ٢٩٤
مقارنة بين الإنسان البدائي وأكثر الحيوانات تقدمًا ٢٩٧
محاولة الإنسان إقامة جنة على الأرض بعيدًا عن الدين، انتهت إلى إقامة أضخم جحيم في تاريخ البشرية ٢٩٩
رابطة الملحدين العسكرية ٣٠١
كوريا الشمالية الدولة الوحيدة المُلحدة رسميًا في العالم ٣٠٣
هذه هي صورة دولة الإلحاد الوحيدة في العالم ٣٠٦
عبادة الفرد في النموذج الإلحادي ٣٠٩
دولة السويد؛ أيقونة الملحدين العرب، وكاتدرائية الحرية في العالم ٣١٣
هل كان هتلر مُلحداً؟ ٣١٧
العلمانية تصحح نفسها بنفسها ٣٢٤
الديموقراطية بها خطأ فلسفي قاتل ٣٢٥

حديقة حيوان البشر! ٣٢٧
الفَصْلُ العَاشِرُ بدائع الفوائد ٣٣١
لا يوجد ملحدون في الخنادق ٣٣٢
نشأة الإلحاد: ٣٣٣
الماركسية على المحك ٣٣٦
الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان ٣٣٨
الجولف والإلحاد ٣٤٢
هل الملحد شخص يمكن التعامل معه في الحياة اليومية بأمان؟ ٣٤٣
من نِعم الله: ٣٤٥
البريونات.. الداروينية تمشي على رأسها ٣٤٧
كريج فنتر: ٣٤٨
الفيروس يتحدى الملحدين ٣٥٠
الإنسان ذلك المتمايز ٣٥٢
الإسلام هو العقل: ٣٥٣
الحضارة هي توظيف التراب ٣٥٤
العقل الغربي: ٣٥٥
هل التأمل الديني مجرد هلاوس ٣٥٧
الإلحاد هو خلل عُصابي ٣٥٨
خرافات الإلحاد الجديد ٣٦٠
الحسد والعين أصبحا حقيقة علمية! ٣٦٤
كظم الغيظ أم تنفيسه ٣٦٦
العالم عشوائي طبقًا للكوانتم ٣٦٨
الحتمية المادية: ٣٦٩
ما لا يعرفه الملحد عن تاريخ الإنسان الحقيقي.. .... ٣٧١
حقيقة حجم الإلحاد في العالم طبقًا لآخر الإحصاءات ٣٧٢
مسألتان ما أكثرهُما اليوم ٣٧٧
الشيطان يكمن في التفاصيل.. .... ٣٧٩
الخاتمة: ٣٨١